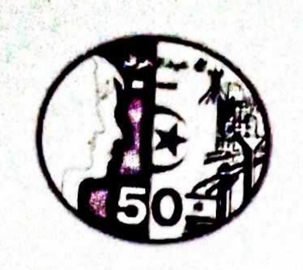

وزارة الثقافة
جميلة زنير
انطولوجيا القصة القصيرة النسوية في الجزائر
دار الأبحاث

أنطولوجيا القصة النسوية
في الجزائر





أنطولوجيا القصة النسوية في الجزائر

جميلة زنير

دار الأبحاث

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
بمناسبة الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر

الطبعة الأولى
1434هـ/ 2013م

دار الأبحاث

دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع
العنوان: 38 شارع عبدوني - الدار البيضاء - الجزائر
هاتف: +21321744281
فاكس: +21321748569
بريد إلكتروني: abhaath@hotmail.com

مقدمـة

نصّ الأكثرية

إن تاريخيةّ الحَكْي البشري يمتدّ ربما إلى شخصية "حوّاء" التي استطاعت إغراء "آدم" بالإنصات إليها، وذلك عندما استدرجته بلغتها السحرية لتلبية رغبتها.. ثم كان الهبوط!

ولعل هذه الواقعة التي انبثق منها جبروت " الرجل" لاحقاً، وانتقامه من المرأة التي صارت ترمز في نظره إلى الخطيئة الأزلية، حيث بلغت مستويات العنف مداها في المجتمعات القديمة، ومنها المجتمع العربي في العصر الجاهلي، حيث تعرضت المرأة لصنوف الإذلال والوأد، وقد كان لابدَّ لهذا "المخلوق الجميل" أن يدافع عن كينونته بوسائل أكثر تأثيرا وجدوى، مستخدماً في ذلك فنّ الحكي وسلطة الكلام لإفتان عقل الرجل وحواسّه، إذ أنهّا لم تواجهه بنفس أساليبه، وبلغ هذا الصراع ذروته في حكايات "ألف ليلة وليلة" التي تقمصتها أعظم راوية وهي شخصية "شهرزاد".

ونعتقد أن المرأة العربية المعاصرة قد بذلت جهودا مضنية وشاقة من أجل افتكاك دورها، ليس على المستوى الاجتماعي فحسب، وإنما أيضاً على مستوى الفعل الإبداعي والتموقع ضمن سيرورة التاريخ الثقافي العربي، حيث برزت نخبة من النساء أديّن أدوارًا هامةّ في تطوير الحركية الإبداعية للقصة أمثال: مي زيادة،

لطيفة الزيات، فريدة النقاش، سحر خليفة، زهور ونيسي، آسيا جبار، أحلام مستغانمي، زليخا السعودى، خناثة بنونة، عروسية النالوتي، ليلى العثمان، غادة السمان، فوزية شلابي، لطيفة الديلمي، وغيرهن. . .

إن الكتابة النسوية قد شغلت الباحثين كثيرا، خاصة فيما يتعلق بهوية النص ووجهاته الفنية والفكرية، كما تطرقوا لإشكالية مصطلح الإبداع الأدبي الأنثوي، أيّ مصطلح يلبيّ روح هذه الكتابة التي لم يستصغها الرجل العربي الذي نظر إليها بكثير من الريبة والأفكار المسبقة، التي تصل أحيانا حدّ السّخرية والإلغاء، ولذلك فقد تعدّدت وتنوعت الرؤى للكتابة "الأنثوية" وانطلاقا من هذه القراءات نجد أنّ الباحثين قد استخدموا عدة أطروحات منها : "أدب المرأة"، "الأدب النسّوي"، "الكتابة النسائية"، "النص المؤنث" . . . وأنني أميل إلى القول بأن هذه الالتباسات هي سياقات نظرية وجبت الإشارة إليها، كما أنني استأنست في هذه الانطولوجيا بالمصطلح الوارد كعنوان لهذا الكتاب لأنّ كل مفهوم هو عبارة عن محمول ثقافي مرتبط بتصوّر مستعمليه وما تفرزه منظومة القيم السائدة في أيّ مجتمع.

ويجرّنا هذا لمعرفة هذا الإبداع في إطار تشكّلاتِهِ وتدفقاته المنصهرة بالأسئلة التي يصوغها الواقع، ومدى رَاهنيتها داخل مجرى التحولات العميقة التي تنشأ بين الأدب كتجربة ذاتية وبين الواقع المعيش.

وإنني، ومن خلال تجربتي الأدبية ومواكبتي للحركة النسوية الجزائرية واهتمامي بها، قد بدا لي أن نصّ المرأة الجزائرية لم يحظ بالعناية اللازمة، سواء على مستوى الدرس النقدي أو الجمع، والنشر أيضاً، ومن هنا جاءت فكرة هذه الانطولوجيا المتعدّدة الأصوات

التي ضمّت أغلب الأسماء القصصية المنتمية لمختلف الأجيال، ولا يعني هـذا أنني قد أحطت بهـن جميعا، رغـم ما بذلته من جهد،

وسيظل الحلم يلاحقني إلى أن أتدارك الهنَّات التي قد تبدو في هذه الطبعة.

وللإشارة فإن هذه " الانطولوجيا " تعدّ في رأيي بمثابة وثيقة أدبية قد تغرْي الباحثين بالالتفات إليها وخصوصا ممّن يشغلهم هذا الحقل الأدبي وختاما فإننيّ آمل أن يجد القارئ المهتم في هذه القصص ما يروق له من متعة الخطاب السردي الذي نسجه مخيـال المرأة الجزائرية.



آسيا علي موسى

* خريجة المدرسة العليا للأساتذة بالجزائر العاصمة فرع رياضيات.
* شاركت في العديد من الملتقيات والندوات.
* نشرت أعمالها في مختلف المجلات والجرائد
* من أعمالها المطبوعة:
  - عفوا إنه القدر (قصص) عام 2001.
  - الأحلام المصادرة (قصص) عام 2003.
  - رسائل اللحظة الأخيرة (قصص) عام 2006.
* لها تحت الطبع عدة أعمال منها:
  - "هواجس محرمة".
  - "رسائل إلى آدم".

مربعات

صبري أصبح عاجزا كما هي. لم أعد أملك شيئاً أقاوم به. تقابلني، فرحة مبتورة، حلما معاقا، أملا ينخر حقيقة مريرة.أذرع قاعة الانتظار ولا اعلم ماذا أنتظر فعلا، هل انتظر المعجزة التي لن تحدث أبدا، أم الكذبة التي تبدد سخرية القدر وتموه على الواقع.

يدخلون ويخرجون، يتحدثون، يتناقشون، يضحكون أيضا وهم يشخصون حالة مستعصية.

أنا أقف برهة، أحدق بعمق في البلاط، مربعاته المتناوبة الألوان، لون فاتح ولون غامق، يوم أبيض ويوم اسود، لكن كيف كانت البداية هل هي أبيض أم أسود، أبحث عن بداية الرواق، أمشي متلصصا بفكرة غريبة، أين البداية يا ترى؟

أصل نهاية الرواق، كم مربعا مشيت، إذا عددتها مثنى وجدتها مائة، لكن المائة تخلط اللونين، علي أن أفصل، يا هذا يا ذاك، لعبة مسلية فعلا، كم عدد المربعات، عن أي مربعات أتحدث، مربعات الرواق أم مربعات حياتي ؟

مربعات حياتي لا يمكنني عدها، كثيرة فيها كانت سوداء وكثيرة أيضا كانت بيضاء الأتعس أنها كلها مربعات حصرت فرحة أو شجن لا شيء يخترق أضلع المربعات المتساوية الخيبات.

كل مرة اخترقت فيها حياتي نظام المضلع المنتظم بدقة، دفعت

ثمنا ما، جنحة كان علي أن أسدد فاتورتها قهرا.. لا تتخطى الحواجز الممنوعة مهما كان الحلم ملحا مهما كان الإغراء جميلا لكنني فعلت وها أنا أعود أقفز، لا، ادفع إلى داخل المربع الذي تخطيت بكل عنف...

أجلس الآن على كرسي الانتظار، عجوز بجواري ترفع يديها إلى السماء، تتشبث هي بأضلع المربع طائعة، أحدجها بنظرة، أحسدها على ولائها وإذعانها، رجل آخر يقابلني على كرسي آخر، يضع رأسه بين يديه ويحرك رجليه بلا توقف، تتقدم الممرضة نحوه مبتسمة...

- مبروك سيدي، البنت... والزوجة بخير.

هب الرجل هبة واحدة بقوة...

- يبشرك بالخير، هل يمكنني رؤيتها؟

وارتسمت على سحنته آمال كبيرة، نقلته بقفزة قدرية من... مربع الحيرة والانتظار الأسود إلى مربع الرجاء الأبيض.

أنا... مازلت على حافة تفصل مربعين، لا اعلم أين مصيري القادم...، رجل مرعوبة بهاجس السقوط ورجل عاجزة على ولوج عالم الرجاء. رغم ذلك، احتمي بالانتظار، أحيانا تكون ساعات الانتظار أرحم من النهايات المجهزة على منطق الأمل.

انتظرنا عشرين سنة ليحدث الحمل...

أن يلد الآخرون كما تتوالد الأرانب، كان نعمة نحسدهم عليها، رؤية الأطفال في شقاوتهم وجبروتهم، في قبحهم أحيانا، كان منحة ننتظرها بشوق أحمق.

كثيرا ما كنا نسخط على الإعلانات التي تقابلنا، في المرافق

الصحية، تلك الموائد التي تجمع أشكالا من المخلوقات، تبرمج لانقراض الجنس البشري في مخططات تسميها تحسيسية، لتحديد النسل أو. . . مسخه.

وبقينا نترنح بين مربع أبيض وآخر اسود.

سنة تجر سنة، لا وجه فيها إلا وجهينا ولا صوت فيها إلا وشوشتنا، هكذا كنا نتكلم، نعمة يقول جاري.

لا اسمع صوت الصراخ في بيتك، كثيرا ما أظن أنكم غادرتم، يا أخي أغبطك على الهدوء الذي تنعم فيه، لا تتذمر "عسى أن تكره شيئا وهو خير لك"، أنا أتحاشى دخول البيت حتى ينام الأطفال ورغم ذلك أجد أمهم، مكشرة مشمرة، تنتظر محاسبتي وتتهمني بللا مسؤولية، وبتعبها من الأطفال وغياب أبيهم، ما أنت فيه نعمة لا يحس بها إلا من يفقدها.

كان جاري يجرحني في العمق عن جهل ويحسدني على خير أراه شراً.

الوشوشة أم الصراخ؟

تمنيت صراخ طفل وإصراره على لعبة، على نزهة، على قطعة حلوى تمنيت أن أسمع شيئا يخرج من صلبي يناديني بابا.

لا يمكن لجاري أن يفهم أن الفراغ قاتل، قاتل حتى للصمت.

انتظرنا المعجزة التي جاءت. . . بعد سنين.

تطير بنا من مربع انتظار إلى مربع انتظار آخر، تنقلنا من ضفة إلى أخرى.تسعة أشهر كانت طويلة، أطول من سنيننا العشرين. . .

- الحمل حساس جدا في هذه السن والمخاطر موجودة، لابد من متابعة دقيقة.

قال الطبيب.

ونفذنا تعاليمه حرفيا . . .

جاء اليوم الموعود. . .

جاءت فرحة حذرة. . .

ما زلت أعد البلاط وانتظر عودة الطبيب ليخبرني بنتيجة التحاليل، أريد أن أدخل غرفتها، احضنها، أمسك يدها الصغيرة بين أصابعي الخشنة، أطبع قبلة على جبينها الناعم، أحملها بين يدي، أحضنها إلى صدري، أريدها أن تبلل ملابسي، أن أسرع إلى الحفاضات أغيرها، أن أسمع بكاءها وهي ترضع إصبعها باحثة عن صدر أمها ..الغارقة في الذهول والحزن ..

أريد أن أسمعها يوما ما تناغي، تتلعثم. . .

- با. . . با. . .

تحبو، تتعلم المشي، خطوة، خطوة. . . وعندما يغلبها جسدها الصغير وتفقد توازنها، تمد يديها نحوي لأنتشلها ونحن نضحك، وأنا ألثمها برفق أواسيها كي تعيد الكرة حتى تتعلم المشي.

لكنها المربعات اللعينة. . .

الطبيب يعود بأوراقه ووجه لا تعابير فيه، لا أستطيع الوقوف يناديني. . .

- اتبعني إلى المكتب.

دق قلبي بسرعة، وراحت قدماي تتخطيان البلاط بغير حساب.

- أجلس أرجوك.

- لا أفضل الوقوف، هات ما عندك.

- آسف سيدي، لكن كما توقعنا بالفحوصات، الصغيرة تعاني من إعاقة كلية، مائة بالمائة، خلل في الدماغ، خلقي، لا يمكن شفاءه، لكن يمكن، مع ما توصلت إليه البحوث الطبية، أن تتابع في مراكز مختصة. . .

لم اعد أتابع ما يقول، خرجت من الغرفة. . .

وقد غرقت في دائرة تيه لا لون لها. . .

الهارب

حين انطلقت قافلة الجند بالأحمال والأسلحة كانت صدور المجنّدين عنوة تغلي من الغيظ، وكل شيء يتأرجح أمام أعينهم، والريح النّفاذة تتقاذفهم، والعواصف الثلجية تصفع وجوههم وهم يتعثرون بالأكمات والحجارة، أو يخوضون في الأوحال إذ يسلكون أراضي ملتوية تملأها الحفر.

كان عليهم أن يحافظوا على مظهرهم وهم المنهكون الذين يكادون يتساقطون من التعب والبرد والجوع، كل الأراضي كانت خالية من الناس، وإذا ما لاح لهم عابر فسرعان ما يختفي ليحلّ القفر من جديد، وتظهر لهم أكواخ مهجورة ثم تغيب وهم يعلمون أن نظرات شزراء خفية توجه إليهم دون غيرهم فيزداد سخطهم... لم يكن الدخان ينطلق من أي موقد وهم الذين يتمنون أن يشموا أريج الخبز الطازج.. يشمونه فقط ليدل على وجود أناس يتحركون في هذا الخلاء المبهم.

إنهم يقادون صوب المجهول..

إنهم يبحرون إلى مرافئ باردة لا تمنح دفئا..

إنهم يقذفون إلى معارك خاسرة ..

إنهم يدفعون إلى حيث لا يعودون !

وانتابت "بوعزيز" نوبة غضب تفجّرت في حنايا صدره فانتفض منقلبا من فوره، واتجه نحو صخرة اقتعدها وأطرق منكس الرأس.

رمقه الحارس بحنق واكتست ملامحه القسوة فارتدّ نحوه بعصبية وأشهر المسدس في وجهه وصاح فيه وهو يشير بيد مرتعشة نحو قافلة الجند.. ظلت سحنة "بوعزيز" محتفظة بملامحها المتجهمة الصلفة، بينما العسكري يصيح بغضب وقد اتّقد غيظ شرس في عينيه الزرقاوين.

وتفتحت أبواب الجحيم حين انهالت عليهم قذائف لم يعرف مصدرها فأسرع الجميع يختبئون لكي لا تصيبهم، إنهم لاشك الثوار المغاربة.

الليلة سيبيت في العراء حارسا، وستكون أتعس لياليه، ليس فيها غير الضوء الخافت المنبعث من خيمة القائد والصمت الموحش والبرد القارص، رفع رأسه المتعب نحو السماء فرآها سوداء قد انطفأت كلّ نجومها. . . أعاده إلى واقعه هبوب رياح قاسية تنخر العظام، فأخذ يحوم في هذا الصقع المقفر بخطى قوية

ثابتة.. فجأة التمعت في ذهنه كل الصور التي تبهج الخاطر وتهز الوجدان، فأخذت ذاكرته تركض نحو مراتع الطفولة البعيدة. . . لكم هو ضائع هنا ووحيد.. وتسلقت الحيرة صدره وخنقه الأسى فتحرك الغلّ في صدره، وقبل أن يتمكن من إدراك ما يستقر في وعيه، وجد نفسه يصرخ بلا صوت :

- وما شأني أنا بحملة عسكرية مثل هذه لأقحم فيها ؟!

وما علاقتي بحرب الريف؟

وإلى متى يظل المسلم يقاتل المسلم على هذه الأرض البائسة؟

لقد جمعوا لها العدة والعتاد، وجندوا لها أمهر المحاربين ولكن لأجل من كل هذا ؟.

وتمنى لو يعانق السماء...

لو يسكن السحاب...

وأحس بالنار تسري في دمه، تلتهم بقايا أحلامه فيتصاعد نبضه وتعلو أمواج رفضه، ودهمته رغبة قوية في الهروب.. فقصد مربط الخيل وفكّ قيد أحد الجياد واعتلى صهوته وانطلق كومض خاطف متدحرجا فوق الجليد، ينهب المفازات والمسالك والشعاب، ينفتل يمينا، ينعطف يسارا... يسقط ينهض.. وهو يحاذر أن يقع في أيدي هؤلاء أو أولئك.

ودخل المدينة ليلا فراعه سكونها الموحش، مشى بخطوات وئيدة في طرقات مقفرة، لم تقع عيناه خلالها على كائن يتحرك، حث خطاه نحو البيت وقد أطرقت الأحياء كلها صامتة.. عاد الوجه المغيب وومض مرعب يشع من عينيه.

- ها قد جئت.

قال لها إذ فتحت له الباب:

وأسرعت المرأة تعلن عن خوفها:

- لكن الشرطة تداهم البيت ليل نهار بحثا عنك...

وغص بقهره فرمقها بنظرة جانبية وحرك رأسه بانكسار.

- وأين كنت طوال هذه المدة؟

- في إحدى المغارات.

- لقد تحرّوا عنك في كل الأماكن التي كنت ترتادها

قالت وهي تقوده نحو غرفتها... أخذ يدير عينيه ببلادة في أرجاء المكان!

- ولم لا تسلم نفسك؟

وكأنها داست على جرحه البليغ فقد نفضته رعشة اهتز لها كامل جسده. . . أشعل لفافة تبغ سحب منها نفسا ثم قال بصوت جاف:

- لقد تخليت عن حراسة المعسكر ليلا وهربت.

نهض واتجه صوب المرآة، تأمل وجها شاحبا هدّه الإعياء فتداعى على الفراش منهكا وأخذ يحدق في الجدران. . . واجتاحه إحساس بالقهر، فهمّ بأن يتكلّم ولكنه لم يجد ما يقوله فسكت.

- جو البيت خانق كجوّ المغارة.

قال وهو يتجه صوب مقهى البحارة في آخر الليل. كان يحتسي مشروبه ببرود حين اقتحمت المقهى مجموعة من رجال الشرطة. . . وخيّم على الجميع صمت كثيف والرجل ينفث دخان سيجارته ويشيح بوجهه عنهم . . .اتجه نحوه الضابط بخطى ثابتة:

- أين كنت طوال هذه المدة؟

واتقدت عيناه بجنون مفاجئ:

- في مصح للأمراض العقلية.

عرفت أنك مطارد ومطلوب طبعا !

- أخبرني الأهل حين عدت.

ومع ذلك لم تسلم نفسك. . . .

لقد جئت إلى هنا لأسهل لكم مهمة اعتقالي.

وغادر الزنزانة وحزن مريع يملأ نفسه، فلقد تهدلت كتفاه. . . ولكأنّ الشيب قد اكتسح شعره فجأة . . .أما وجهه فبدا مهدودا لا

يطربه صوت، لا تغريه متعة، وترتجف أعماقه من الألم لأنه لم يستطع أن يغيّر في الحياة شيئا وهو يمرّ بتلك الأوقات العصيبة التي لم تزده إلا صمتا، وقد رأى الكثير من

الأهوال في هذه المرحلة الشاقة من حياته... كان الناس ينظرون إليه بعيون الحسرة وهو يدير عينيه ببلادة في كل الأرجاء... وتداعى على أول مقعد صادفه حين دخل البيت.

كان البعض يخترقون بعيونهم وجهه محاولين فهم ما ينوي فعله... والبعض الآخر يراقبون كل حركاته وسكناته وهو ذاهل عنهم يدخن سجائره بهدوء.

رفعت المرأة نحوه وجها محزونا ورمقته بنظرة يأس وقهر وجالت الدموع في عينيها فأسقطت ذقنها على صدرها وغصت بريقها فلم تنطق.

ومال الرجل إلى الانطواء وأنكر الناس، يدخل البيت ليخرج ممعنا في الصمت وقد أطلت من عينيه نظرة غامضة لا تشجع أحدا على محادثته... وصار يتغيب عن البيت لساعات طويلة وأيام....

وانشق الباب ذات صباح عن حيوان منكسر متهدل الأذنين لم يره أحد حين دخل غرفة "بوعزيز"، وطاف جوانبها، تشمم زواياها وخرج، وبمجرد أن توسط فناء الدار حتى أخذ يقلب عينيه الكبيرتين في كل الوجوه الفزعة، ثم أرسل عواء موجعا نحو السماء وأولى الجميع ظهره وهوى على الأرض.

- إنه كلب.. قال أحد الجيران:

- بل ذئب... صحح الآخر:

واندفع الجميع نحوه محاولين إخراجه، لكنه هبّ واقفا ورفع

نحوهم عينين متقدتين وهو يثبت قوائمه بالأرض، أحضر أحدهم عصا واتجه نحوه فتحفز الحيوان متأهبا للعراك، ولكنّ الشاب عاجله بضربة على رأسه، فهاج ساكنه وانقضّ على العصا فأطبق عليها بين أسنانه، وحين ألقاها حدجه بنظرة مسعورة.لقد كان قادرا على الفتك به فما الذي منعه؟... وعنت لأحدهم فكرة : - لعله جائع وربما إن شبع انصرف من هنا، قال ذلك وهو يقدم له طعاما.

ولكن الحيوان رمقه بنظره جانبية حذرة ثم انكمش حول نفسه دون أن يلقي على الطعام نظرة واحدة.

وبغتة تدفق على البيت جمع من الأقارب والمعارف والجيران يبكون "بوعزيز" الذي عثر على جثته عائمة بين الصخور، وارتفع العويل والعواء معا.

ورغم أن كل من دخل تصطدم عيناه بذلك الحيوان فيستولي عليه شعور بالغرابة إلا أنهم كانوا منشغلين عنه ينتظرون وصول الجثمان من المستشفى... وتجاهل الحيوان فضول ووقاحة بعض المعزين مستسلما للصمت والحزن محدقا نحو الأرض... واقتنع الجميع أن قوة خفية قادت هذا الوحش الذي استنكر الجميع تواجده في الأول ثم صارت عيون المعزين تعبره بدون اهتمام وهو الذي أمضى ثلاثة أيام بلياليها دون أكل أو شرب أو نوم... وما أن أدخل النعش باحة الدار لإلقاء النظرة الأخيرة عليه حتى انتفض الحيوان واهتز اهتزازا منكرا ثم استجمع قوائمه وتبع الحشد نحو المقبرة.

قسنطينة 28/ 10/ 1999

حسيبة موساوي

* من مواليد 23 ماي 1973 بسطيف.
* تكتب القاصة والرواية.
* عضو في اتحاد الكتاب الجزائريينئ.
* رئيس تحرير جريدة غارديتيا.
* مديرة مكتب دراسات حاليا.
* نالت الجائزة الأولى في رواية "حلم على الضفاف " 2003.
* تكتب القصة القصيرة وحكايات الأطفال من أعمالها:

– المخطوطة: ذات خريف (رواية).

المحطة الأخيرة

عندما تشتد أعاصير الظلام تنتابني هواجس الليل الطويل... داخل لفافة باردة، أحاول أن أهجر الشتاء بالرحيل إليك، وأنا أستوقف عندها كل ساعات العالم... كل الأزمنة التي كنت أدور فيها مثل الناقوس، وتمر أنت قبالتي يتحرك فيك شيء مني، حين أتذكر كل تلك الفترات الجميلة التي أغدقتها حبا لك... كنت أحاول أن أمددها داخل حلك الليل. فيأتيني ذلك اللقاء الأخير عند المحطة، عندما أردت أن تختفي عن كل أزمنتي وترحل إلى مدن تبحث عني... تبحث عن لقائي... تبحث عن اجتماعي بك... تبحث عن حبي، كانت ساعة المحطة تدوي برقصاتها كل العالم، فتحدث إيقاعات كثيرا ما يهتز لها ذلك القطار الطويل الفاغر أحشاءه كثعبان يلتوي وسط الرمال في صحراء قاحلة وهو يقطع تلك المدن المتلاحمة وكنت أنت أحد المعجبين به لأنه سيأخذك إليها أما أنا فكان يستهويني انتظارك أبدا... انتظار عودتك، ساعتها يستفيق آخر مني، لا أدري طيف من؟ أهو طيفي أم طيفك؟ أم طيفنا نحن الاثنين:

- أتذكرني يا حبيبي؟؟ أتذكر تلك اللمسات الدافئة التي طبعتها عليك بقية شتائك البارد؟ أتذكر قبعتي الحمراء؟ أتذكر معطفي الأسود؟ أتذكر حقيبتي المعبأة بأشلائي واهتماماتي؟ أتذكر تلك الفقاقيع التي راحت تحجبك عني ورحت أمحوها بأناملي الناصعة... البيضاء؟؟ لحظتها أمسكت بها وطبعت عليها قبلتك الأخيرة وقلت:

- ما أجمل هاتين اليدين!! وما ألمسهما!! كم أعشق رائحة هاته الأنامل الطويلة النحيفة!! كم أعشقك يا حبيبتي.

عندها تحركت داخلي أشياء لا لون لها غير الضباب والحشرجة وهي تتسحب ذلك القلب المرهف، تسللت دمعة هاربة من عيني تريد أن تلحق بك وتمسك بطرفة منك، علك تستعطفها؟؟ فتكف عن رحيلك، ولكن كنت قاسياً جداً معها وكنت مهذباً في الوقت نفسه، مسحت تلك الدموع الحارة، المرسلة من قيض أصياف وأصياف من العمر، ورحت تتذوقها بعذوبة وتألق كأفلام الرومنسية، لم تترك لي شيئاً خشناً أهجرك به، لم تترك لي غير ابتسامة توعدني بها... بلقاء آخر عند هذه المحطة. اخترت أن تختفي وتختبئ داخل تلك المدن حتى تكبر وتصبح جاهزاً للامتلاء بي.

- كم من مرة قلت لك أنني بحاجة إليك وأحتاجك صغيراً تكبر معي وتكبر داخلي؟؟ أريد لآلئك تملأني الآن وتفرغني داخلك وداخل كل أعمارك القادمة.

قلت وأنت تحاول أن تملأ عينيك عساك تأخذني داخلها:

- مستحيل أن أغامر وأوقع ذلك الوثاق بيني وبينك وأنا ما أزال صغيرا لا مستقبل لي هنا في هذا المكان وعند هذه المحطة بالذات.

كنت لحظتها بارداً جداً كذلك الصقيع الذي يشرخ أجسادنا وأحلامنا، أيقنت لحظتها أنك لن تتنازل عن هاته الهجرة، وعن هاته الغربة وعن هذا الفراغ... لحظتها فقط أيقنت أنني سأفتقدك عمراً... سأفتقدك محطة أو محطتين أو أكثر، وأنا التي كنت أملأك عمري حلماً وحلمين وأكثر. تراك تتذكرين الآن؟ تراك تتذكر تلك المحطة؟ تراك تحملني داخل أشلائك المبعثرة داخل تلك المدن التي تفصلني

بضع محطات وأكثر؟؟ أما أنا فكنت أذكرك داخل تلك الشتاءات الباردة، أين كان الصقيع يصفعني ويشرخ جسدي كل مرة صفق فيها قطار المحطة في حنين للعودة وآخر راحل ولن يعود. كنت كل يوم أمتلؤ بك وأحلم برجوعك وأسأل نفسي كم تراك اليوم عبأت مني؟؟ ومن تلك المحطات؟؟

حتى تعود إلي سالما تحملني عندك وتفرغ حقيبتك المعبأة بأشياء لا لون لها قد أتيت بها من تلك المدن لعلك تتقرب إلي بها. أتراك تريد أن ترضي حبيبتك أم تريد أن ترضي غرور ذاتك التي ذهبت تعبؤها من تلك المدن المفرغة مني؟.

كان ليلي طويلا جدا وكانت ساعة الحائط تدور بلا توقف وأنا داخلها أحمل كل المحطات التي تركتها خلفك، تراك ستتذكرني غدا، سألبس قبعتي الحمراء ومعطفي الأسود وسأقف بالقرب ساعة المحطة كما تركتني آخر مرة لتودعني فيها حتى تستقبلني عندها وتطبع علي قبلة اللقاء بدل الوداع وتنزل الستار عن كل تلك المحطات التي سبق وأن مررت بها لتمر بمحطتي الواحدة والأخيرة. لم يغمض لي جفن وأنا أفكر في تلك المحطة وأفكر في ساعة المحطة وأفكر فيك بل كان تفكيري فيك عند تلك المحطة وعند ساعة المحطة لم أحس بغبش السماء وهو يفتح لوحة جديدة على المدينة ويشرع ذراعيه لها يحتضنها تحت توهج قرص الشمس المتلألئ في يوم قارص كهذا، الثلج كان يغطي كل الطرقات والشوارع وكل المضايق، وحدها آثار الأقدام تنافس المحطة في العبور والتأريخ، وقع أقدام كل الذين مرقوا من هنا في عجل وفي خلسة عن تقرصه عقارب ساعة المحطة، وكنت أنا واحدة من هؤلاء الذين مرقوا وطبعوا أقدامهم هاته اللآلئ الناصعة ومروا من هنا ليصلوا إلى المحطة ويوقعوا آخر لقاء جمعهم بها وجمعهم بكل الذين تركوا لهم مساحات الود والحب داخل قلوبهم

التي تحولت هي الأخرى إلى محطات تحمل ساعات حائطية بها نواقيس تمر بها وتعلن عليها رحلاتها الاستعجالية.

أخيرا ها قد وصلت في الوقت المحدد لوصولك أنت عند تلك الساعة بالذات، التي تركتني عندها وقفت في عجلة أترقب منظرك الجديد، أترقب أقدامك، أترقب طلاءك الذي أتيت به من هناك، من وراء تلك المدن وحذافيرها، أترقب طلعتك الجديدة التي ستحملني عندك في شوق لاهث وحضن حار جدا يبعدني زمنا آخر عن تلك المحطة الباردة جدا والشتوية جدا والمثلجة جدا، نزل كل الذين صعدوا يوما، ورجع كل الذين ذهبوا يوما عاد الجميع إلى محطته الأصلية وبقيت أنا واجمة أنتظر مفاجأتك لي، أنتظر عودتك بعد هذا الغياب، ترى أي عربة تحملك عندي؟ أهي الأولى؟ أم الثانية؟ أم الأخيرة؟ ترى ما هو رقم بطاقتك العائدة إلي؟ البرد نخر عظامي لم أعد تلك الطفلة البريئة التي يدفئها الشتاء والبحث عن المغامرة والقفز من أعالي الصخور وقمم الجبال، حبك المستمر والمتأني أثقل كاهلي فأصبحت لا أقوى على حمل تلك الفتاة المغامرة داخلي، أريد أن تخرج في استعجال من عربة من هاته العربات حتى تحملني وأحملك داخلي وتملأني لآلئك من جديد. أخيرا ها قد لاح طيفك في الأفق يرنو مني كالطفل الرضيع، المتلهف لصدر أمه الممتلئ، أخيرا ظهر سماؤك العائد إلى بطيب غير طيب، وحقيبة غير ذي الحقيبة التي رحلت بها يومها، أين هي نظارتك؟ أين هي تلك الفقاقيع؟؟ لقد اشتقت إليها حتى أمحوها من على نظارتك، اشتقت إلى لمساتك وهمساتك اشتقت إلى رحيق كلامك، إلى نغمة وصالك وأنت تهدهدني بها داخل أحضانك، ترى هل تلك المدن أزاحت تلك الغشاوة التي كانت تظلك؟؟ تراها ابتاعتك عيونا اصطناعية فتخيلت عن جزء مني وشيء كنت أحب أن يبقى منك، كانت خطواتك تقترب

مني أكثر فأكثر وتوقيعك يؤرخ الأثر تلو الآخر إلى أن بلغتني، وقفت وقفتك الأرستقراطية في تخايل وكبرياء حتى زدت شموخا وارتفاعا، كانت خطوتك بمثابة خطوتين لي وتوقيعك على تلك الثلوج كان أقل من عدد توقيعاتي، هامتك ترفعك ذراعين وأكثر وهامتي تقصرك ذراعين وأكثر. حدقت في مليا وكأنك تجهلني

ولا تعرف عني غير تلك التوقيعات التي وطأتها قدماي ورحلاتي ومحطاتك، كنت انتظر لهفتك وشوقك لكل تلك السنوات حتى تغسلها بالارتماء داخل أحضاني...أن تبلل دموعك معطفي... أن تعتذر لي وتعتذر لكل محطات التي تركتها خلفك والتي تركتني فيها أدور مثل ناقوس الساعة.

فاجأتني كلماتك!! فاجأني تفكيرك!! حتى حلمك!؟ حتى رقمك وتوقيعك الذي كنت دقيقا في حسابه وحسابي...فاجأني حضورك عند المحطة الأخيرة تبرر انسحابك ...فاجأني لقاؤك وأنت تستعجل محطات ومحطات أخرى.

وكنت أنا المحطة الأخيرة عند تمام الساعة التي ولدت أنت فيها من جديد وعليك أن تستعجل محطة تهجرني بها وعندها تقف امرأة ما تزال تحمل طفلة داخلها. تستطيع القفز من أعالي الصخور وقمم الجبال، أما أنا فقد فأتني القطار عند تمام الساعة التي ولدت أنت فيها.

حفيظة ميمي

* أدبية وفنانة تشكيلية واذاعية.
* التخصص الدراسي : ليسانس علوم اقتصادية.
* صحفية منذ سنة 1990 بالصحافة المكتوبة ثم بالصحافة المسموعة بإذاعة الأوراس المحلية، أما بالصحافة المرئية فكانت لها تجارب مع محطة التلفزيون، وذلك بانتاج سلسلة تلفزيونية حول الفن التشكيلي في الجزائر.
* تكتب القصة والخاطرة والشعر، صاحبة المجموعة القصصية "ممنوع قطف الأطفال"، كما تكتب مسرح وقصص الأطفال مع رواية في طور الإنجاز.
* حاصلة على العديد من الجوائز الأدبية الوطنية والدولية أهمها:
  - الجائزة الوطنية الأولى في مسرح الطفل (1994).
  - الجائزة الوطنية الثانية في أدب الثورة من وزارة الثقافة (2001).
  - جائزة فوروم نساء البحر الأبيض المتوسط(2003).
  - الجائزة الوطنية الأولى (أول نوفمبر) (2004).
* رسامة تنتمي إلى المدرسة الواقعية، السريالية والرمزية.

حكاية أوراسية(*) أكثر مما يجب ...!

من وراء الجبل الأزرق[1]، مازالت باحتشام كبير تطل القرية الصغيرة، وهي تتوارى في ظلاله ساعة الشروق كأنها عروس تتخفّر بوشاح الخجل العذري، ، بيوتا ت الطين تنكمش على نفسها أكثر مما يجب، فاسحة الفضاء لمرج أخضر لا ينتهي إلا عند أحد الأزرقين ؛ السماء العالية أو الجبل العاتي، عتوّ أهالي القرى الأوراسية المنكفئة في حماه من هنا وهناك في نسق من الطبيعة متكرر لكنه عجيب.

ومن على سطوح تلك البيوتات المتعانقة يتصاعد في كبر الدخان ممزوجا بأنفاس الصبح الندية، فتتهادى "زينة" -أجمل صبايا الدوار[2]- في مشيتها كالطاووس، الذي تزيد من غنجه رنّة خلخال الفضة المائل فوق نقش الحناء في قدميها، ، تمشي الهوينى وهي تعبث بنهايات جدائلها الطويلة، لكنها كثيرا ما تتعثر في ملحفتها[3] السوداء

(*) نسبة إلى الأوراس؛ منطقة بشرق الجزائر تضم عددا من الولايات، عاصمتها مدينة باتنة التي انطلقت منها أول رصاصة في حرب التحرير الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954، ولقد سميت نسبة إلى سلسلة جبال الأوراس التي يصل ارتفاع بعض قممها إلى "2328" متر، ويعرف أهلها (الأوراسيون أو الشاوية) بالشجاعة والقوة.

(1) الجبل الأزرق : جبل بمنطقة الأوراس.

(2) الدوار : بالعامية / القرية.

(3) ملحفة : لباس نسوي عريض خاص بالمناطق الجبلية في الأوراس.

المزركشة الحواف، وهي تغادر الفراش أول الفجر شبه ناعسة، ، ! تستفيق بعدها على عمل يبدأ ولا ينتهي إلا عندما تجهد عيناها نصف المغمضتين في تبيان الخيط الأبيض من الأسود دون جدوى، فتعرف أن الوقت قد حان، تخرج من وراء المنسج[4] وكثيرا ما تتعثر الملحفة بها وهي تأوي إلى الفراش جد ناعسة، دون أن تتخلى عن حلمها السرمدي بغد قد يحمل الجديد؛ أي تغيير أو اختلاف عما سبق من أيامها المتشابهات، ، لكنها مع ذلك دائما تردد بينها وبين نفسها بصدق كبير ما تحفظه عن ظهر قلب منذ الصغر، وما تردده ليل نهار النسوة في الدوار بمناسبة وبدون مناسبة :

- المرأة لابد خارجة من بيت أهلها اليوم أو غدا. . . . ! خرجة من اثنتين، إما وهي تزف إلى بيت زوجها أو. . . .

تصمت قليلا ثم تغمغم الباقي بصوت يكاد يكون مسموعا :

- أو. . . بعيد الشر، إلى قبرها. . . . !

أجل، فالمرأة تكرّم في حياتها من طرف إرقازن[5] مرتين، وهي تحمل إلى هودج الفرح كأحلى عروس، أو وهي تحمل على الأكتاف في نعش إلى مثواها الأخير كعروس أيضا، لكنها عروس من عرائس الجنّة هذه المرة. . . ! شيء ما في داخلها لا تعرف كنهه يشعرها بالاعتزاز والفخر، فشرف عظيم في نظرها أن تحمل هكذا فوق الجميع كالأميرة. . . ولا يهم في أي من الحالتين ستطل من علٍ على القرية الصغيرة، ، بل المهم هو أن يحدث شيء ما يوقظ القرية النائمة منذ وقت طويل. . . !

---

(4) المنسج : أداة تقليدية مصنوعة من الخشب تستعملها النساء يدويا لصنع الأغطية والألبسة الصوفية.

(5) إرقازن (ثلاث نقاط فوق القاف) : وهم الرجال باللهجة الشاوية.

ورغم أن "زينة" لا تعرف القراءة ولا الكتابة، ولا تسمع شيئا عن علم الاحتمالات إلا أنها تدرك جيدا وبخضوع لاإرادي ؛ أكيد هي ستكون إحدى العروسين. . . ! واحدة من اثنتين، فإذا كانت المجموعة تتكون من كرتين إحداهما بيضاء والأخرى سوداء فسيأتي يوم، مهما بعد تكون فيه من نصيبها إحدى هاتين الكرتين، عفوا أحد هذين الحظين ؛ الأبيض أو الأسود. . . ! ورغم إيمانها القوي بذلك إلا أن في دواخلها توق غريب لشيء آخر غير مألوف، تراه ما هو. . . ؟! ولم تنتظر طويلا، فقد خبأ لها القدر مفاجأة عجيبة ؛ كرة ثالثة خارج المجموعة لم تكن يوما في حساباتها البريئة، هي الساذجة العفوية بطبعها، ، كرة وما هي بكرة. . . ! حمراء بلون الدم، مغرية كتفاح الفردوس ونابضة بالحياة كالقلب، أجل كالقلب، ، فقد عرف القلب الصغير بين جنباتها نبض الحب. . . ! وعلى حين غفلة خيروها :

- الكرة البيضاء أم السوداء ؟!

- لكنّني أريد الحمراء. . . !

- الحمراء لا توجد في المجموعة، إذن إما بيضاء أو سوداء ؟!

وتصر على الحمراء، فعقلها الصغير لا يدرك أننا في علم المنطق، من أبسط المسلمات التي لا يختلف فيها اثنان ؛ أننا لا نستطيع أن نختار ما هو غير موجود، ولا في علم الاحتمالات أن نحمل بالصدفة أو بالاختيار كرة من اثنتين هي أصلا غير موجودة في المجموعة، بديهي جدا، فقدر الصبية إذن محصور بين اثنين ؛ إما أن تخضع للزواج من هذا المجهول الذي يصرون عليه أو انتظار المجهول الآخر الذي يبقى في علم الغيب، ألا وهو الموت. . . ! لا

مجال للخروج من برانيس[6] العادات والتقاليد التي تحمي العشيرة منذ أمد بعيد...! لكنها كالمتمردة التي تضرب بكل شيء عرض الحائط، ففي منطقها هي، وعلى حد علمها هي، من اختاره قلبها موجود، موجود...! قريب وحبيب، حي وينبض قلبه بالحب، ، فكيف تصدقهم وتكذّب قلبها...؟! كيف تخضع لقيودهم وتتخلى عن حرية انطلاقها...؟! بل وكيف تؤمن من جديد بما تردده النسوة في الدوار، وهذه السماء أمامها فسيحة فسيحة...! وجنّ جنونها فالرغبة في الطيران تقتلها، وهذه الأثقال إلى الأرض تشدها...!

- أما من خرجة ثالثة غير هذه وتلك؟! أما من خرجة حتى ولو كانت مع هذا المجهول الثاني...؟!

ولسرعان ما استغفرت ربّها، هي وإن كانت تطمح إلى التحليق بعيدا، إلا أن جناحيها كجناحي عصفور بلّله المطر، بل أكثر، ، كاد في الطين أن يغرق...! ورغم ذلك هي لا تريد أن تخرج عن القاعدة، لا تريد أن تكون ذلك الاستثناء غير المباح أو تلك الطفرة غير المحببة أو الشاذة، ، هي الشاوية[7] الحرة لا تحبذ بأي شكل من الأشكال أن تمرغ أنفها وأنف عشيرتها في تراب الفضيحة والعار...! وتغرق أكثر، ، لكنهم أرغموها بفرض خرجة الهودج مع من لا تحب، ، وقلبها الصغير يرفض خرجة بدون هذا الذي يشبه الكرة وما هو بكرة، أحمر يفور كدم الشباب، مغر كفاكهة الجنّة، ونابض كالحياة بل هو الحياة ذاتها في أجل صورها، جميل ومحبب كالسعادة، كالخلود، ، وهل من زار الجنّة يفكر في الرجوع...؟!

(6) البرانيس : جمع برنوس وهو لباس رجالي خاص بمنطقة الأوراس، مصنوع من الصوف.

(7) الشاوية : الأوراسية، كما تطلق على مجموع أهل الأوراس.

- هودج أو نعش، آه أما من مفر. . .؟!

فكرت ولم يسعفها عقلها الصغير على التفكير، توسلت، بكت حتى تقرّحت عيناها الخضراوين، ، وباتت ليلتها جد آرقة، لكنها حسمت أمرها أخيرا، لا أحد سيثنيها عن اختيارها مهما كلف الأمر، أجل هي الكرة الحمراء ولا شيء غير ها(لحمراء. . . .)! وطار القلب إليها، عفوا إليه، ، ذاك الذي أسموه الغريب، الذي عبأ رأس الصغيرة بأشياء كبيرة، ، أكبر حتى من أحلامها. . .! كان ينتظرها وقلبه يخفق من شدة الشوق والخوف، ، وعيناه السوداوين تحت جنح الظلام يراقبان المكان في حب وجزع كبيرين، ، ولاحت له من بعيد في ملحفتها السوداء المزركشة الحواف، تتهادى كالطاووس، مع فرق أنها الليلة مسرعة الخطى إليه على غير عادتها، ، وكأنها تضع بإصرار أولى خطواتها على عتبة التغيير، ، فخفق القلب ممنيا النفس بقرب اللقاء، أسرعت أكثر، فتح ذراعيه فاحتضن طلقة البارود. . .! تعثرت هي في ملحفتها، دائما تتعثر في ملحفتها، أو هي الملحفة التي تتعثر بها، ، بل الأكيد أن الطيور التي تريد أن تغير مشيتها لابد أن تتعثر وتسقط. . .! بل هي فعلا سقطت وانتهى الأمر، صرخت هاتفة باسمه، زحفت إليه، وضعت رأسه في حجرها، بللته عبراتها السخينة فابتسم: " أحبك " وراحت كالمجنونة تتحسّس كرتها الاختيار، كرتها التغيير أو كرتها الاختلاف، ، بل كرتها المستحيل. . .! فوجدتها فعلا حمراء، فقد انفجرت دماء حمراء، ، آه، انفجر قلبه الصغير هذا الشهيد. . .! وانفجرت معه آخر فقاعات الحلم والأمل في غد جديد، ودنيا مختلفة قزاحية الألوان، ضاع كل شيء، ، فقد ضاع من بين يديها الحب، ضاعت من بين أصابعها الكرة العجيبة وإلى الأبد. . .!

عجيب، هم لم يتغيروا، لم يختلفوا، ، يتصرفون مع كل الأحداث بنفس الطريقة وبذات الوتيرة...! لم يراعوا حالتها، شدوها من جدائلها الطويلة، تعفرت ملحفتها، تمزقت بل تلطخت بالدماء...! وكالصدمة، كالصاعقة خيروها ثانية :

- الكرة البيضاء أم السوداء...؟!

لم تجب، صمتت، ربما لم تسمع، ، كرروا السؤال، ألحوا، ، ربما تساءلت بينها وبين نفسها :

ألا يتعبون من السؤال؟ ألم يملوا منه بعد...؟! جهدت عيناها نصف المغمضتين في تبيان من حولها دون جدوى، فقط صوت أمها المجزوع الذي حافظ على حنيته الفائقة، اخترق قلبها بردا وسلاما :

بنيتي، ، لك ما تريدين، إن شئت أصنعها لك كرة من طين أو من عجين أو من ذهب...؟!

إن شئتها كرة بألوان قوس قزح أجلبها لك من بلاد الهند أو الصين...؟! فقط قولي، أي الألوان تريدين...؟! تمنّي علي حمراء، خضراء، زرقاء...؟! أهديك صغيرتي عيني إن شئت كرة بها تلعبين وتمرحين...!

وضاعت كلماتها الأخيرة مع شهقات البكاء، فلم تعد تعي شيئا، ورغم ذلك لم تنبس "زينة" ببنت شفة، ربما لم تعد للألوان عندها ذات الأهمية، أو لم تعد للأشياء كلها أهمية، ، سيان فهم لم يحفلوا بها ولا بالخوف في عيني أمها...! لقد كانوا أوراسيين أكثر مما يجب...! مثلما هو كل شيء من حولها أوراسي أكثر مما يجب...! عتوّ الجبل الأزرق، جبروت والدها وطيبة أمها المغلوبة على أمرها، ، وخارطة الوشم على جبينها التي كانت حدودها أكبر

مما يجب، ، وحبهما الأوراسي الكبير أكثر مما يجب قوة وإصرارا. . . ! وأشياء أخرى كثيرة بكل تفاصيلها الصغيرة ؛ ملحفتها مثلا التي كانت أطول منها أكثر مما يجب والعائدة لأمها فهي لم تفصل جديدا منذ مدة طويلة. . . ! وخلخالها الأوراسي أكثر مما يجب، الذي كانت رنّته المتميزة في قدميها توقظ قلوب القرية كلها قبل كلابها. . . ! أجل، أوراسيون أكثر مما يجب، ، فقد كرروا ذات السؤال مرة وأخرى دون كلل أو ملل، كرروه دون أن يحيدوا، دون أن يتغيروا أو يختلفوا قيد أنملة. . . !

- بيضاء أو سوداء. . . ؟! بيضاء أو سوداء. . . ؟!

- بيضاء أو سوداء. . . ؟!

ولم تجب، ، ربما جاءها سؤالهم باهتا أو ربما هي الإجابة التي سوف تكون باهتة إن هي تفوهت بحرف واحد منها، ، أو ربما لا هذه ولا تلك، هي فقط أدركت أن الوقت قد حان، فاستسلمت بفرح إلى حضن أمها. . . ! كرروا السؤال آلاف المرات بنفس الطريقة وذات الوتيرة، ، فلا حياة لمن تنادي. . . ! تعالت الزغاريد، حملوها على الأكتاف كعروس من عرائس الجنّة لتطل من علٍ كالأميرة على القرية الصغيرة، ، دون تغيير أو اختلاف حملوها، ، كاللاحدث فعلوا، ، ولم يتغير أي شيء، ، بل لم يحدث أي شيء - كما كانت تظن الصغيرة- قد يوقظ القرية النائمة منذ وقت طويل. . . !

دفنوها هناك بقربه بسفح الجبل الأزرق عند نهاية المرج الأخضر، فنبتت على قبرها وقبره أزهار بكل الألوان ؛ بيضاء، صفراء، حمراء. . . ! هي التي ذهبت وبراءة الأطفال في عينيها مبتسمة :

- هي ذي الدنيا تتلألأ مزهوة بألوان أخرى مختلفة، فلماذا يصرون على الأبيض والأسود...؟!!

رقدت الصبية مطمئنة إلى جواره إلى الأبد، ، وكل أهل القرية الصغيرة بمحاذاة الجبل الأزرق مع كل غروب، عندما تسحب الشمس كعادتها آخر ذيولها الملونة من على القبرين المتعانقين، يترحمون على العاشقين الصغيرين بنفس الطريقة وبذات الطقوس، متسائلين في حيرة عن أي الكرتين، عفوا عن أي الاحتمالين كان نصيبها، فهل كان قدرها أبيض أم أسود...؟!

هي حيرتهم التي كانت أوراسية بعض الشيء، أو يمكن أن نقول أنها كانت أوراسية كثيرا، ، أو ربما هي طريقة تفكيرهم التي كانت كذلك أكثر مما يجب...! بل الأكيد الذي لا يختلف فيه اثنان، هو أن الحياة في القرية الصغيرة عند سفح الجبل الأزرق هي التي كانت مختلفة عن الحياة في أي بقعة أخرى من الدنيا، مختلفة أكثر مما يجب...! أو على حد تعبيرهم كانت أوراسية أكثر مما يجب...!

حكيمة جمانة جريبيع

* ولدت بعين مليلة أين زاولت دراستها الابتدائية، وفي هذه المرحلة بدأت بكتابة أول محاولاتها الشعرية التي نشرتها في المجلة المدرسية.
* بمطالعاتها لكتب القصة العربية والمترجمة، اكتشفت عالم القصة الجميل وأحداثه المثيرة فمالت إلى هذا الجنس الأدبي.
* في مرحلة التعليم الثانوي بدأت تنشر أول محاولاتها الأدبية.
* متحصلة على شهادة ليسانس آداب، من جامعة "قسنطينة".
* تشتغل أستاذة تعليم ثانـوي.
* عضوة في إتحاد الكتاب الجزائريين.
* شاركت "جمانة" في عدة ملتقيات أدبية وطنية، وتوج جهدها الأدبي بنيلها لجائزة الامتياز في القصة التي نظمها منتدى نساء البحر المتوسط بمرسيليا سنة 2003.
* للكاتبة مجموعتان قصصيتان مطبوعتان وهما:
  - جزر الروح سنة 1999.
  - مصادرة الوتر سنة 2003.

مطر المسافة

ورقة أنا على ناصية الطريق، من كتاب مقطوع، هرّبنها الريح لتمارس عليها سطوتها. . .

أجدل من ذا الحاضر الكذبة حبل الوهم . . .أسند ظهري إلى عمود كهربائي كان قد انتأى عن أتباعه كما أنا. . . المطر يضرب وجهي، يوقظ فيّ بقايا حلم، تلوكه ذاكرتي من شرفة مساء رمادي يشبه إحدى مساءات الماضي المغتصبة. . .

نظراتي التائهة في اللاشيء، يشدّها سرب السنونوات فجأة وهو يشق دروب الغيم: (ما أشبهنا). . .

أبواب السماء تنفتح بسخاء فائض، الخوف الراعش يطرق قلبي الذي أصلادته التجربة رغم أن المطر كان يغريني من الصغر، يحلو لي دوما السير تحته ورأسي عارية إلا من السؤال، وما كنت أخشى يوما على شعري كدأب بنات جنسي وهن يحتطن لنعومة شعر اجتهد فيها المجفف ورذاذات المثبتات المستوردة، أتلذذ الماء، يصقع رأسي من حمّاه وهو يجرف معه بعض الألم النائم بعين مفتوحة. . .

أستعيد سبت "باب الواد" الأسود. . . أثر الفيضان الذي اجتاح الحيّ يرمقني من جبال الوحل وجدران البنايات التي لم يجف نداها، شبح الموت رابض على الطرقات. . . أحسه يقترب مني، يجتاحني كما الماء يسلبني طمأنينتي والمغيب أخذ يزحف وأنا على الرصيف

واقفة... أمر غير متوقع، سيارات الأجرة أضربت كلها ولم يضرب جسدي عن السفر... ألقي نظرة خاطفة على حقيبتي... كانت تتهادى على بركة الماء... وأوراق المؤتمر في حافظة تأتمنني على مداخلة غد قد لا يأتي، برفق أحضنها، أتحسسها بين الفينة والأخرى، تسابق يدي الماء المنساب على وجهها، تدفعه باضطرار آلي... وأعود إلى بقايا حلمي، ألوك بعض آخره عيناي حائرتان بين السنونوات وطول انتظاري...

يغسلني المطر، تراه يقوى على تخليصي من ذاك الركام؟!

أذناي تعبان من معزوفة الماء علني أنسى ثقلي المباغت، وأنا في نبع معطفي الصوفي الذي ازدادت وطأته على جسدي... رائحة جديدة تسري في المكان عهدتها وما عهدتها...

تستقر بأنفي... أخرج عن دائرة شرودي لألتفت إلى يميني، كان من لحظات، يحمل مطارية سوداء قرّبها من رأسي وما أحسست بوجوده لولا رائحته... للمدخنين رائحة خاصة خبرتها من غرف إخوتي التي كنت تلفظني إلى خارجها بعدما تستحيل إلى مداخن ...

ثمة ما يربكني، لفحات حرارة لم تبرح سجيّتي رغم الزمن الهارب، تفضحني وترسم أقحوانيتين على وجهي التجريدي... كأنه يريد أن يقول شيئا... تتحرك شفتاه تهمسان: (ناوليني الحقيبة، سيارات الأجرة دخلت في إضراب مفتوح، ويستحسن ألّا تبقي واقفة... قد يقضي على قواك الانتظار...!).

وأسرح بعيدا على وقع جملته الأخيرة، أقلّب صفحات ذاكرة اعتقدت أنّني أحرقتها لكنها لم تحترق، لقد قتلني الانتظار خمس سنوات كانت كافية لتجعل مني هامة بلا نبض... لقد رحل رجل

العمر إلى بلاد العم سام ليخلّفني وحيدة أمضغ سأم الأيام وأعدّ قتلى الأزمة في المشافي . . . هرب بغتة ولم يعد بعد أن خيّرني بين البقاء والسفر، أنا من قتلتني البطولة الشرقية وآثرت الوطن على الحبّ. . . كان لا يزال على يساري، أدرك ظمأه للكلام، ألمح حركة شفتيه، وأنا على وقع جملته المشحونة التي أشعلت فتيل الذاكرة، ألتقط آخر كلماته (ناوليني الحقيبة، هل تقوين على قطع المسافات الطويلة ؟!)

غريب أمر هذا الرجل كأنه يتعمّد انتقاء جمله المشحونة. . . كأنه يمشي على ألغامي الغائرة. . . خمس سنوات وأنا أمشي على الجمر، أقطف أشواك الدروب، أرصف الطرقات علني أجد رسالة أو برقية هربت خطأ من قلبه. . . أفتش بين كوّات البريد. . . ألطم بكلماتي الثائرة سعادة البريد . . .

ألتفت إليه، أرثي غزو وحدتي، أرسم ابتسامة فاترة، وأوحي إليه بالجواب بإيماءة رأسي. . .

ونمشي تحت المطر كائنين تجمع بينهما سابق معرفة أفسدها شرخ راهن أدخل نفورا إلى أحدهما. . . الريح تراقص المطريّة، تلوي أسلاكها، تعانقها من جهتي الموالية لها. . . لحظة تحرر من تبعية بلا هوية تلج حناياي. . . تعقيدات الموقف، لياقته تشفع لتحمله. . . ولو أنه لا يغيّر رؤيتي، أنا من أخذت تلقيحا لا يختلف عن ذاك الذي كنت أعطيه لمرضاي ضد الحساسية وحياتي الآن هادئة بلا عاصفة . . .

صمت آني يبتلع الخطى الوئيدة، كنت أحس برغبته اللامتناهية في الحديث لكن لساني المثلج يمتص وهج كلماته. . . وهاهو يطلق العنان للسانه رغم برد الحصار، يجتهد أكثر في تكسير رتابة الطريق يدفع ملل المسافة . . .

- أتدرين أنك كنت أول من وقعت عليه عيناي وأنا أطأ قاعة المطار . . .

- لم أنتبه

- كنا على متن طائرة واحد، كنت خلفك في المقعد السادس. . . خالجني شعور غريب بأنني أعرفك وجهك مألوف لدي. . .

لا أدري كيف أجيبه، لم أعد قادرة على الغوص في ماهية الطرح كما في السابق، وأكتفي بردّ إنشائي.

- كثيرة هي الوجوه التي تتكلّم بلا صوت مسموع، ربّما صادفت يوما وجها قريبة إيحاءاته من لغتي. . .

- هذه المساحة في المخيلة، فجأة يعرّيها الموقف ويزيح عنها حاجز البرقع، لا أعتقد أنها تأتي من الخواء . . .

- لا شك أنك من الذين يؤمنون بالبعد الخامس.

يبتسم يمتد حديثه، لا يخلو من ثقافة وتجربة، ينحصر ثقل المسافة، تنبت الشكوك برأسي (لم يكن صدفة هذا اللقاء، لم يكن موقفا إنسانيا. . . هل رتّب للحظة أم جاءت تلقائية . . .؟)

- أين أبحرت أيتها البنفسجة ؟

- فبم أفسّر هندستك للكلمات. . .؟

- في حقيقة الأمر أنا مهندس معماري ولا غرو إذا جاء كلامي بأبعاد معينّة لكن تأكدي لا وجود فيها للأصباغ فهي تخرج على مقاس الموّجه إليه . . .

تنقص المسافة، لا يتوقف المطر وكلام الرجل المنقذ سيل آخر

يغرقني في الماضي الذي ألم قلبي والحاضر الذي يشتد عليه الخناق داخل أسوار الأبحاث والرحلات العلمية والمؤتمرات الطبية، وبهجة النجاحات التي لم يبتهج لها قلبي ...

كان بين الفينة والأخرى يرفع رأسه كأنه يريد أن يحبس بين راحتيه السماء، يتابع حديثه بالمهارة ذاتها، تستثير حيرتي وتبعث حيطتي، لقد تعلّمت أن أولئك الذين يحسنون الكلام يقدّمون معادلة صعبة... وأغيب في غمرة صوتي الآخر ليأخذني بعيدا... وتعيدني إلى الواقع حركة يديه وهو يقول: ها قد وصلت، والآن وقبل أن نفترق عديني أن تتصلي بمجرد عودتك...

على ورقة صغيرة كان قد دون أحرف مكان وأرقام خطّين هاتفيين، وأودعها قبضتي، ليمضي تحت المطر و(يغيب في الزحام)

أدخل النزل بتعب المسافة، وحديث ذاكرة لم تنطفئ، وحديث مطر لم يقو على غسلي من ألمي... ألج غرفتي الواسعة، أنتبه إلى يدي وهي تشدّ على الورقة الصغيرة بقوة... أفتح قبضتي، كانت الحروف والأرقام قد انمحت تماما... يا لسخرية القدر... رأسي والمطر يتحالفان في وئام ...

حمامة العماري

* من مواليد 20 أفريل 1963 بالهوارة "قالمة"
* تلقت تعليمها الابتدائي والثانوي بعنابة.
* متحصّلة على شهادة ليسانس في الحقوق وكفاءة المحاماة.
* نشرت قصصها في العديد من الجرائد والمجلات.
* لها عدة مجموعات قصصية منه: "الموت على أعتاب المنافي".
* عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ عام 1984.

الانتماء

تلألأت شمس الأصيل على وجه البحر الهادئ هذا المساء من شهر نيسان، وامتد بريقها يرسم دربا من نور تحت الماء، فانتبهت لهذا المشهد المبدع، واقتربت من الشاطئ، تأملت الزرقة المتموجة وإذا البحر كله ينسكب دفعة واحدة ليستقر في عيني أسماء، اقتربت أكثر حتى لامست أقدامها أمواجه الراقصة على أروع سيمفونية يعزفها الكون، حدقت بقوة في الدرب النوراني، ثم أرسلت آها محرقة وتساءلت بشوق ينبت شوكا في الوجدان"ألا توصليني أيتها الدرب إلى بلاد الضباب ؟؟"

وأجابت وكأن الدرب تسألها "من لك في بلاد الضباب ؟"

"درة القلب هناك، حلم العمر يحيا في بلاد الجليد والثلج"

جلست القرفصاء والصورة الغالية ترتسم على وجه البحر، "لم تنجبك امرأة يا زنبقة حلمت أن أزرعها في أرضي الغالية"، وهاجت الذكريات في القلب الذي مازال ينبض بالدفء والحياة، في درة البحر الأبيض المتوسط، العروس البيضاء، التقيا تعانق سواد عينيها وزرقة عينيه وتدفقت الدماء تمتزج، وهفت الروح إليه وهو على المنصة يتغنى بالأوراس الأشم، ويمتزج الشعور بالفخر على الأرض الطيبة والألم الدفين لفقدان الأرض الأم، قرأت على وجهه سنين العذاب وترحال معاناة، ولمس في صفاء وجهها الحب والأمان والاستقرار، وجهها

الذي يحمل سمرة الاوراس سكنه بامتلاك كبير، وعيناه اللتان تحملان مزيجا من الألم والأمل تحييان عشقها الساكن أضلعها لتلك الربوع التي طالما حدثتها والدتها عنها، تلك الربوع التي احتلت جزءا من القلب المفعم بحب الاوراس، شاعرها الواقف الآن على المنصة يصدح صوته يعظمه هذه التربة التي يقف عليها، فأحيا فيها انتمائها الآخر، ربما يقل عن انتمائها إلى هذه الأرض لكنه موجود، وها هو الحنين يدفقه دفعة واحدة هذا الشاعر ابن تلك الربوع.

اهتزت القاعة الكبيرة على اثر التصفيقات الحادة، إنها تصفيقات الإعجاب والاعتزاز، وقفت والنظرات متعانقة، امتلأت المنصة، حيته بطريقتها، ازداد التصفيق، امسك بيدها محييا الجمهور الكبير، ثم اختفيا خلف الستار، لم تجده غريبا عنها، ولم تحس بأن هكذا وضعا لا يليق بها، على الأقل، أمام أبناء دمها، ربما هي لحظة انساقت فيها الروح لرغبات الانتماء الآخر، لكنها لم تصحو منها، ولم يمنحها فرصة لتصحوا منها، ليست قصدا منه، بل لأنها سكنت القلب الذي ظل طويلا مغلقا إلا على حب ارض الوطن الأم، أحست أن قدميها تغو صان في عمق البحر وكأن البحر قد أصابه زلزال رهيب، تلمست محفظتها، مازالت في يدها، فتحتها بلهفة، أخرجت رسالته الوحيدة، حين سافر أول لقاء ومر زمن وهي تنتظر بألم. . . " سيدتي الغالية، ذات يوم قلت لك أننا أطفال نلهو بالنجوم، نبعثرها ثم نعيد ترتيبها على طريقتنا، انه قدرنا، قدرنا أن تكون هناك زنازين وأقبية بانتظارنا أينما حللنا، وليس أبشع من أن يدفع الإنسان ثمنا لإحساسه، وعدتك بالمجيء، لكنهم تأخروا في رد اسمي إلي فبماذا آتيك ؟؟غاليتي، ما تنازلت عن وعدي، فهل تأتين أنت؟ ستجدين صدرا مليئا بالأشواق، وروحا يسكنها الحنين كما لم يسكنها من قبل، تعالي، نصنع انتصارنا هنا، فالقرار قرارك في أن تمارسي معي لعبة الاستمرار، حتى إذا

اصدر لك الرب أمرا بأن كفي عن القتال، قولي، الهي عفوك، فلن التزم، تسابقت الدموع تمتزج بذرات الموج المتطايرة على اثر هبات النسيم، اختنقت الكلمات تصادمت معها، أخرجتها غصبا عنها، ليتني قلت أمرك ربي، ربتت على كتفها يد حانية، وقفت باضطراب، دست رأسها في صدره والدموع تنحدر من عينيها سيلا، وموج البحر يلتهم الرسالة التهاما.

- ليتني التزمت بأمر ربي يا محمد.

- له في ذلك حكمة، حاولي أن تنسي.

- ماذا تقول ؟ أنسى أسماء ؟ مستحيل.

- أنت اخترت فلترضى باختيارك.

تهالكت إلى جانبه في السيارة، انطلق بها بسرعة جنونية وكأنه يريد إبعادها عن البحر بأسرع ما يمكن، كي يبعد عنها تلك الصورة التي فتنت تذكرها، بمن وراء البحر، لكنها لم تتذكر بقوة كما اليوم، تساءل محمد، وهما يدخلان البيت، نجوى دوما تذكر أسماء، لكنها لم تتصرف كما هي فعلت اليوم، لم تجلس إلى البحر وحدها وبهكذا إصرار، تهاوى على الأريكة مرهقا بحالها، أما هي فقد دلفت مباشرة إلى الغرفة، تداخل رهيب بين الماضي والحاضر يكاد يفجر رأسها فارتمت على السرير، برأسها، سكنتها الغصة حد الاختناق، أعادته حشرجة الألم الآتية من غرفة النوم، من شروده، أسرع إليها، أسندها إلى صدره بحنان بالغ، مسح دموعها، "اهدئي أرجوك "، الغصة تتلاشى ببطء ودفؤه يمنحها الآمان، تنظر إليه ملياً، ثم تحدق بقوة في عينيه.

- أتدري محمد، أن عينيها تحملان لون عينيك الزيتوني، انه لون الأوراس...

- نجوى هذا مقدر، وأنت دوما تذكرين أسماء، لكن ما الجديد يجعلك تفقدين أعصابك هكذا؟

- ألا تدري؟ اليوم عيد ميلادها الثالث، اليوم تطفئ أسماء شمعتها الثالثة وأنا بعيدة عنها، ارتاحي قليلا وما تريدين سيكون... انسحب بهدوء والألم يسكن حلقه، وظلت عيناها تحدقان في السقف وكأنها تبحث عن ثغرة تبعث إليها بنسائم الليل الباردة، تلك النسائم التي تذكرها ببلاد الجليد، ثم أغمضتهما على الصورة الغالية...

ضاعت معه من بلاد إلى أخرى وأسماء تنموا في أحشائها، لا حقته الكلاب المرتزقة من ارض إلى ارض والخوف والألم يطاردها في كل بقاع العالم، وأسماء تنمو بصمت وهي تدرك أن لا انتماء ينتظرها، والدها يقاتل على عدة جبهات بلا اسم، بلا انتماء، بلا استقرار، وبلغ نمو أسماء لحظته الأخيرة في ارض من أراضي الوطن الجريح بجرح الأرض المفقودة، جاء الموعد في ليلة ظلت عالقة بذاكرة التاريخ، ليلة قنبل فيها العدو مخيم اللاجئين أبناء أرض الزيتون، صرخت من هول الحادثة "وأوراساه"، لحظتها فقط أحست كم الأرض غالية، وأن الغربة تجتاحها كعاصفة هوجاء، وجاءت أسماء تحت سماء الرب والعالم يشهد كيف يولد أبناء أرض الزيتون بلا اسم، بلا انتماء، وغاب الزوج تحت تأثير إصابته شهورا، وضاعت هي وطفلتها بين شطآن الغربة والعذاب والحرمان، الأورس يسكنها بقوة والشوق والحنين يكبران فتبكي بحرقة تنهش الصدر بأصابع مسمومة، " لماذا تركتك أوراس؟ لم أكن أدري أني سأعيش هذا الاغتراب الفظيع وهذا الحرمان الأفظع، سامحني مثلك لا يعوض بأرض الدنيا كلها، ليتك تأمر بعودتي، ليتك...

وتمضي رحلة الأيام ويأتي أمر السلطان أن اتركوا البلاد، ويبدأ

الترحال من جديد، مركب المنافي تنظر عند أول شاطئ، ومعها تبدأ رحلة المنفى من شاطئ إلى شاطئ، ودموع الشوق لا تجف، ونبضات الحنين لا تتوقف، والأواس الغالي يسكن الأعماق، وحده يقيم سلطانا في القلب، إلى أن رست سفينة الهجرات على شاطئ الجليد، أي قدر رميت به حتى أجدني أخيرا في بلاد الجليد والضباب ولي وطن تسجد له الشمس في كل حين، وبدأ الاغتراب يكبر ليصبح أخطوطا يخنق أيامها، فإذا هي مشتتة بين شطآن المنافي، وفي كل ليلة تنام بخوف الصباح الآتي موعد الترحال الجديد، وإذا هي تجد أن أي منفى سابق كان أهون عليها من هذه البلاد التي كادت تنسيها انتماءها وتفقدها هويتها، وهي ابنة الأوراس الأشم، فكيف ستعيش أيامها بلا انتماء وهي تنتمي إلى أطهر أرض في الدنيا؟ كيف والولد غالي وابن أرض الزيتون يرفض أن يكمل ترحاله وحيدا كما بدأ وحيدا، وأسماء أغلى ما منحته الأقدار، فدعيها له وأنت لك الأورس، والأوراس أغلى من أي بلاد، والاختيار بين أسماء فلذة الكبد والأوراس انتماءها صعب جدا، انه أعسر امتحان "يا رب السماء ما هذا القدر الذي يعاندني" وتحيا لحظات التمزق والصراع بين شاطئين متنافرين، الانتماء وللانتماء، أسماء يعني لا انتماء وضياعاً أبداً مستمر، والأوراس يعني انتماءا واستقرارا في ظل تربته الغالية، وكلاها أغلى من العمر كله.

ـ نجوى... نجوى...

انتبهت من كهوف الماضي الرهيبة على صوت محمد ابن الاوراس الحقيقي، والعرق يتفصد من كامل جسدها، اقترب منها، جلس القرفصاء، أمك يديها بحب كبير وإذا دفؤه يذيب عذابها ويكسوها بالرضى.

- ياه، حرارتك مرتفعة.

- لا تخشى علي، ستزول حالا وأنت بقربي.

- أسماء دائما؟

- وهل غيرها؟

- لك الاوراس الذي اخترته، لك انتماءك الحقيقي، لك أنا ابن الاوراس، هل تنكرين؟؟

- لا يا محمد، الأوراس هو انتمائي وسيظل دائما هو اختياري الأول.

زعراء طبيب

* الاسم الأدبي "أم البنين".
* من مواليد 01 جويلية 1964 بولاية سوق أهراس.
* أديبة عصامية.
* أحبت منذ نعومة أظافرها الشعر والقصة.
* تحولت لكتابة القصة القصيرة والاندماج في عوالمها الحالمة، ومارست العمل الصحفي.
* من أعمالها المطبوعة:
  - فراشات في دائرة الوهج (قصص).
  - همس الأصداف (خواطر)
* ومن أعمالها المخطوطة :
  - رقصة الموت الأليم (قصص).
  - خواطر الروح (خواطر).
  - مواسم العطش (قصص).

تصاوير فوق الغيوم

أحست بتعب نفسي رهيب، ينخر كل جزء من مكونات جسدها الورقي!! أصبحت في لحظة أكبر من سنها الموثق في شهادة الميلاد بعشرات السنين!! قد يكون بلغ الثمانين! المائة! ربما المليون!! أحست أن كل ما بداخلها أصبح شائخا ومتجعدا ومتيبسا مثل أوراق الخريف!! حاولت التشبث بخيط الصمود الواهي للحد من زحف هذه الأعاصير من الأفكار الغازية، من هذه التصدعات والإنشطارات الوافدة كضيف ثقيل الدم بأشياء تشغلها... بأعمال ذات قيمة، توقف بها انشطاراتها والحزن الذي بدأ يتسلق أحشاءها! تفشل في ذلك فشلا ذريعا... تفقد آخر ورقة من سجل مقاومتها! لا شيء ينسيها هذه التصدعات الآسنة التي اكتسحت مشاعرها فجأة... لا عمل هاماً لديها يصد عنها هذه الاقتحامات الصاعقة ولا اختيارات أيضا!!

حاولت قبل هذا ألاف المرات! وفشلت أيضا ألاف المرات لا تدري لماذا دائما الفشل هو حليفها الأول والأخير وإلى الأبد!!

حاولت واليأس يرتشفها أن تقرأ إحدى كتب الأدب المصطفة أمامها مثل العساكر التي تنتظر الأوامر! أو أن تتصفح إحدى الأسبوعيات المبثوثة بغير ترتيب فوق طاولتها الصغيرة تمتص كثيرا من الصمت وتلعق غبار آخر أيام الصيف القائظة.! القائظة جدا هذا العام.!! نفسها مسدودة تماما على كل شيء! لا شيء يغري... لا

شيء يمتع ولا حتى يثير الانتباه... كل الألوان المشرقة التي في عينيها إختفت... تحولت إلى لون واحد... على الأكثر لونين لا ثالث لهما... أسود.! رمادي.! ألقت نظرة خصام على كل مقتنياتها العمرية! استدارت بكآبة كأنها تودع فيها آخر أيام فرحها... آخر رمق سعادتها!! أخذت كرسيا خشبيا عتيقا وخرجت تسحب الخطى إلى فناء البيت، وضعت كرسيها بمحاذاة الباب وأقعدت جسمها المتهدل عليه... شعرت بتعب استثنائي... بوخزات... بلسعات مثل شوك الصبار تعتلي كل ساكن منها ومتحرك... أسراب وجع تمتد... تستطيل تحجب عنها نور الشمس... آلام تتمطى بداخلها... تتلوى مثل أفعى "الأناكوندا" تعتصرها... تمتصها وتطرحها أرضا فريسة تجول بغرفها رائحة الموت لتكون وليمة سائغة لمرتزق آخر... لمصاص دم آخر... لمعتصر آخر!!

اختلست عيناها نظرات طائشة... طافت سريعا حول حواف الفناء... سبحت في لون زمردي آخاذ.! كم كانت تستهويها وقبل هذا ملاعبة الأشياء البسيطة ولعبة توزيع الألوان.! كم كانت تريح نفسيتها تلك الاهتمامات الصغيرة التي سحبت من عمرها نصفه... عمرها الحقيقي... عمرها الأنثوي!! وتلك المداعبات كم كانت تدفئها... كم كانت تشعرها بالحياة.! وتلك الاعترافات الصامتة من تلك المشاعر الصامتة كم كانت تحس معها بالنماء... بالدهشة! بالابتهاج وبالتوهج... وبالإشتهاء.!! كانت تشعرها بالنظارة بحياة جديدة مع كل زهرة جديدة تطل بلونها المتوهج لتلتقم طلل الصباح وتقبل خيوط الفجر الأولى! كانت تحس معها بالتواصل بالتوحد.! كانت نفسها تعجبها جدا وهي ترى يدها المعفرتين بالوحل! بالطين والسماد! كمزارعة حقيقية جاءت من أقاصي الرّيف تحمل في صدرها رائحة الرّيف وفرحه الأخضر وطعم الشيح والعرعار والصنوبر.! كانت تحس

بكل هذه الأشياء كلما خلت إلى نفسها سابحة في خضرة نباتاتها البيتيه!! ربما لأن طعم حليب أمها المعتق والمعقم بكل هذه الرّوائح مازال بين أسنانها يدحر عنها سوس المدينة!! يذكرها بنكهة الطين ورائحة الجبل وطعم الأحاجي والخرافات على ضوء الشموع وموقد الحطب الغافي الذي كانت تعده جدتها... بهذه الطريقة مرّت أيامها... وبذات الطريقة مرّ نصف عمرها دون أن تدري! لكن هذا اليوم بدا مختلفا... بدا مرا... ورماديا! بدا منظره سديميا للغاية!! كل شيء فيه يدعو إلى الكآبة... مثير للوجع! مبتز للفرح!! لا شيء في هذا اليوم... هذا اليوم بالذات يستهويها ينثر في أعماقها التوهج... ليتساقط الفرح منها رطبا جنيا!! لا أحد من حولها يستطيع أن يستنفر بداخلها تلك الرنات العذبة والممازحات الصبيانية الشفيفة... لا أحد يعيد تلك الضحكات الشرود إلى شفتيها... ولا ذاك البريق الألق إلى عينيها.! أية لوعة ألمت بها ؟! وأي هم تناسل في دم عظامها ؟! فأصبحت في لحظة كتلة من الأحزان تمشي على الأرض!! فالمرء حينما يفقد بعضه... بعض كلّه يشعر أن كلّه ضائع عنه! أو هو ضائع عن كلّه!! يشعران الحياة أصبحت في لحظة سرابا... أصبحت عدما!! وأن الفرح الذي بدأ يتهيأه... يتحسسه يتنكهه بات كذبة كبيرة عابرة للقارات! وأن الحلم الملون الذي زرع بين ضلوعه بات كابوسا أسود بمليون مخلب وألف رأس... كل رأس فيه لسان يمتص لون أحلامه... يمتص نسغ أيامه! وكل مخلب ينغرز كريها في كل نتوءة من جسمها وفي كل وهدة وفي كل خفضة!! فيستحيل خرقة خرقاء لا تصلح للبيع حتى في السوق الخردة!

وكم تصبح وقتئذ أجسامنا رخيصة في بورصة القاذورات!

تصير برخص التراب والتراب برخص أجسادنا!!! فنتصاءل... ونصغر ونندثر!! وكم تصبح أسعار عقولنا متدنية... متدنية جدا!!

صعب أن يصير المرء رخيصا وبلا ثمن وبلا تسعيرة!!

أطلقت السيدة لتنهيداتها العنان فليس لها الآن غير تنهيداتها الثكلى تحوم مواسية ومؤنسة... ثم أسندت ظهرها الذي بدا لها محدودبا جدا إلى لجدار واسترقت النظر إلى تلك القبة الزرقاء المتساندة على أوتاد الأفق!! غاص بصرها في ألوان سديمية وتصاوير وأشكال متناثرة تتسلى بها أنامل الهواء تجمعها تارة وتفرقها تارة أخرى!!

حدقت مليا... دققت النظر... تبينت لها في الأفق وجوه وأجساد.! وأشياء كثيرة!! كتابات على الغيم ونحويات ولوحات لأشخاص تعرفهم... تعرفهم جيدا!! ظلت مبهوتة تتطلع في التصاوير التي تزين صفحة السماء الصقيلة! ثم أخذت تطيل النظر في تلك الوجوه المتوهمة التي تبين وتحتفي كأنها تمارس معها لعبة الاستخفاء تلك العادة الصبيانية القديمة!!

لا شك أنها وجوه لأناس أعزاء وأحباء!! "هذا أكيد!!" تردد بداخلها الجواب مع مقاطع من قصيد تحتفظ به الذاكرة!.

وكلمات من شعر "غوته" تتسابق لهثا إلى شفتيها... تخرج مجنحة مثل الفراشات الملونة من ثغرها الكرزي... لترسم في لوحة من الجمال الشاعري!!

أيتها الأرض، أيتها الشمس!

أيتها السعادة، أيها السرور!

أيها الحب، أيها الحب

ذهبي أنت وجميل ...

مثل سحب الصباح

فوق تلك القمم!!

تتوقف شفتاها عن الشدو... عن الترتيل.! تسقط الكلمات مبُعثرة في سراديب الصمت الغافية... تحترق الفراشات!! ارتطام مهول يكتسح ذاتها... تصادم... تصدع.! تتحطم المفردات النَّاصعة وتلوذُ المعاني في ثنايا الضياع.! العتمة تزحف على الوجوه... على التصاوير وعلى اللوحات... فتتمرد يد الهواء وتسحق الجميع!! مخلفة فراغات كبيرة وانكسارات ...

تجاعيد تظهر باشمئزاز! وأخاديد وممرات تجوب الذاكرة وثقوب تنفلت منها هذه المقطوعة مرفوقة باعتذار رقيق لروح " غوته " الشاعرة ...

أيتها الأرض، أيتها الشمس الغاربة!

أيتها التعاسة، أيها الحزن!

أيها الجرح، أيها الجرح!!

كحلي أنت، وصفيق!

مثل سحب المساء

فوق قمم أوجاعنا البائسة!!

أحست بالانشراح قليلا... بأصداء فرح مؤجل.! وحلم مستقيل! يد صغيرة تحط بحنان حريري على كتفيها وصوت هامس يعبر مسافات الرحيل.!

ماما... ماما... ماذا يعني ثقب الأوزون؟! وأين يوجد هذا الثقب وما الأوزون؟!

همت بالإجابة... تراجعت.! ترددت بداخلها إجابات أخرى لأسئلة كثيرة : "- قبل أن نهتم بحل مشكل اتساع ثقب الأوزون علينا أن نحل مشاكل كثيرة عالقة... وعلينا أن نجيب على أسئلة كبيرة أيضا عالقة.! علينا أن نعالج ثقوبا كبيرة هنا ...

وأخرى هناك... ثقوبا أكبر بكثير من اتساع ثقب الأوزون!! أصبحت تشكل مشاكلا كبيرة... ومآسيا" ظل الصبي واقفا ينتظر الجواب... وظلت هي تسمع حديث نفسها تحدق في السماء... في الغيوم... في التصاوير التي بدأت تتشكل ثانية!!

2003 /09 /18

زكيـــة علال

* من مواليد 1966
* أستاذة اللغة العربية
* بدأت الكتابة في منتصف الثمانينات.
* نشرت في عدة صحف ومجلات وشاركت في عدة ملتقيات وطنية.
* أصدرت مجموعتين قصصيتين هما "أحرقت سفينة العودة" و"لعنة المنفى".
* تحصلت على جوائز منها: الجائزة الثانية للقصة عن مديرية الثقافة لولاية بومرداس، سنة 2000.
* جائزة القصة لوزارة المجاهدين، سنة 2003.
* جائزة القصة لكتامة، سنة 2005.
* نشرت قصصها بمجلة المنتدى - دبي.
* أنشر حالياً أعمالي في العديد من المواقع الالكترونية.

تفاصيل وجع على الإنترنت

العالم يتكور في ذيل القرن، حتى يغدو كرة ثلجية زائفة، اقتحمها السواد عنوة بحجة أن الأسود لون أساسي في رسم أحلام البشر ثم تتدحرج الكرة الثلجية السوداء، وتذوب عند قدمي بفعل حرارة النكسة التي سكنتني، فأجد نفسي أسبح في فضاء مفرغ : لا أرضا تقف فوقها قدماي، لا سماء تحتمي بها أحلامي الوردية، ولا بشرا يسبحون في الشارع بل، لا أثر للشوارع، ولا البيوت ولا... أحسست أن العالم أفرغ نفسه في عمق محيط لا قرار له، وإني أتمايل كبلونة لا تعرف أين تستقر... فراغ... فراغ... فراغ.

سحبتني المرارة إلى بيتي حمامة ضيعت بياضها وسلامها عند بوابة الفتنة الكبرى، فأفاقت على ألوان شتى تتعاقب على خارطة روحها.

أجيء، طفلة محملة بخطايا الكبار، ومرهقة بحماقتهم التي أغرقتها في متاهات لعبة ممتدة، كي تظل طفلة ساذجة لا تفقه شيئا.

أجيء ... خوف من ورائي، وبرد قاتل يسبقني إلى غرفتي ليحملني إلى فراشي ...

أخرج يدي من جيب عمر غابر، أدفع الباب بضعف الهزيمة التي سكنتني فأجدها تفتح على تضاريس مدينة مجهولة.

ألج إلى الداخل يتقدمني جيش من الرياح العاصفة العقيمة،

وتحرصني من ورائي فرقة من الخوف الذي احتواني منذ استيقظت الشوارع على طوفان من الدم... والدموع... والجثث المشوهة، ودخان أحلام أحرقتها الحماقة.

حاولت أن أنير ظلمة الغرفة لكن عبثا فالتيار إنقطع كما كل المرات، أفزعني الظلام المبعثر في كل الزوايا كالأشباح " كم يرعبني الظلام... إنه رهيب... يخطف منك الأمن والأمان، ويجعلك تتوقع طعنة من هنا وطعنة من هناك... يكفي أن نصف العمر يضيع في سراديب ليل مجهول".

هكذا كنت أهمس بخوفي لكل الذين أحبهم، لكن الحقيقة أبشع بكثير مما أصوره لأحبائي، فالظلام يلازمني كظلي الرمادي ليزرع الخراب في كل فضاءاتي.

وأنا طفلة صغيرة، كنت لا أنام على قبس من نور، حتى ضوء القمر الذي كان ينكسر على نافذة غرفتي، لم يكن يقنعني

كنت أحب أن أغمض عيني على ضوء ساطع حتى أضمن هروب الأشباح.

هكذا أخبرتني أمي وهي تحدثني عن طفولتي المتأخرة.

سحبتني رجلاي نحو كل الأدراج التي هداني إليها عقلي وحدي، فتحتها لأبحث عن علبة كبريت تنفعني في هذا اليوم العسير، لكن - عبثا-و فالظلام يحجب عني كل شيء.

لست أدري لماذا تملكني الإعتقاد أن الغرفة مليئة بالجثث المشوهة والرؤوس المفصولة والأطراف المقطوعة مع أن بصري لا يفقه شيئا مما حوله.

تخيلت أن بعضا منها يتمدد على سريري وبعضا يختبئ في خزانة

ملابسي والبعض الآخر على أرضية الغرفة ليزرع الرعب والخراب فيها، اصطدمت بشيء صلب، فسيطر علي رعب قاتل، وتسلل إلى عروقي ودمي خوف رهيب، ذهب بكل شجاعتي وخيل إلي أني اصطدمت بجثة وأنها تتعلق بقدمي طلبا للنجاة، تخيلتها امرأة مفصولة الرأس تتسلق إلى صدري بل رجلا ممزقا يتعلق بثوبي، لا، بل طفلا متفحما يزحف نحو قلبي ليعود إليه بياضه، لكنني ابتسمت من خوفي المفرط، وأنا أتحسسه، لأكتشف أني تعثرت في سريري الحديدي الذي يأويني كل ليلة.

وطال عمر الظلم -عفوا- أقصد الظلام فتمدد الخراب في داخلي أكثر وكاد يجعل من جسدي المتعب جثة تضاف إلى مجموع الجثث المتناثرة في الغرفة... ومن وسط العتمة الداكنة تسللت إلي صورته، تذكرته، تذكرت سيجارته... دخانه المتكبر... لقد كان هنا بالأمس ولا شك أنه نسي علبة الكبريت كما تعود، فهو كلما مر بمكان، نسي -أو تعمد-أن يترك شيئا من لوازمه يدل عليه، أسرعت إلى مكانه أدفع الظلام بذراعين تائهتين... تحسست ظله الرمادي بكفي الأيمن، وخياله الذي يلتصق بي-بكفي الأيسر- آه العلبة هنا! "كم أنت رائع أيها الرجل، بل كم أنت غريب الأطوار تمنحني الخراب حين تقترب مني وتترك لي نورا عندما تغادرني!"

ولم أكد أفتح علبة الكبريت، وأخرج منها عود ثقاب حتى عم الغرفة نور تعبت عيناي أن تتحمله... عجيب... لأول مرة يعود النور بهذه السرعة، فالضوء... كما الضياء... كما كل الأشياء المضيئة في بلدي، ينطفئ بسرعة، لكن رجوعه يحتاج إلى سنين، نخسر خلالها رجالا وعيون أطفال وظفائر نساء، وقبل أن يصل المختصون التيار المنقطع يكون كثير من العباد فقدوا رؤوسهم... أيديهم... أرجلهم... أحشاءهم،

أو جميعهم في آن واحد، وفي أحسن الأحوال تسلب منهم أحلامهم.فعندما يكون الملك بأمر الظلام، تتوقع أن تخسر أي شيء وتكون محظوظا إذا خسرت حياتك فقط.

تمددت على سريري الحديدي، وقد تخلصت من عقدة الخوف، بعد أن أوصل المختصون التيار المنقطع، لم يبق أمامي غير هذا البرد الذي يكاد يعصف بي، ووجدت نفسي أسخط على كل العلماء والأطباء سحقا لهؤلاء العلماء الذين يبحثون للإنسان عن سكن غير الأرض بينما الخوف يحصد أكثر مما تحصد الحروب، وعجزوا إلى حد الساعة عن اختراع أقراص تخلصنا من البرد وأخرى تقتلع الخوف من أعماقنا، وأخرى تجتث من قلوبنا حبا لا نرغب فيه وأخرى ضد الكره... و... آه... لو تحقق ذلك لكنت خلقا آخر وتخلصت من الخوف والجبن ومن حب جارف سكنني وأقام في شراييني وممرات قلبي، ويرفض أن يغادرني رغم تقدم العمر.

آه... ماذا لو سطع نجم عالم أفلح في أن يجلس العالم على كرسي الطمأنينة والأمان، كما أفلح علماء كثيرون في تخريب خلايا الأمل في عيون الأطفال، وزرع قنابل الرعب بين ظفائر النساء، وسحب وسادة الأمان من تحت رؤوس الرجال...

علماء نجحوا في زرع شوكة جافة في حلق العالم، وجعلته يتخبط كمن به مس من الشيطان...

اللحظة جسدي كله يرتعش... أسناني تصطدم ببعضها البعض لتحدث صوتا يمزق صمت الغرفة، حاولت أن أتزمل... أن أتدثر بكل الحكايا الدافئة التي عبرت حياتي... حاولت أن أستشعر الدفء من حكاية الطائر الجميل الذي قذف به البرد إلى حديقة القلب مفجوعا، فاحتويته بكل الأمومة التي تنبت في دمي، لأنتبه ذات وجع،

فأجده صريعا فوق أسلاك الروح وبين منقرية وردة حمراء متفتحة، كان ينوي تهريبها من مملكتي.

حاولت أن أتدثر بحكاية الرجل الأسطورة الذي ظل سنوات - ينحت في أروقة الروح قصة وفاء في زمن تزهر فيه الخيانة، وتفرخ وتتناسل، كإمرأة تحبل من طيف أو من بريق حلم. وتصنع الفجيعة علبة كبريت -يخرجها من جيبه ليشعل سيجارة يتحسس بها دفء الحلم، لكنها ترتعش بين أنامله، لتنزلق في لحظة سهو... تقع، لتضرم نارا تأتي على كل تمثال الوفاء القائم في مملكتي...

حاولت أن أتزمل بكل إرتعاشة صدق -لكن عبثا- فصوت العاصفة يزمجر من الداخل... من العمق، ليتوزع في أحلام العمر ويقتلعها، لتركن إلى يتم لا دفء بعده.

تكورت في فراشي محتضنة وجعي، وتيقنت أنه لم يبق أمام خيبتي غير هذا الصحن المقعر الذي يسمونه "برابول" عله يمنحني بعض الدفء والأمان وينتشلني من خراب يتربص بي.

أخذت جهاز التحكم عن بعد وأقمته بين جدران راحتي، لتبدأ أناملي تلعب بأزراره : ضغطت على الزر الأول فجاءت الصورة بشعة متفحمة تحمل كثيرا من الجثث منزوعة الأطراف، مفرومة اللحم، غائبة الملامح، كأن لم يكن لها حواس تحسست بها زيف العدالة المبتورة ...

غيرت بسرعة نحو قناة أخرى، فامتثل أمامي صحافي وسيم، يجتهد في رسم ابتسامة باهتة على سطح شفتيه، ظهر وهو يحصي عدد القتلى في مذبحة الأمس... عبرت إلى قناة ثالثة فرأيت خلقا كثيرا من كوسوفو وهم يرمون كنفايات سامة إلى مكان لا رجعة منه. هربت

بصدمتي إلى قناة رابعة، فكانت صورة رضيع تملأ الشاشة وقد أقام عليها الرصاص خريطة بمساحة الخيبة التي تربض في عيون الأطفال... ولعبت أناملي بكل الأرقام اليتيمة والمركبة، لكن لا شيء غير الدم يرسم لوحة تشكيلية لفجيعة منتظرة...

واستيقظ السخط في نفسي جباراً: "اللعنة على هذا الجهاز!!... عندما اشتريته اعتقدت أنني ربحت فرحا، اليوم، تأكدت أني لم أبتع إلا خرابا، وضعته في غرفتي، لأتفرج عليه كل ليلة " وهنا تذكرت مقولة الرجل الذي غادرني بالأمس، وترك لي علبة الكبريت: هناك وجع يقتحمنا عنوة، ووجع نسعى إليه ونطلبه وأطبقت أهدابي على هزيمتي اللآمنتهية، لأستيقظ على وجعي وقد اتخذ له مكانا على شبكة الأنترنت، وأصبح بإمكان العالم أن يتفرج على توجعاتي وتأوهاتي متى شاء.

لست أدري من حجز لتفاصيل حزني وخرابي على شبكة الأنترتات، كل ما أدريه أن وجعي لم يعد سرا يسكن صدري، بل أصبح ملكا مشاعا.

زليخـا السعــودي

* كاتبة ولدت في ببار ولاية خنشلة عام 1943، وفيها تلقت تعليمها.
* انتسبت لسلك التعليم عام 1963.
* كتبت القصة والجرائد والمقالة والرواية والشعر.
* نشرت أعمالها في عدة صحف ومجلات منها: "الأحرار" و"الجماهير" والجزائرية. وافتها المنية سنة 1972.

اليـوم الأخـــير

إلى هؤلاء البشر الذين لقيتهم في مرحلة حياتها العقيمة زوج أبيها، حماتها النابحة، زوجها المتعب... ابنتها الخرساء...

ابنتها التي جاءت إلى الحياة... فبعثت إلى فؤادها المظلم أشعة النور... وأعادت إلى شفتيها اليابستين ابتسامة السعادة التي تركتها على ضفة الوادي في بلدتها الصغيرة ومع الزهور البرية الصفراء العديمة الشذى...

وانتظرت طويلا متى تكبر فتاتها؟ متى تفتح عيناها للحياة؟ فتجدها هي صدرا حنونا يقيها الآلام التي عصفت في وجودها فمزقتها وبددت إحساسها وشعورها... تجدها تبتسم حولها فتضيء لها البيت المغلق والنفوس الجليدية المتجمدة وهي أيضا ستفرغ إليها كل كوامن الأنين وأشجان العمر المغموم... وانتظرت خمس سنوات فثماني فعشر... لكن أملها المعقود تهدم وعبثت به الرياح كما عبثت بكل عمرها ونظرت إليها فلذة كبدها بعين جامدة ككل العيون التي نظرت إليـهـا من قـبـل... وعـنـدما حـاولـت ابـنـتـهـا أن تـتـكـلـم هـمـهـمـت وغمغمت... كانت خرساء...

خرساء تساق إليها الإشارة العابرة، وترد بأخرى... ثم تسعى كآلة تدور وتركتها تعمل... وتعمل كثور حراثة... وجلست هي في الزاوية ترد على الحياة حياتها... متحدية أيامها بجمودها وذوبانها

هيكل من هياكل الماضي السحيق... لماذا لم تحنو على ابنتها وتحبها بكل ما اختزنت من عواطف السنين القاحلة؟ لماذا تنظر إليها كغريبة كجامدة من الجامدين... ما أشد شوقها إلى صدرها الصغير يضم صدرها... وقلبها يخفق فيتجاوب مع خفقات قلبها...

لكن ماذا جنت حتى تأتيها هذه الطفلة المشوهة... تعيد إليها التعاسة مجسمة في عينيها الساكنتين كالغدير... في بلدتها الصغيرة حيث كانت ترمي الحصى وجثث الزهر الذاوية.

لم تشعر قط بعطف عليها... وكبرت فالتفتت إليها فوجدت خفقاتها قد سكنت وخمدت... وكان ذلك ما انتظرته طيلة عمرها الجاف الخاوي، صمت مرير... وإشارات غامضة... وشقاء تواصل صورة مجسمة في ابنتها التي أخذت مكانها في إدارة المنزل... وجلست هي في الركن المظلم تمر بها أشباح حياتها تزيد المرارة في مذاقها مرارة وعلقما...

ونظرت إليها فتاتها نظرات الحقد والكراهية... فهي التي جنت عليها وأتت بها إلى الحياة المريرة الجديبة...

صورة أخرى من حياتها هي الساهمة الغافلة... ولم تستطع أن تركز ذهنها طويلا في العيون المحدقة بها... فتاهت نفسها إلى عوالم غريبة... عوالم ترى فيها كثيرات من أمثالها ذابلات العيون... مهملات في الأركان... يحدقن في الفضاء بلا شعور ولا وعي وتبدو لهن المناظر المتكررة المملة أشباح ثقيلة أبت إلا أن تتخذ من كلهن مستقرا ومأوى ما اشد اشمئزازها من حياتها المظلمة... حماتها الضريرة فتاتها الخرساء العنيدة... زوجها المتعب... ما أقصى البشر... لكن أين المفر... إلى السجادة تعبد الله وتستغفره على أفكارها وهناك حلاوة الإيمان التي تنسيها كل ما مضى وما يأتي...

الماء ليسقوا أنفسهم أو ليموتوا عطشا... وتدحرج الدلو من يديها حتى أسفل الوادي فتركته ومضت تدفعها قوة هائلة خفية حتى وصلت... يا الله ما أروع المنظر الساحر منذ بداية الثورة وهي تقول في صلواتها... يارب اتركنا يوما واحد نرى فيه الحرية ثم اقتلنا بعد ذلك... ما قيمة كل حياتهم لو ماتوا دون نسمة حية حقا... لم يحدث قط أن ارتدت النساء مثل هذه الحلل الزاهية ذات اللونين العزيزين الأبيض والأخضر ولا ظهرت الجميلات منهن في كل هذا البهاء... اهو الصحو أم الحياة الجديدة تدفقت في الشرايين فأعطتها هذا

الجمال النضير... وهزتها جارتها، جئت متأخرة يا "فطوم"... منذ لحظة رأينا المجاهدين سلموا علينا وشكرونا ثم ذهبوا إلى مهامهم... لولاها... ما أسرعوا في تركنا... وشعرت أنها فوتت حقا فرصة العمر لكن ستراهم بعد الآن مرات ومرات... وأرسلت بصرها إلى الجموع المجتمعة صفوفا صفوفا... ما ظنت في لحظة ما أن قريتهم تحوي كل هذه الألوف من العباد... ما شاء الله. وضحكت من أعماقها وهي ترى حكماء القرية قد كونوا حلقة رقص واندمجوا في الدور الطروب ونسوا كل الوقار المزعوم... طوحوا بالعصي يمينا وشمالا حتى خشيت على نفسها من إصابة منها...

أما النساء فقد انطلقن ينتقمن من كبت كل السنوات الطويلة كان هناك خطيب يلقي كلمات... لكن أحدا لم يسمعه لكن فرحة الشعب أقوى من أن تتقيد في كلمات... كان كل واحد يهتف على سجيته... كل ما يخطر له من تمنيات من فرحة طاغية وغنت النساء أغاني مرتجلة لليوم الأغر... بينما كان الأطفال الذين لم يتعلموا أي نشيد بعد يسيرون على وحي كلمات لم يعلمها لهم احد... لكنهم يعرفونها ويحبونها... تعيش يا بن بلة... والجزائر مستقلة..

وأعجب النساء أن يخترع أطفالهم هذا الهاتف الرائع فهتفن معهم وصفقنا حتى دميت اكفهن التي خشنتها المغزل والمنسج... لقد علقن جميعا منا سجهن هذا اليوم... وعلى حين غرة تعالى في الجو أزيز الطائرات، واهتزت الأرض تحت ثقل الدبابات والسيارات العسكرية وقبل أن يفيق الجمع من هول الدهشة التي حلت بهم... نزل أمامهم ضابط الحركة وجنوده الأوغاد... العيون التي مسخت والأوجه التي طمست معالمها فأصبحت ككلاب الجند رمة المتوحشة... وصمد الجمع الأعلام الجزائرية ترفرف فلا يعقل أن يفروا بها وقد انتصرت القضية وصاح الضابط... هاتوا الأعلام ولن... يمسكم أذى... وقال الرجال... سيأخذها منا ليقول لقادته لقد انتزعتها من الفلاقة... لن نسلمها مهما يكن الثمن وخرج من صفوف الجمع ... "سي برا هيم" انه يعرف الفرنسية وهو يتقدم لإفهام الضابط معنى احتفالهم هذا ومعنى وقف القتال... ومرة ثانية صرخ بفرنسيته الملهوجة... نريد الأعلام... سلموها وإلا ظلمتم أنفسكم... وأجابه " سي برا هيم " بلسان الجمع وقبل أن يتم كلماته . . .كانت الكلاب تنهش قدميه نهشا بينما نزلت السياط على ظهره... وجنت النساء هلعا فأرسلن حجارتهن إلى الضابط وفرقته واشتبك الجميع في معركة بالعصي والحجارة . . .

وتقدم الضابط يريد نزع العلم الأول من يد شاب صغير صادفه وتلاحما معا فجرت فتاة إليهما ونزعته عنوة ثم جرت إلى الشعاب القريبة... وصاحت عجوز... يأبى نضال سبع سنوات أن نسلمكم علمنا تدسوه بأيديكم الملوثة كلنا نموت فداه... وترددت الصيحة عظيمة جبارة... وسقط الضابط على وجهه فأطلقت النار على النساء الهاربات بأعلامهن... وجرحن كلهن ولكن مضين في طريقهن صامدات... كانت دماؤهن تسيل في شبه مخطط طويل مستقيم...

آه أن في أيديهم بنادق أذن لأذاقوهم الويل واستمر الرصاص في تكلمه الأهوج المجرم... ولم يسكت إلا والساحة خالية إلا من ثماني جثث تحتضر وثمانية عشر جريحا... وعاد المجرمون إلى ثكناتهم... ولما عاد الأهل إلى السهل المخضب كانت فاطمة تحتضر وعلى شفتيها ابتسامة مضيئة... لقد حقق الله رجاءها فشهدت يوما واحدا من يوم الحرية وماتت... بكى الرجال في تأثر جل الضحايا والجرحى نساء كل واحدة تحمل في صدرها علما جزائريا مخضبا بالدماء انه وسام الشرف والخلود صنعته بثباتهن واستماتتهن... وعادوا يحملون جرحاهم وفي كل قلب ينبوع من الحزن وشعور لم يستطيعوا التعبير عنه... وفي بيت فاطمة الشهيدة كان مذياع ابنها لم يجد من يسكته وقد هام صاحبه في السهل المخضب يبحث عن أمه... يهدر في عنف وفي صمود وفي ثقة وإيمان... بلسان شاعر جزائري

حطموا الأغلال وامضوا للكفاح ...

حطموا واهتفوا ملء الأثير

يا فرنسا اشهدي اليوم الأخير...

زهرة بوسكين

* من مواليد 1968 بولاية سكيكدة.
* تكتب القصة والشعر.
* فازت بجائزة "سعاد الصباح"
* من أعمالها المنشورة: الزهرة والسكين (قصص).
* عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.
* نشرت عدة نصوص بالصحف والمجلات.
* تشتغل حاليا بإذاعة سكيكدة.

هوس الصقيع

كنت تتدحرج كشهقة في حلق هذا العالم وأنت تثقل الأرصفة بخطاك... من دهاليز الذاكرة ينطلق صراخ إخوتك ليصم مسامعك، وكلام زوجة أبيك الذي يشعرك بالغثيان كلما تدخل البيت.

لا... لن تعود... هكذا قررت فجأة... لن تعود على الأقل في هذه اللحظات... دخلت إلى المقهى لا يخلو من تلفاز بالأبيض والأسود يلتف حوله الناس خاصة إذا برمجت مباراة في كرة القدم... لم يكن المقهى مملوءا... قليلين كانوا يتابعون أحداث مسلسل عربي تليه نشرة الأخبار... انزويت على كرسي خشبي ترقب الأحداث من بعيد... إن الصحيفة التي تقدم نشرة الأخبار هي الوحيدة التي تجعلك تتابع الأنباء حتى نهايتها... خبر مذهل هز أركان المقهى... جعل طنين الذبابة يدوى... كل الأنظار التفتت نحوك كأنها تسألك عن ماهية الخبر أو عن ماهية تواجدك هنا بينهم حين سمعوا نبأ رحيل الشعراء.... الخبر لم يكن مقتصرا عن بلدتك أو وطنك فقط... بل هو عالمي... لقد اكتشفوا أرضا أخرى!... آه!... إنك الغبي الوحيد!... حين كانوا يقرؤون اختراقاتك في الجرائد ويتبادلون الأحاديث الطويلة عنها وعنك... كانوا يحسدونك ويتهمونك غيرة بالجنون... حين طبعت أول مجموعة شعرية زغردت أمك البدوية بصوت هز أرجاء الدوار وصاروا يعتبرونك من الشخصيات الرفيعة... رغم أنها لا تزال متراكمة على إحدى

رفوف « لاسناد » وكل سنة تخفض من ثمنها وأنت مختنقا. . .
لكنهم رغم ذلك يعتبرونك من كبار مثقفي الدوار. . . أبوك صار الكل يناديه سي عمار، وأمك قبل وفاتها منذ سنة ونصف كانت النسوة تناديها الحاجة وناسة رغم أنها لم تر يوما ولو صورة الحجر الأسود . . .أبوها جدك هو فقط الذي حج منذ الأزل مشيا على الأقدام. . .
الآن كلهم أدركوا أنك لست مغفلا أقل منهم ولا هم بساذجين أكثر منك. . . لم تجد كيف تدفع عنك نظراتهم السائلة والمتسائلة عن مغزى ما أذاعته الأنباء. . .فأنت الوحيد الذي يستطيع تفسير الخبر. . .
ألست أكبر مثقفي الدوار ؟!. . .الآن تفاءلت قليلا. . . فقد تتمكن من بيع ما تبقى من مجموعتك في الأرض الأخرى. . . قد تستطيع أن تنشئ جريدة ثقافية. . . ثقافية فقط. . . قد. . . قد . . .

لا يوجد أمامك مجال للحلم . . .هيا قم يا عبد الله . . .أسرع إلى الدار واجمع أوراقك . . .اجمع كل ما له علاقة بقلبك وارحل. . . اركض بسرعة كي لا يفوتك الركب.

لا تبالي. . . لم يسقط منك شيء سوى سيجارة رخيصة الثمن تستحي أن تدخنها أمام الكثيرين، لذلك تدعي في حضرتهم أنك لا تدخن. . . هيا اركض. . . لا تترك قدميك تخونانك. . . أسرع فلا مجال للحلم والانتظار. . . أرصفة العمر هنا كستها مزابل ونفايات لم يكن لديك الوقت الكافي حتى لتسأل نفسك، كيف اكتشف الشعراء هذه الأرض الأخرى؟ . . .ومن اكتشفها؟. . . وهل الخبر موثوق ؟!. . . كل علامة استفهام تتدحرج لتسقط تحت حدائك الممزق الذي يكسوه الغبار.

لا يهمك . . .قد تلبس حذاءا أنظف في الأرض الأخرى . . .هيا اركض لم يبق سوى القليل . . .لا وقت لأن يعز عليك

الدوار . . .أنت هنا جرثومة تعيش بلا انتماء كنت دوما تتعذب من وجودك بين قوم لا يؤمنون سوى بالخبر . . .ها هي فرصتك . . .السماء قد تكون حنونة!. . .لم يكن المجال أمامك حتى لتتذكر أنك نسيت سبحتك وكتاب ذر الغفاري. . . آه. . . كم كنت ممزقا بينهما!. . .هيا أسرع يا عبد الله . . .فقد تصل المنارة وتكون أنت الشعلة رحيلك هو المرفأ . . .كنت تركض مغمض العينين تردد " مهرجان . . .مهرجان. . . لتفتح عينيك وتكمل " وصقيع "

سكيكدة في 1993

زهرة مبارك

* زهرة مبارك من مواليد عام 1979 باحدى بلديات جنوب ولاية تيارت
* خريجة معهد الأعلام الآلي للتسيير بجامعة ابن خلدون بتيارت
* أطار بالمؤسسة الوطنية للنقل وتوزيع البترول.
* مراسلة صحفية تعاملت مع العدد من الجرائد العربية الجهوية والوطنية.
* حائزة على عدة شهادات تقديرية في العيديد من المسابقات الشعرية والقصصية
* فائزة بجائزة المسابقة العالمية للقصة القصيرة المنظمة من طرف منتدى نساء البحر الأبيض المتوسط، أكتوبر 2005.
* منشطة ثقافية متخصصة.
* لها مخطوط قصصي بعنوان: حكاية قلب.

حكايـة قلـب

... في مساء كل يوم أذكر تلك الذكريات...

أنعم بالحب لحظة... وبتمزق الآهات...

أصون للحب ذكرى...

وألعنه ألاف المرات...

ليتك كنت حبيبي تعلم عسر البسمات...

...كنت طيفا فوق سريرا بمستشفى بسويسرا...

بعيون تحلق في فضاء الذكريات...

سرت في الأرض وحيدا... ألعن هذا الوجود...

...ألعن نفسي ودمعي... جاريا عبر الخدود..

نظرت إلى الطبيب الذي سألني عن أحوالي بلهجة جزائرية :

واش راكي ؟ ما عليك والوا رانا هنا يا أختي...

قلت أه يا طبيبي كيف قطف الورود...

أني للحب وفيا... فكيف لي هذا الجزاء...

فكيفما بالغدر أجازى...وهل النور والظلمة سواء ؟

أنهضني ذلك الطبيب الوسيم من على سريري، وأخذني باتجاه النافذة وفتحها على مصراعيها...وقال:

لا تحزني بعد رحيل أي شيء عنك... لأنك بحزنك ستصبرين حبيسة الليل طوال حياتك... ويخيم الظلام على ذاتك وكلك... بل اقرعي الأجراس ودق الطبول... و احتفي الله كريم...

بقيت في ذلك المستشفى مدة طويلة، وشيئا فشيئا أصبح الطبيب ديدين يتقرب مني، لم أكن أملك أي طاقة ساعتها لذلك لم أوليه أي اهتمام... لقد كان يطالبني كل لحظة بضرورة إخراجي لكل ما في خوالدي، لم أجبه ساعتها لا بالعربية ولا بأي لغة أخرى

...جاء البوليس بعد أيام للتحقيق معي، قصد إرجاعي إلى أرض الوطن بعد فوات أوان مدة صلاحية إقامتي... وباسم حقوق الإنسان تدخل وصديقته السويسرية لإبقائي تحت الرعاية الطبية، وبعثوا ببرقية توصية إلى سفارة الجزائر بتلك الدولة... فتدخل سعادة السفير باسم المكانة القذرة من أجل تمديد مدة بقائي على تراب تلك الأرض حتى أتماثل للشفاء...

مرت الأحداث بسرعة... أصبح ديدين لا يفارق غرفتي وتماثلت صحتي الجسدية للشفاء وأصبحت أتكلم، وأضحك عندما أراه يوبخ الممرضات باللهجة الجزائرية... وذات أمسية شتوية قال لي أني أعني له أكثر من مريضة...لست أومن بالحب العفيف فأنه... خلق مثلي وحيدا وحيد... ليس لي في الحب سوى وهم... هو أحاسيس وشعر ووعيد... يا ليت سكوتي بنظرات عيني يتحدث...عن أمل هو دواء لجروحي... يا ليت وطني جاد عني بصور يحميني...من أحاسيس منه على خيالي تجود...يا ليت قصري كان مقفل الأبواب... ويا ليت أبوابها كان عليها حارس شديد...أريد أن أعود إلى حجري أمي...لا تودعيني فإني أخشى الوداع... ويا ليت لحظة المرض هذه دامت فهي عيدي...لولا

اللقاء ما كان الفراق... ولولاهما ما كان الإحساس عميدي... كذب من قال: لم يعش من لم يذق. قلبه من طعم الحب أزهارا وورودي... بل مات من عاش الحب وفارقه... فالحياة له وعيد ومرصاد... أنا متعبة وطويل جدا مشواري... لا تلح علي أكثر من هذا... أنا لم أنل من هذا الحب إلا العذاب فذلني... وحين تفطنت تيقنت أن لا شيء من جروحي يتداوى بالزمن... حاولت في العديد من المرات أن أتهرب من كلامه... لكنه أصر: كل مخلوق وأصله من معدن... ففيه الذهب والنحاس وغيره... وفيه الطين والماء ومنه الفتن... وأنا إنشاء الله من معدن الذهب الخالص... قلت وقد أهديت ذاكراتي المثقلة إلى ذلك الطبيب... أنهما رجلان اثنان لا غيرهما... أحدهما والدي والأخر حبيب الذات والجسد وغيرهما... سأرحل معك إلى ماضي قريب 'بخمائل الطفولة الغراء... بعدما أجاسر الفراق... في الدروب والصخب... رحلة تغب رياح على شروفي تهب...

وعيوب القدر لأنني اخترت حبا هدا جبالي... ولأنني الحقيبة المرزمة للرحيل... أعماها العمى الأسود فلم تعد... تأخذها الرياح... تنشرها فوق الأرض... حيث الندم... حيث شوقي... حيث المتاهة...

... لكن يبقى الرحيل يكشف... عبقرية الحب العظيم بالصمت الرهيب... كنت يا صاحبي أعيش بسلام... في بلدة فقيرة متعبة هي الأخرى... لم أتوقع يوما أن أعيش قصة ملتهبة كالتي عشتها... أمي طيبة لم يسعفها الحظ... ومنحها زوجا كوالدي كانت طموحاتها وجل أمنياتها مركزة في دعوى واحدة: أن تنجب ولو ذكرا واحدا... كان والدي يكره البنات... لكنها أنجبت سبع بنات أوسطهم أنا

وسط شماتة أهل زوجها. . .أدهشته أفكار والدي. . . لم أقوى على الكلام ذلك اليوم فأعطاني مهدئا ونمت. . .

. . .في صباح اليوم الموالي وجدت غرفتي مليئة بأنواع الزهور، والدببة والعطور، والبالونات. . .كانت حلما جميلا رائعا وفي وقته المنتظر. . . ديدين تعالى بجنبي. . . سأكمل لك قصتي. . . تقدم نحوي وجلس بجانب رجلاي عند مؤخرة السرير، وقدم لي كوبا من الحليب الممزوج بالشكولاطة. . . ولدتني أمي وأنا ابنة السبعة أشهر. . . وخرجت إلى الوجود برجلي لا برأسي. . . لم أرضع نهديها بسبب مرضها. . . والدي رفض تسجيلي في سجلات الحالة المدنية مخالفا بذلك قانون الحالة المدنية. . .وطرد أمي من ليلتها إلى بيت أهلها، بقيت خالتي ترضعني حوالي شهرين إلى أن جاءت جدتي عن أبي وأخذتني مع أمي إلى البيت وأصرت أن تتبناني إلى أن بلغت سن السادسة. . . طلبت من والدي أن يدخلني للمدرسة. . .رفض. . . فطلبت من عمي عمر. . . تحجج بعدم تسجيلي ضمن سجلات الحالة المدنية. . .هددتهم بدعوة الشر. . . فتدخل عمي أحمد المستشار لدى وزارة التجارة بجاهه وعزه وسجلت بمدرسة تبعد عن مقر بيتي بمسافة لم تكن تتحملها قدماي الصغيرتين. . . لم أكن تلميذة نجيبة جدا. . . ولم يكن لي أصدقاء. . . احترفت السرقة في سن مبكر بسبب تهديدات عصابة من أطفال مدرستي لي. . .أنت جميلة، ويبدوا من باب منزلك أنكم عائلة غنية تأكل الجبن والحلوى ولذلك عليك من اليوم أن تأتينا ببعض الأطعمة اللذيذة، والأشياء الجميلة وإبلا فسنضربك. . .أخبرت مربيتي - أما- هي بدورها أخبرت "الرجالة" كما كانت تناديهم لكن لا أحد حرك ساكنا. . .أيمكنني أن ادخل غرفة زوجة عمي وأسرق عطرها لأهديه إلى رئيسة العصابة؟. . .بلى أقدر. . . دخلت وتسللت وبالفعل كان أول شيء أسرقه. . . زجاجة

عطر. . خبأتها. . . وأهديتها لتلك المجرمة الصغيرة. . . أصبحت بعد ذلك ذراعها الأيمن. . . بعد أيام طلبوا مني أن أسرق اللحم من ثلاجتنا. . .لم أجد في الباب السفلي للثلاجة اللحم، لأن أمي كانت تخبأه في البراد، وطولي لم يكن يسمح بذلك. . . فسرقت بدله البيض ومسحوق الحليب، وأعطيتهم لهم كان سني ست سنوات وبعض الأشهر. . . بدأت العائلة الكبيرة تكتشف ضياع بعض الأشياء من المنزل. . .ومرة اكتشفت أختي الكبرى أمري لما كانت بقرب المطبخ ودخلت علي وأنا أخبأ الجبن في جيب مئزري. . . تأملتها بشيء من الشيطنة والخوف وقلت :لست أنا. . . لن أخبر عنك أحد. . . أ. . . هم السبب. . .من ؟

لقد قلت لأما أنهم هددوني ولم يفعل الرجالة أي شيء. . . يومها علمت عائلتي بسر سارقة العطر وغيره. . .أخذني عمي في اليوم الموالي إلى المدرسة وأخبر مديرها ومعلمتي التي كانت تعشقه بالأمر. . .وأضحت تأخذني إلى البيت وعاقبت أولئك التلاميذ. . .

المهم غير لي عمي المدرسة وأنا في الفصل الخامس 'عقدت علاقة مع صديقة في الصف، كانت تدعى نعيمة. . . تقربت منها لكن لسوء حظي غضبت منها صديقاتها القديمات وخاصمناها لأنها عوضت صداقتهم بصدقاتي. . . فتنكرت لي وخاصمتني بعد اجتيازي لامتحان شهادة التعليم الأساسي قررت ألا أبحث عن صديقة جديدة. . . وأنشأت علاقة بين القلم والورق. . . كنت في ذلك السن لم أعرف بعد من هو والدي كانت جدتي بمثابة كل شيء في حياتي. . .أما جدي فلم أكن أحس باتجاهه بأي عاطفة بالرغم من أنه كان يأخذني معه عند خروجه حتى أنه كان يصطحبني معه إلى سوق الماشية كان يناديني - بالنملة الحمراء وبالعلوش. . . لأنني كثيرة الحركة وأحب

الماشية وأسواقها حتى أنني كنت أنظف له إسطبل مواشيه مقابل قليل من الحلوى أو دينار واحد

المهم كبرت وفجأة ذات يوم عرفت حقيقة عمي الذي ذهب معي إلى مدير المدرسة في سن السادسة وكشف أمر تلك العصابة الصبيانية لم يكن سوى والدي. . .ربما كان ذلك اليوم أكثر الأيام وجعا يوم عرفت تاريخي بعد حوالي خمسة عشر سنة لأول مرة على لساني ابنة عمي. . .كان لا بد أن أكره والدي. . .كنت مولعة بالأدب وبالموسيقى لذلك لا أحد خطر بباله أن أنال شهادة البكالوريا. . . غير أنني نلت الشهادة الحلم وكنت بذلك أول فتاة في العائلة تنال تلك الشهادة. . .كنا نسكن في بيت كبير. . . مع أعمامي وأبنائهم أنا كنت أنام في دار أما الكبيرة برفقة أختي نسيمه التي تبنتها هي الأخرى جدتي، أما وهيبة فقد تبنتها عمتي. . .كان والدي لا يعمل في تلك المرحلة وكانت أمي الحقيقية لا تملك حتى ملابس داخلية محترمة. . .كان والدي لا يحترمها ولا يحبنا. . . كنا نعيش على صدقة جدي. . . كان واضحا من دخوله متأخرا، وخروجه المبكر أنه لا يحبها ولكنه لم يكن باستطاعته إعادة الزواج، لأنه أفلس منذ زمن بسبب تجارة التبغ غير شرعية، التي كان يصرف بفضلها على صديقاته. . .لقد عاش فترة مترفة نتيجتها، لكن مصالح الجمارك أوقفته وهو عائد من المغرب باتجاه منطقة فرندة التي كان يخزن في معلمها التاريخي* لجدار* السجائر المهربة، لقد دخل السجن لمدة عام ونصف. . .خرج بعدها بفضل الرشاوى التي أعطيت للمسئولين آنذاك محبط الإرادة. . .كان كل شيء معدا للألم، حيث الفقر لا يرحم. . .والكبرياء لا يرحم. . .والقدر لا يخطئ. . .بعدها انفصلت العائلة، واستقر أعمامي في بيوت لائقة خبئوها للزمن من عرق السنين، أما والدي فخرج صفر اليدين لا يملك فلسا عدى بيت العائلة

الذي طالب الورثة بحقهم فيه فيما بعد... عمي الكبير الذي أكرهه أخذ أما معه وتقطعت أمالي ودهست مشاعري لقد أخذها معه بعد زواجه من فتاة تصغره بأكثر من عقد... جاء بها من ريف منطقة السوقر... حتى لا تسأله عن يومياته، وعن سبب تأخره عن الدخول للمنزل، وحتى لا تتنبه لتلك المساحات الزرقاء التي كانت تظهر دائما أسفل أذنيه وتتوسط رقبته...

وذهبت إلى الجامعة... وسجلت بقسم الصحافة... كان الشيء الوحيد الذي برر جهدي في دراستي هو العمل... ومن ثم توفير ملابس داخلية محترمة لأم لم أقبلها في حياتي...

...وأنا في العام الأخير من دراستي، مرض والدي وأصيب بمرض الضغط الدموي... لقد تفطن أن لا أحد يتكئ عليه لا والده زلا والدته... وسقط... هل سقط حقا يومها؟... أم أنه مع سقوطه الصحي سجل ارتفاع مزاجه الهجومي؟... نعم هذا ما حدث فعلا بعد تخرجي بشهور واستلامي لأول منصب عمل عند خاص بأجرة شهرية يخسر ضعفها في دقيقة واحدة مع صديقاته... والدي أصبح يحب المال... وتقابلت مع عالم المسؤولية... كان لا بد علي أن أعيل عائلتي... وولجت منحدرا من الخيبات في وقت واحد... والد لا يهمه أمري ومسئول في العمل يلاحقني وكأن جسدي معرض أو منتزه ليلي... رفضت شروده، وبحثت عن عمل أخر عند خاص أخر... فمناصب العمل في مؤسسات الدولة لم تكن متاحة لأمثالي...

كان والدي رجل يحب المال حبا جما، تمنيت لو تعانقني أما، أو أي عمود مجلجل... لأتملص من شعور الكره اتجاهه... في تلك الفترة أهداني رئيسي في العمل الجديد الذي كان يبعد مقره

بمسافة ساعتين ذهابا وإيابا هاتف جوال وإذا بي ذات يوم أذهب في مهمة عمل، لتغطية زيارة وزير لمنطقتي فتعرفت بمسئول محترم بوزارة الثقافة ركبت سيارته وسرنا ضمن الموكب الوزاري ونحن في الطريق تجاذبنا أطراف الحديث عن واقع الثقافة بوطننا فأحب مجالستي إنك تستحقين كل الخير وتبادلنا أرقام الهاتف ذات أمسية رن هاتفي وإذا به هو أنه أمين ذلك الرجل الهادئ. . .

مرحبا. . . واش راكي ؟

الحمد لله وأنت راك لاباس. . .

سأعرفك على صديقي. . .

ألوا مساء الخير راكي مليحة

بدا لي من لهجته أنه من العاصمة نعم أنا بخير وأنت

وصمت قليلا. . . حمل ديدين دب صغيرا ورماني به. . . ألوا نعم هي السبب أنها تيارت عشق مهاجر من العاصمة إلى تيارات تؤشر بمناديل وردية عبر هاتف ارتشفت منه حبا وموجعا تخيلت أنه سينبت في قلبي مثلما يكبر اسم الشاعر العظيم. . .

تعرفت عليه وربطني في رمشه عين في عنقه تماما كما يربط ربطة عنقه وقال لي مثل مصري : إلي أول شرط آخر نور. . .

أسمعي يا حلوتي أعدك بحب كبي شرط ألا تطمحي إل الزواج مني ليس لأنك لا تستحقين أسمي لكن لظروف خارجة عن نطاقي. . . أريد أن أعيش حاضري فلا تحاولي أن تقفزي إلى المستقبل أو أن ترجعي ولو بخطوة إلى الماضي. . . ولا تسأليني عن طبيعة عملي ولا عن شيء أخر لا ادري كيف وافقت على تلك الشروط.

أنا لا يهمني منك شيء سوى الحب والحنان. . .ربما قبلت لأني اكره العادي وأثور عليه وربما لأن ثقتي بالحب كانت جد كبيرة

. . .وها هو ذا يوم اليوم الذي رايته فيه. . .طلب مني أن أصور له أحداث ؤول لقاء بنا. . .

سأتصل بك أولا. . .

احمل حقيبتك. . . ضع فيها أجمل طقم رجالي واركب سيارتك سنسافر. . . ستجدني عند الحديقة العالية. . . نذهب إلى مكان رائع أحس فيه أنك مرتاح. . .وليكن فندق من 5 نجوم. . . لن نمكث في الغرفة. . . سنذهب إلى الكورنيش لنتنسم بداية الربيع.سنثلج صدورنا بمشروب غازي وأجبرك على ركل سيارتك. . . وأدعوك للتسوق، سأعطيك النقود لتشتري لي أجمل الفساتين والعطور لأني لا أريد أن أرى حبيبي يدللني بأشياء تعشقها النساء من نقود الرجال حتى لا أخدعك وأقول لمن بعدك أنه رجل بدوي لم يعطي اعتبار لمثل هذه ألأمور. . .

سنعود إلى الغرفة أغتنم لحظة غيابك لأحظر لك مفاجئتي وأقدمها على مائدة العشاء ولتكن سجادة صلاة وعطر وزهور. . .سنجلس على المائدة لأكلمك لأرى وجهك عن قرب. . .وأنت تتغزل بي، لا أريد أن أخاف منك ' من ارتعاش يديك أو شفتيك، تصرف وكأني لست موجودة، سأترك لك الحرية في الغرفة وهناك فقط أستطيع أن ادفع لك أول لقمة في فمك، لا باس أن ادفع لك أول لقمة في فمك. . .لباس أيضا إن أوينا إلى الفراش ولا باس إن وعت رأسك على صدري لكن شرط ألا يدفعك هذا لأن تنتقل من مروج شفتاي إلى حدود نهدي. . . ودون أن ألا يدفعك هذا لأن تخجل من غريزتك وتكون حجبانا أمام قدي. . . سأدعوك لتقدم

لي أروع هدية، أنت تحكي لي قصائدك أو مشوار حياتك على صدري، ساكون لحظتها أسعد امرأة لأنني أعتقد أنه لا توجد امرأة أسعد مني وأنت تداعب خصلات شعري هي أجمل هدية... صدقك لحظة ضعفك... ستذكرني بأنني إنسان وستعيشني لحظات من السعادة...

المهم تعرفت عليه انه وسيم جدا وهادئ جدا ومفعم بالأرستقراطية... لقد وجدته يبحث عن امرأة من طراز خاص ليست لا للملهاة ولا للجدية إنه يبحث عن امرأة تريح تفكيره وعديمة الأسئلة امرأة لا تدخل في خصوصياته امرأة لا ينتهي فكرها ليس دمية يأتي اليوم الذي تتآكل فيه وتصدأ الشيء الذي يجعله يبحث عن أخرى، والدمى في وقتنا هذا مثلما كان يقول لي تغيرت وتطورت، منها من تغني ومنها من ترقص...

كان ناصر ساعدي وكتفي وجدار ذاكرتي وجليس أمنياتي، لم أفكر في غدي وأنا معه، كنت بصحبته أنعم بالحظ الوفير فهو من كان يداوي أبي حين يمرض ويجفف دمع أختي الصغيرة عندما تبكي... لقد زوج أختي، ومنحني منصب عمل محترم، وكان يدفع فاتورات الغاز والكهرباء بدلا مني، والأكثر كان يؤثث واجهتي بأجمل الملابس والحلي... لقد دربني على الدلع والتبضع بكل حرية في كهوف تلك الأيام... ناصر فك عزلتي، وعلمني حلو الكلام، وعرفني بشخصيات ثقيلة وكان يوصيهم بي خيرا... كأن به كان يحظرني لما كان أت نحوي وأنا لم أعي كل ذلك ألا بعدما انصهر لحمي... نهضت من سريري وذهبت إلى النافذة التي كانت تطل على مبنى السفارة

ديدين: أرى أنك تحبين النافذة أكثر من أي شيء في هذه الغرفة

لا أدري ربما لأنها تساعدني على استرجاع ما أهوى أن أمحوه وتريد أنت أن تعيد كتابته...

ديدين في اعتقادك هل الحب جميل... تنهدت ورجعت إلى سريري وحملت مجموعة من الدببة وقلت لديدين أن يتركني لوحدي... الحب يا صاحبي كارثة تتهدد الجميع اعتبار في اعتقادي قادر على فك جميع القيم قادر أن ينزل مستوانا، يجعلنا تلتزم بحدود جديدة، يجعلنا نحب آخرون غير أبائنا وأمهاتنا حبا مختلفا.

عاد ديدين إلي بعد حوالي ساعة...

هل تسمح جميلة الروح أن أدخل؟...

بالطبع تعالى بجانبي، وطلبت منه أن يشتري لي مفكرة من الحجم الكبير، ذهب فورا وأتى لي بأجمل مفكرة لديه...

هل تعتقدين أن الرجل والمرأة حين يحبان بعضهما يكونان بالفعل قد أحسنا صنعا في حياتهما؟

أعتقد أن الرجل والمرأة يرتبكان أكبر خطأ حين يحبان بعضهما فالحب يعطي المسؤولية لحكمهم، لنوعية تعبيرنا لتغيير رزنامة أفكارنا ومواعيدنا وحتى أحلامنا.

ألا ترين أن الحب هو علاقة تتوفر عندما يوفر لنا الشخص الذي نحبه نفس القدر الذي يوفره هو لنا؟

حاولت أن أتهرب من الحديث عن الحب

... ديدين أريد شوكولاطة... فتح لي علبة وأدخل في فمي أول همسة فرح... كانت علاقتي معه سمعية أكثر منها بصرية

ديدين : لم أفهم... أتصور ذلك كان يعمل في العاصمة وأنا كنت بتيارت وكان الوصال بيننا سماعة الهاتف.

أعتقد أن العلاقات العاطفية عبر الهاتف تكون مفتوحة على كل الأبواب على القلق على عنصر المفاجئة

قاطعته المفاجئة هي أجمل شيء في الوجود فهي تعطي للطرفين نقطة التخيل التي تفرقنا عن الحيوانات

هل كنت تتخيلينه... سألني ديدين؟

كنت أتخيله أرسم ملامحه أتصور صدره ذراعيه كل شيء فيه أتصور كيف يعانقني حتى أستفيض جنسيا

سنتفق على شيء يا حلوتي أريدك قريبة مني ولك الحق أن تسأليني عن ماضي واني ومستقبلي...

هل لك أن تخرج من غرفتي الآن قلتها وأنا ابكي...

سأدع الأيام تقرر فقد تحبينني يوما آخر ولنتفق على التلاعب بالأيام فقد تخلق موعدا لنا... المهم لم يزورني ديدين يومين ت بعد أن عاملته بخشونة لكنني التقيت به في حديقة المستشفى...

وقفت وراء ظهره وأغمضت عيناه...

ستتفرج هذا المساء على رقصي الجميل... استدار وأخذني من يدي وأجلسني فوق حشيش استلطفته ودعاني لإكمالي ما تبقى من حكاية عمري...

كانت معاناتي مفعمة بالتقطع ومتداخلة الدوائر مع والدي وحبيبي... كان كل واحد منهم يأخذ قلبي ويرشه بالملح الأبيض كما يشاء، فالأول والد قاسي يحبني لمالي، والثاني حب يرفض الارتباط بوريد قلبي، ويتقيأ مشاعري نحوه متى سمحت الظروف... لقد أتعبتني مسؤولية العائلة المريضة ومسؤولية الحب الكبير الذي حملته

لذلك الرجل، الذي لم أكن أقوى حتى على عتابه.. .كنت بعدما يأخذ والدي راتبي أعود للتدين مرة أخرى، كان كل تاجر في ناحيتي يطالبني كل يوم برد دينه، لم أقوى على طلب المساعدة منه خوفا من صده لي ومرات كبرياءا مني... واستمر والدي في العيش على شاكلة المدللين، لا يشرب الحليب العادي ويأكل الزبدة الطبيعية التي كان ثمنها غاليا في تلك الفترة المتسمة بالجفاف في منطقتي، وأنا أشاهده بعينين شاردتين... في المقابل كانت أمي ولأول مرة تدعوني للزواج بعدما رأت في جفوني الدموع معلقة وعلى شفتاي بياضا وجفافا بالرغم من جملة المساحيق التي كنت أستعملها لإخفاء علامات الإعياء... حتى أخواتي طالبنني بنفس الشيء لكنهن لم يعلمن أن زواجي بغير الرجل الذي أحب قبرا أخرا وموته ثانية... في تلك الفترة فتش ناصر عن كل ما يِلمني ويضيعني ويشتت يومياتي فأسعدني وانتشلني بعدما علم بمشاكل الديون التي أوقعتني فيها ثقافة ترف الأستهلاك عند والدي فدفع كل ديوني وحل عقدتي مع أولئك التجار... مرت أيام وأتاني أبي بكل برودة ذات صباح باكر. يلعب على صدري الشطرنج كما يشاء، وطلب مني مبلغا ماليا كبيرا، يمكنه من الدخول في مشروع مع جارنا السي العربي، ساعتها قررت أن أتزوج لأول مرة في حياتي، ولو من غير حب، ولو تكسرت من الأسفل، إن طريقة حديثه معي وطلباته لم تكن غريبة في الكثير من الأحيان فكثير من الآباء أصبحوا اليوم يسيرون على نفس الدرب، إنها مأساة النساء اللائي يعيلن عائلاتهن، ويضحين بعمر الأفاق، والهوى، والشموخ في سبيل دعوة الخير التي أصبحت تشترى بالدينار الرمزي من طرف ذويهم... كانت فكرة الزواج أخر شيء اعتقدت لسنوات وأنا أحب ذلك الرجل أفكر فيها، لكنها طرأت وكأنها حاجة ملحة، وجدت نفسي بعدها مهيأة ولو للحظة ولأول مرة للتخلي عن رجلي،

إنه تقدم كما قالها عقلي في مسار تعاملي... لكن وبعد أيام رجعت عن قراري...

...هكذا ابق وغلل بيت العنكبوت، قد تتهاوى الأشياء، وقد يفوتني قطار الزواج، إن انتظرت عودتك يوما ما إلى هذا الوطن ذات يوم... الشعور بالألم أملى عليا ضرورة التفسح بعيدا عن جو أسرتي المعكر، فاخترت فندقا جميلا بمدينة ساحلية... بعد قيلولة دامت أكثر من ساعتين، ذهبت للمقهى، كانت به حفلة صاخبة، وكل الحاضرات بملابس عارية، كل وزندها، كل ونهديها، ما عدى أنا التي لم يرى مني الخلق ليلتها سوى وجهي، كان الكل حائر ومتسائل كيف لمتحجبة تظهر على ملامحها صفات التقوى، ووالورع، أن تدخل مقهى حانة الفندق، لم أعلم سر نظراتهم، إلا لما وقعت عيني على رف زجاجات الخمر... حينها فقط أدركت أني ارتكبت حماقة لا تقدر بثمن، لكنني بقيت واقفة أنظر إلى الخمر تارة، وإلى العاريات تارة أخرى... واستوقفني سؤال محرج جدا ومملوء بالخوف، ماذا لو سمع بي ناصر؟... بقيت أنظر إلى الكل والكل يجاملني، ويضحك عليا في أن واحد، إلى حدود الواحدة صباحا... لأصعد بعدها إلى غرفتي، وأستلقي على فراش قماشه ناعم... يا متمردة دخلت، واستنشقت رائحة النبيذ؟ لم تغضي بصرك على جسد العراة... يا لك من لعينة... إنك لقيطة السخرية... بقيت على ذلك الحال والندم، واللاندم يجاورانني، إلى أن بزغت شمس الصباح، وأغلقت الحانة أبوابها، ونام السكارى، واستيقظ الشرفاء ممن ينظفون أروقة الفندق، وشوارع المدينة... إنهم وحدهم الباقون على مبادئهم، ووحدي من حادت على تقاليد دينها، ونفسها، وعائلتها بسبب هاجس الحب... عدت بعدها إلى مأويا بجانب سماعة الهاتف أنيسي الوحيد، اتصل بي طلبت منه أن يدعوني لغذاء في

مطعم محترم فوبخني ليلتها وأقفل السماعة، لكنه أعاد الاتصال بي بعد دقائق وضرب لي موعد قال أنه من بين المواعيد الأخيرة التي ستجمعنا قبل رحيله إلى الأبد من الوطن وتسلم مهماته ببلد آخر... لقد كان ذلك الموعد منعطفا آخرا في حياتي لأنه آخر مجمع بيننا...كنت حينما أتذكر حلمه في مغادرة الوطن ومنصبه ابكي دوما بمرارة لان طعم الهزيمة أمام عقلي يؤنبني ويذوقني المر... كان حبيبي رمزا لكل شيء عدى الحب الحقيقي...المهم ذات يوم رأيته على شاشة تلفزيون قناة عربية لقد كان بصحبة الكبار لتقديم العزاء... مكة يا مكة.هكذا دفعة واحدة تزور مكة من دون موعد سابق كأنك الموت يأتي فجأة...كيف لك أن تختار أم القرى موطن الطهارة وأنت تعلم أن أجسادنا تعادي شرع مكة بالرغم من أننا نقيم الصلاة خارج مواعيد لقاءاتنا ونتناسى حرمة الأذان عندما تجمعنا غراميات الحب الخاوي... أسمع وأكاد اجزم انك أنت من، ، أنها موسيقى رأفت الهجان أنها الدواء الوحيد لي على الأقل حاليا يا من تحديت الدنيا والعقل من أجله بالرغم من نظرتك لي... لا أعرف لحد اليوم سر تلك النظرة الأحادية نحوي التي تجتمع في رؤاها مع والدي الذي خرج لي ذلك اليوم بأغنية جديدة بعدما أعياه المرض ونال من لذته اتجاه والدتي ' أمي التي تسانده في ما طلب مني وتحملني مسؤولية البحث عن راقي يفك بذكره رباطه لأنه لم يضاجعها منذ بداية مرضه بحوالي عشرة سنوات وهذا ما جعلهما يبتعدان عن بعضهما ويشعل فتيل الشجارات التي أتعبت كل من كن في البيت بمن فيهم أخواتي الصغار... المهم رحت ذات جمعة عقب انتهاء أمام المسجد المجاور لبيتي لخطبة الجمعة التي طلب من خلالها الرجال بإلزامية حصر نسائهم في البيوت وعدم السماح لهن بالخروج للتبضع أو للحمام متناسيا أن له زوجة وبنتان يترددان كل أسبوع لحمام الحاج

حمزة حتى أني فكرت في الدخول إلى المسجد والصعود إلى منبره ومنعه من الحديث بأشياء ينهي عليها ويأتي بمثلها لأنه بكلامه غرس في خوالدي شك في الرسالة التي عين من أجلها إماما في مسجد ببلدة تقدس الأئمة ولو الجهلة منهم بعدما ثبت أن بعضا من هؤلاء استعملوا الدين باسم السياسة أو العكس وأقروا ما يعرف اليوم بالأسلم السياسي الذي عاث في الأرض وأنهك المشاة... كانت الساعة الثانية والنصف تقريبا لما تقربت من أبناء أعمامي وطلبت منهم المساعدة في أيجاد راقي لكن كل واحد منهم تنصل من واجبه اتجاه بيت العم وتحجج بظروف عمل وأشياء أخرى كأحمد الذي فضل القيلولة تحت جناح زوجته بدل مرافقتي... ذهبت إلى ا بن الجيران فوجدته مغرما بملاحقة خصري وعينيا وفهمت أن الجار اليوم ما عاد جار البارحة...

...بدأ من أبي وأبناء عمومتي وجاري وصولا إليه بمسافة جبارة تختزل بالرغم من طولها حرارة الألم الممجد في داخلي... زادها موقف اعز صديقاتي سارة التي فرحت بارتباطها مع قلبها الثاني ورحت محملة لها بذهب أختي لتتزين به وسرق بعد انتهاء الحفلة مع ما كان لها من ذهب... وصولا إلى شكها في وإصراري على التدين لرد مسروقاتها فقط لأبعد تهمتها ونظرات عائلتها نحوي... توقفت قليلا وحدقت في ديدين ورحت أبكي... لما تبكين على ما مضى؟

لا تسلني يا صديقي عن سر ادمعي الجارية.فبعض الدموع تأبى الاختباء في مآقي المقل... ساعة تستقيل من مهامها النبيلة...

كيف حدث لي كل هذا... وفي وقت واحد ذوبان علاقتي بوالدي وتسلله مني وجرح سارة... كان الزمن يتفتق من فراغي العاطفي ومرايا الوجود من حوله تتكسر واحدة تلو الأخرى...

... كانت قسوة والدي قدري... وربما كانت حياتي لذلك لم أكن أعانده وكانت سارة جنبي التي أتكئ عليها وأتحايل بالإعياء حتى تدثرني أما أنت فكنت رسالتي والأكثر قضيتي في حياتي لأننا حين نأخذ الأمور كقضية نضحي في سبيلها وهذا هو الفارق بيني وبين ناصر لأنني كنت أعتبره قضيتي...

لما كان يتهرب من الحديث عن الحب معي كنت أتساءل كل مرة ووهو ينظر إلي مرددة مادام يتحاشى الحب لما هو باق على عهدي؟ ولما يسمم بدني بتعاليق نظراته ؟؟؟.

ربما كان الكبرياء بحد ذاته... أذكر أنني كنت أحاول في العديد من المناسبات تنبيهه إلى حدة جفائه خاصة يوم اتصاله بي وبوحي له بحبي وسؤاله عن مقدار شوقه إلي غير أنه أوقف حركة رموشي لما رد علي أنت تافهة لا تكلميني في هذا الشأن فيكفيني لعب صبيان.

لما شعرت أن الحب تحول إلى لعب صبيان مرفوع عليهم القلم، قلت في قرارة نفسي أنه لا يستحق أدنى إحترام... ذات أصيل والدنيا في بلدتي زوابع رملية وحارة خبرني لأول مرة أنه متأزم الحالة وأن له أسرار سيدة للسر غير قابلة للبوح... كان يراوغ في رواية أسرار يومياتك ومجاهل مستقبله... أما أنا فكنت قبرا مفتوحا يعذبه حب رجل كبير على الهواء ترى حتى كلاب السلوقي الجائعة احتراق شعري، وجسدي، حتى انتابني إحساس بوحدانية شخصيتك في وجودي... فهو وكيفية تعامله مع حوائجه جعلاني أعتقد بأنه المسلم الوحيد في هذه الدنيا الذي يعتقد اعتقادا حارا بنص حديث خير الأنام واقضوا حوائجكم في السر والكتمان... أيا م عدها رأس السنة الجديدة حل وكل الخلان قضوه في تناول الشكولاطة أما أنا فبت أترصد لسماعة الهاتف وكأنها الريم في جريها... سنة تأتي وأخرى

تروح... ولا شيء مميز... نفس الموسيقى، نفس الأعذار، وزيادة في معدل القلق، والارتباك، وكثرة للمواعيد السياسية، والبرامج، ومشاكل طرأت على رجلي جعلته يمر بأمر الضر وف... لقد تعرض لعقوبة بسبب زلة لسان في عمله... لسان رفض شفتي وتكبر عن الاغتسال في شلال ريقي... أتصل بي وقد تهيأ له أن ما بناه قد لم أجد سوى نصيحة: إرضى بما قدر الله وشاء...إننا لا نملك في النهاية غير الصبر في كل شيء، بدأ من اعتصار أمهاتنا عند إخراجنا من بئر السترة... مرورا لصبرنا على ألسننا حتى نتعلم مخارج ومداخل الحروف... وصولا إلى تعلقنا بالسيد حب ومفارقاتنا مع الحظ والنحن والأنا...ليس هناك في علاقات الإنسانين أجمل من أن أحس نفس الإحساس الذي يحوم حولك... لأكون أنت لأسكن صدرك، وأدخل مخك...لأعرف نقاط ضعفك لا لكي ألعب عليها كما لعبت ليلى ولبنى، وإنما للأخذ بيدك وقلبك... لقد بقى بالرغم من عمق العلاقة التي كانت تميزنا يرفض الالتحاق بسريري الشرعي ويفضل مضاجعة نهدي وما فوصية أمي... الوصية يا صاحبي طريق فوق القلب لا يمشي عليه إلا صاحب الوصية، وهو بند لا بد أن أبتعد عنه وإلا فقدت إرثي...هكذا حدثتني أمي عنه وعن كل من ينوي طلب وصيتها...أمي التي وحدها بللت ملابسها... أمي المخلوق الوحيد التي امتصصت حلماتها... قبل أن يعلمني مضغ أذنيه لأمكنه من التأوه فقط...الوصايا المائة وحدها كانت الوحيدة على كبح جماح هواي اتجاهه... لأنها تعلقنا من رموش العيون فالوصية يا صاحبي أخر شيء تشده الذاكرة بإحكام...استيقظت ذات صباح بعيون منتفخة، شربت كأسا من الشاي وحدقت فيه علي أقرأ حظي بداخله، لأنه ما من قارئة قرأت كأسي وخبرته بسعد الأيام، وما تحمله أجنحة الحمام ’ يا ريشة الروح يا ناصر بعدما حدق الكأس في

عيني وتماوج الشاي وبقايا النعناع بعمقه، خيل لي ورقة مكتوب عليها اسمه بأمواج مشروبي المفضل... فضحكت حد التعب، ومن شدة الفزع، لأن في بعض الكوابيس ضحكا أحيانا يخرج بشدة لحظة استيقاظ الإدراك، قمت بعدها من زربيتي، ووضعت الكأس وما فيه من خزعبلات فوق الخزانة...من يومها كتب له أن يبقى تحفة في موقدي، أزين بها أحلام يقظتي... خرجت في ذلك اليوم بعد منتصف النهار، والشمس تكويني، علي أجد طيفه عبر أزقة البيوت التي أسكنها وباقي أفراد بلدتي المكسرة برياح الغبار الآتية من جنوب البلاد العارية من الأشجار، قصدت رئيس البلدية من أجل ضمي إسمي في قائمة المستفيدين من السكنات الاجتماعية، غير أنه رفض بحجة أني جميلة، وعز باء لأن حق مثيلاتي داخل حكم مجتمعي مرفوض ومعلق باسم الشرف والعذرية... وإن حدث وأن نالت العز باء منا سكنا اجتماعيا لحاجة في نفسها فهذا بيان على خزيها وإشارة على فسقها... مشيت نحو ساعتين وإذا بأذان العصر يؤذن في الناس بصوت مبحوح... دخلت بيت عمي وصليت العصر وركعتين للاستخارة على الله يبين لي خيره من شره... البعد والهم والفراق وأشياء أخرى عفنوا بداخلي ولم اعد أراه إلا في السماء... حتى طقوس الحب الخاوي نمارسها فوق السحاب...مخيلتي عجزت عن تصوره وهو تمشي كباقي البشر، مما أثقل تصوراتي...صعب أن تسكن السحاب وأن ترضع زجاجات الرضاعة، بدل حلمات أمهاتنا... كما أنه صعب أن نتألق فوق حدود السراب، وأن نأكل الجمبري بالكسكسى وبدا لي ذلك النهار انه صعب على قدي أن يبقى عند ركبتيه...

لقد أفسد ركبتيك هكذا قال لي ديدين بعدما أحس أن الكلام بدأ يتعبني فأدخلني غرفتي... لكنني لم أنم وامتنعت عن أخذ المنومات

ورحت أتكلم بسرعة... إنه من السهل يا صاحبي افساد فكر المرأة، وناصر لم يفسد فكري فحسب... بل أفسد بشقاوة حبه حسي، وقبلت بذلك لأنني وجدت في إفساده لي تعزية في الأوهام التي كانت تعللني به... مهما يكن من أمر فشيء مختلف أن يكون أحدا أخر موضوع زمني الأتي...

قاطعني ديدين انك تحبين الحزن والتضحية... أنا لا أحب الحزن، وإنما أحب التضحية بنفسي في سبيل الكل عدى كائن قلبي... إن تضحيتي بنفسي من أجل أسرتي وهواه، سبب كنت أعيش من أجله... فمهم جدا أن يعرف الواحد منا ' السبب الذي يبقيه حي، ويدفعه للتعايش مع الحب، والماء والهواء، والعباد وأشياء أخرى... إن الإفرازات الحسية التي تعود قلبي إن يفرزها بشأنه أصبحت ذلك اليوم مرة المذاق، لأنني ذهبت للعاصمة قصد تسوية وثائق تهم مستقبلي، في شهر رمضان وأبى أن يقوم بكرم الضيافة، اتجاه امرأته وسمحت له نفسه الباردة، أن يجعل عرضي ينام في فندق من درجة واحدة، ويأكل طعام البنائين في عز الصيا، بحجة انه لا يستطيع أن يترك ورائه اثر... حتى لا يعلم احد أنه على صلة بمدنية... لقد كرهت رائحته وأشيائه... وسمحت لنفسي لأول مرة بأن أخون عهده بطلبي من صديقي أحمد مصاحبتي في تلك الأيام ليعوضني على فراغ ومسؤولية رجل عرفت فيما بعد أنه تافه...

... بعد أشواط اللحظات التعيسة معه كنت دائما حائرة... أتراه عقلي يتغلب يوما ما على قلبي ويمنحني كل الأجزاء التي سلبتها إياه لحمة مشاعري... أن العقل يعاكس حبه ويرفضه، وبه وجدت سبيلي في كثير من الدهاليزو، وبه عرفت سر وجودي وفهمت سبب وجود النخل، والسحاب، والأطفال، والخيل، والنساء، والموت

وأمور أخرى... لكن قلبي البخيل لم يعرفني إلا على هواك...لقد تبين لي أن الانحراف والانشطار عن القيم لاشيء قادر على إعادتهما إلى السلم الصحيح غير العقل، حتى خلت من كثرة البحث عن موقفه مني وعن وجوده أنه غائب، أو نائم، أو مسافر، أو لا أدري... أن الحياة مع العقل والتصالح معه فسحة تغذي الكل وتربط بين الأنا والنحن يا صاحبي...في لحظة من لحظات الرواسب الذاتية بدأت أشم الناس والهوى بطريقة جديدة على أنفي وشققت النفس على ملايين المساحات علي أحقق الكمال وأدخل حياته من باب الزواج لكنه أبى أن يبقى خليلي ويرفض العلاقة الشرعية...

...إن الزواج عنده أمر بالإعدام لذلك قررت ألا أكلمه فيه وأكتفي بالدعاء علا الله يجمعني به في الحلال...

أن أحساس طعم رفض الأخر لك مر، هناك فقط أحسست بما كان يكلمني إبراهيم الذي بالرغم من رفضي الارتباط به، إلا أنه كان يعاود طلب يديو وروحيو وما تبقى من عمري، في كل مرة... لقد رفضته وكان قراري سببا في إعادة بعثه لطلب تحويله من مقر عمله ببلدتي، إلى آخر نقطة في صحراء الجزائر

كان إبراهيم حبا مختلفا، عجزت أن أحبه، وعجز هو أن يتنازل عن حبي، أو يكرهني...كان مذاقا أخراو ولوحة، وعزلةو ومنحدرا مميزا لقد تعرفت عليه قبلك... كنت أعيش قلقا غامضا بسبب خوفي من الظلام الأزرق كل فجر وأنا متوجهة إلى عملي، كان شرطي يعشق راية الجزائر، وله قدرة خارقة على رفعها واستحضار وطنيتي، لذلك كنت أحييه وأبادر بالابتسامة... إلى أن أصبح أمرا مهما من ضمن عاداتي اليومية... وبات نضالي واستيقاظي باكرا من أجل إلحاق لقمة العيش لوالدي أية يركع لها إعجابه به، ومن أرقام الهاتف اختار رقمي

وطلبني للزواج... أتذكر ذلك اليوم جوابي الساخر والمفجع: أنا لك أنت؟. قف لا داعي لأن تكمل...يومها حزن كثيرا ولم يرفع العلم في الصباح الموالي ’ولم يكلمني إلا بعد شهور اكتشفت بعدها أنه غادر البلدة من انحناء الراية على مبنى قيادة الدرك الوطني ببلدتي... وكأنها فقدت نهد الحليب الذي تتغذى منه... إبراهيم عرف ألاف النساء قبلي ولكن قليلات من وطأن أديمه... سنة مرت على فراقنا وها أنا أذكره ذات يوم مصادفة وأستعيد جوابي الساخر له برفضي الزواج منه لحظة إستفزا أنت سؤالي لك عن إمكانية الارتباط بي... لقد أوقفني جواب ناصر في رياح جرح سببته لرجل أحبني أغلى من الراية..ومات موته موحشة ’ لقد غادر الحياة بسبب العطش بعد أن داهمته عاصفة رملية برفقة أصدقائه..عاد إبراهيم إلى الذاكرة... ورحت أندب لساني وإحساسي... في أي زاوية مات وأي ريح هبت عليه...

...منذ رحل لم تصلني منه كلمة أو نسمة أو همسة حب، حتى شعرت اتجاهه بعاطفة مجهولة خائفة وبدأ زمن التشاؤم من الحب وما حوا...ها أنا الآن مع ناصر وإبراهيم ودونهما...أحاول أن أتزين...أن أشعر الناس أنني من خشب لا من زجاج لكن وزني كسر كذبي وزيف حقيقتي... وأصبحت ضعيفة وصفراء اللون...يوم أخر من العطش الروحي...أتصل بي حبيبي يهنئني بفوزي بجائزة للآداب بفرنسا... طارت أشعاري وعيناي من الفرحة... بعد مدة سافرت إلى فرنسا في رمضان شهر التوبة والغفران...لقد رحب بي المسيحيون واليهود ونبذ خماري وصومي المسلمون الجدد من أمثال بعض الأقليات المغربية المهاجرة، وعبئوا من شاركوا معي خلال تلك التظاهرة الأدبية النسوية ضد الإسلام... إنهم يقولون أن خماري ورفضي كمسلمة الزواج بمشرك وصومي أمور ناد بها الإسلام

الكلاسيكي وعلى مسلمو هذه الحضارة المعلوماتية أن يطوروا من بعض نصوصه الخاصة بأحكام الحجاب والزواج... لقد أحسست أمام فقر لساني وعجزه على التكلم بلغتهم بشيء يحك قلب عيني... وأحطت كتفي بذراعي، والعرق البارد يقطر من شعري... أنهم أشقياء بصورة فضيعة، لقد كرهتهم وكرهت رئيسة الوفد التي رافقتني في سفري بسبب رفضها الدفاع عن الحجاب، والإسلام لتمكنها من لغتهم، وهو ما دفعني بالالتحاق بالمنصة للدفاع عن ديني بطريقتي الخاصة وبلغتي الفرنسية المكسرة.. .لقد سألتهم هل يزعجكم هذا الخمار ولباسي المحتشم؟ فرد كل من كان في القاعة عدى شخصية محسوبة على التيار اليساري في حكومة ساركوزي الفرنسية بالنفي بما في ذلك قاسم وباسكال.. .قاسم وأثناء تلك الأيام وبعد ذلك تقرب مني وطلب مني إعداد بحث خاص عن شخصية حفيدة بنت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقال أنه لم يقصدني أنا بالذات، لقد قلت له أن البحوث في هذا المجال من اختصاص القرآن، وقد انتهى عصر البحوث في هذا المجال بالنسبة لنا كمسلمين لأننا نأخذ ما جاء به الإسلام جملة وتفصيلا بنزول كتاب الله... وفيما كنت أتفحص رسومات معرض مكتبة ألكازار بمرسيليا، رأيت أديبات الجزائر المسلمات، وبعض الوجوه الأدبية المغربية يأكلون في وضح نهار رمضان ليس لعذر صحي وإنما ممارسة ورفضا لفكرة الصوم... أنني لن أصف ما حصل بأنه هام وفقط، بل سأروح إلى ابعد من ذلك، لأنني تذكرت في تلك اللحظة بأن ناصر قد عاش وقتا مضى بمرسيليا منزل حبه الأول، وخيل لي جسده في ركن من أركان بهو تلك المكتبة الجميلة وهو ينتهك حرمة الصيام، تمنيت لو كان لي رقم هاتفه بالجزائر حتى أتصل به لأسأله فقط فيما إن كان قد أكل رمضان بتعبيري العادي أيام كان يعشق - دومينيك - ويعيش في بيتها لسنوات...

. . .أيعقل أنني مع رجل خارج عن أهل الإسلام وأنا لا أدري. . .كنت هادئة جدا. . . ثم أخذت موجات عنيفة مستطيلة أحيانا، ومنحنية أحيانا أخرى، تتحرك وتتموج بداخلي، ورسمت على ملامحي لوحة تجريدية، أخذت تأخذ تدريجيا أسلوبا سرياليا غامقا في عوالم الطفولة. . .

. . .بعد رزمة من الأيام في فرنسا دخلت عاصمة الجزائر، وبالصدفة عرفت أن ناصر مريض قابعبإحدى المستشفيات العسكرية. . . دعني أصبب لك الدواء. . .دعني أترجم حبي لك بطريقتي. . .دعني أدلك كما يدور ببالي. . .دعني أمص معك السكر وأحتسي حساء أمك التي تمنيتها دائما أن تكون حماتي. . .

دعني أنادي عليك بكل حروف النداء لأوقظك من نومك لتولد حلاك الميتة، لعلي إذا ما بقيت معك في المستشفى أؤسس لحبي معك علاقة شرعية يا أعظم دولة. . . ترى من تدثره ومن على كتفها يتكأ ومن ومن. . . في الحقيقة. . . لقد كنت أعيش دائما على هامش أخباره ولذلك ربما اقتنعت يومها دون قليل ولا كثير من التفكير أنني سأعرف يوما ما تفاصيل أحواله الصحية.

لم يحدث لرجل أن عاملني بشيء كهذا لقد جعلني أحب خراب الألم وأتعلم أن أرى الدم وشظايا اللحم والحواس تتطاير دون إحساس بألم تحت صوت الموسيقى ورقصي الشرقي. . .

مدهش حقا أن يصل إنسان حنون مثلي إلى درجة الرقص عند مشاهدة الألم. . .انه شيء مميزا، هزيمة للحنان والرأفة، فليست كل الهزائم يا صاحبي مؤلمة. . . إن لبعضها مذاق للانتصار، انتصار فوق العادة. . . آه ديدين لو تعلم من قدم لي ذلك اليوم الورود واستقبلني بالشاي، والنعناع. ومربى التمر، أنه عمي مراد القادم من عاصمة

الأهقار إلى تيهرت فقط لينزع عني دمار المسؤولية العائلية، ها هو ذا العطاء والخير ’هاهو ذا انتصار أخر على نفسي التي حرمت عليها الفرح وما حوا ’الدنيا لا زالت بخير ما دام هناك إنسان على شاكلة هذا العم ومثلك ديدين وشددته من أنفه. . . في شتاء العام الماضي، س كان نظري رطب، ووجهي بتقاسيم محرفشة من شدة ضربات الجليد الأسود، التي كانت تضرب تراب منطقتي، وجدار بيت جدي الذي أسكنه رفقة عائلتي المصابة بمرض البرد، والمفاصل. . . أيل للسقوط تحت سقف تتقاطر منه حبات البرد القاسية شتاء، ورمال الزوابع الرملية صيفا، حتى المرحاض كان يبعد عن غرف نومنا بمئات الأمتار، ، أنها ألوان مختلفة من العجائب التي قرر عمي مراد أن يخنقها بهديته الكبرى. . . مسكن محترم. . . نعم مأوى ساعة دخلته تعرفت على الفاضل احترام. . . وأخيرا سيدخل الدفء عظام أمي، ونستمتع بالاستحمام في مرشة كالعالم، يسيل منها الماء بأعجوبة، ونطبخ الكسكسى، والحريرة في مطبخ، ولو من الدرجة الثالثة أخيرا سيعود لوجهي رطوبته وينتهي وقت الحراشف. . .

. . .في دار الضيافة. . . عند زاوية الكوت الأيمن كنت قد وضعت أغلى شيء املكه ساعة فضية دائرية الشكل ومجسم لغزالة كان كل من يدخل بيتي يلمسهم ويقع في حبهم على الفور. . .

في تلك الأيام رحت أفكر في هدية خالدة أمنحها لعمي مراد، ولم أجد عيني إلا على ذلك الكوت وما يحويه. . .إن عمي مراد يملك كنوز الجنوب، والجواهر، والدرر، ولا شيء يوازي ما فعله معي إلا أن أعطيه أغلى ما أملك من أشياء. . . محاولاتي الأدبية وتلك الساعة الفضية وغزالتها. . . أتذكر سؤاله لي يوم قدمت هديتي: لماذا يا حلوتي تمضين في حب رجل لم يصبك منه إلا الشر. . .لم

أجب. . . ربما لأنني أدركت أن الألم العنيف الذي يعرفه قلبي، كان في محله. . .لحظتها تمنيت لو يعانقني عمي مراد، لتحاكيه قوة عضلاتي عن هوة قلبي. . .كان جسمي يرشح عرقا من صدري وظهري إلى نهاية قدماي. . . عمي مراد فهم من كلامي معه أن الرجل هو الدواء الوحيد الذي يمنح النساء الحياة، وأن امرأة مثلي يلزمها مثل هذا الدواء، لذلك حدق في عينانا لوقت طويل وقال لي : إن الحياة اختيار والحب فيها كارثة تتهدد الجميع لأنه اعتبار قادر على كل شيء وعاد إلى الأهقار. . .

. . .كان الزمن قد مضى عن زيارته واتخذ مجرى أخر لكن هذه المرة ببطء ' لم أكن بعد في الخامسة والعشرين ومع ذلك كنت أحس بكبر سني ربما لأنني تحملت مسؤولية إعالة أسرتي وأنا ابنة السابعة عشر، وربما لأنني أعتقد اعتقادا حارا بما قاله لي ذات يوم السيد قطب : أن العمر لا يقاس بعدد السنون التي نعيشها وإنما بما حقق الإنسان في تلك الفترة. . .

ذلك المساء خطبة أختي زهراء. . . لقد. . .أخرت خطبتها لمدة أربع سنوات بسبب شكل البيت الذي كنا نسكنه. . . نظرتها الفوقية، ورفضها للعمل ومستوى حبيبها، جعلاها تنظر إلى الحياة بشكل مختلف. . . تمنيت بعد تخرجها أن تعمل وتساعدني على تحمل أعباء مصاريف مستلزمات العائلة، أو أن تمهد لي الطريق لأحقق حلمي بالعمل في العاصمة، لكنها كانت ترفض فكرة مقاسمتي تلك المسؤوليات، لذلك ظلت عاطلة عن العمل نحو أربع سنوات بعد تخرجها. . . وأتمت الخطبة وعقد الزواج في ظرف يوم واحد لا أكثر. . . كم جميلة تلك الملابس والأغطية التي اشترتها. . .لقد تدبرت الأمر وحققت لها جل أمنياتها حتى لا تشعر بالنقص وهي

عروسة في بلاد الشرق الجزائري... زفت في يوم مشمس وهادئ وبكت لدى خروجها من عتبة بيتنا الجديد الذي لم تتمتع به إلا بضع أشهر... لقد قالت لي أتمنى أن أحضر عرسك وأن أفرح بك ومعك...

أحسست أمام قدها الجميل بالعذوبة التي كانت تنبعث من نورها وأغمضت عينيا وبكل قواي أبقيت جفوني مغلقة وخيل لي أني أزف يوما ما إلى حبيبي...

أتراها أمنيتي تتحقق يوما ما وتقرأ فاتحتي وتزغرد لي أمي وأخواتي؟؟

هل يمكن أن ألبس ذلك الفستان الأنيق، ؟ وأغير لون شعري وأزين، وجهي بكل أنواع المساحيق، وأتعطر، ويصعق النور من وجهي، وأفرح. وأضحك، وأنتظر بفارغ الصبر والخوف دخول عريسي علي؟؟؟...وما لبثت على ذلك الحلم حتى رن هاتفي النقال وأرد... انه هو... يا سلام، لقد دعاني لسهرة على الشموع والأكل اللذيذ والموسيقى الراقية في بيت على شاطئ لسابلات...التحول مرة واحدة من أرض لا تعرف سوى الزوابع الرملية الآتية من جنوب البلاد، إلى عالم الماء، والهواء الرطب، أمر فيه مذاق من نوع أخر... بعد عودتي من زفاف أختي، حضرت نفسي، وارتديت ملابس جميلة، واستحميت بعصير الليمون والزيزفون، وأخذت إذنا من العمل، وبنا إلى مستغانم...موطن النقاء، والشساعة... امتطيت لأول مرة حافلة نقل كبيرة، اختلطت فيها الأجناس، والتراكيب الإنسانية كانت تسير ببطء، وكأنها لا تريد أن تصل متأخرة، حتى يتسنى لصاحبها المبيت على شواطئ مستغانم، وليزداد شوق حبيبي إلي... المهم وصلنا بعد الظهر ووجدته برفقة صديق قديم...دخلت

المكان الجميل، وارتشفت كأس شاي، وقرمشت قليلا من المكسرات... وأنا معه شعرت بنوع من الرتابة في دواخله، برغبة منه في امتصاص كل المعاملات، والبرتوكولات، التي تحرم عليه وعلى أمثاله حق المرض، وحق عقد علاقة حرة، شعرت وأنا بجانب صديقه، أن قلبه يفيض تأثرا، كان ذلك يبدوا في لب مقلتاه اللتان تغشتا بالدمع كلما رأى اثنين يمشيان مشبوكين الأيادي... لقد سرنا على رمال الشاطئ بمسافة بعيدة عن بعضنا، كان يتجنب أن يسير بجانبي حتى لا يكتشف أحدا من معارفه أنه بصحبة امرأة، غير أن الحب كلما سقط نظره على نظري كان يكشف للكل أن قصة ما بين هذين الشخصين، فكان لابد أن يتوقف على السير ويأمرنا بالرجوع إلى المنزل...

كم تراه احتاج من الوقت ليمنح تلك الليلة ضحكات باردة... لقد اكتفيت بالتكلم عن بعض الأطياف الإنسانية مع صديقه، الذي راح يذكرني بأيام الجامعة وعن محاولة ضابط مباحث إغرائي بالعمل كمخبرة في الإقامة الجامعية أعاونهم على التحري وكشف بائعات الهوى، والحشيش... وكيف أني رفضت الدخول في عالم كنت في غنى عنه... أتذكر نظراته نحونا ونحن نتكلم ببساطة اللفظ، والإشارة... كما لو أنه أمامي الأن... لقد كان صديقه يحدثني بلهجة مبالغة المجاملة، فهو لم يكن يستعمل صحيحا صيغ التأدب الكثيرة في غرب الجزائر، وإنما كان يتكلم بلهجة من الوسط وخليط من اللغات.. .لقد أحسست أنه يحترمني غصبا عنه، لأنني أنثى الرجل الذي ساعده كثيرا في أيجاد منصب حساس في قصر الشعب.. .لغتي كانت عامية... ريفية وبسيطة كنت أحاكيهم في تلك الليلة عن أمور صادرة من تقاليد الحوارات الحضارية التقليدية، فقط لأسعد ناصر، وأحاول بنكتي أن أنزع ولو لوقت قصير نظرة الدموع

من عينيه الجميلتين. . .وعلى عكسي وعكس صديقه كان ناصر يستعمل في حواره معنا ومعي بالذات العبارات التشريفية. . . أنها طريقة مضطربة وشبه قذرة التي كان يعبر بها. . . إنها لا تجرح الأحساس، وإنما خلخلت أذناي، لأنه كان يتكلم غصبا عنه، ويرى في حواري مع صديقه شيء من السوقية. . . حتى بدت لي تصرفاته أنها غير صحيحة، والحقيقة أن صديقه لم يخفي نفوره من طريقة حديثه، كان يفضل أن يطلب رأي في موضوع ما. . . ولكن لما كنت أجيبه بعفويتي وبابتسامتي العريضة جدا' غالبا ما أجد نفسي مرتبكة بالأسئلة التي كانت تطرحها عيونه. . . لقد شعرت أنني أرهقه بصد لعباراته التشريفية، لذلك وقفت فجأة من على كرسي طاولة الطعام ودخلا غرفة النوم. . . لقد تغير فجأة وأصبح رومانسي بعد ذلك، إنه يتغير بإيقاع مدوخ. . .لكن رومانسيته كانت قصيرة. . . لأنه سرعان ما رجع يقسوا شيئا فشيئا. . .ومن دون سابق إنذار ولا حتى كلمات تشريفية سألني عن سبب رفضي الزواج بمن تصورهم يتقدمون لخطبتي كرئيسي في العمل. . . لقد أسئت فعلا بأن أعيش على هذه الشاكلة. . .أنا أيضا بالرغم من كل هذه السنوات التي عشتها معك أسألك ذات السؤال لما لم تتزوج أو لما لم تفكر بالانتحار ساعة وقعت بيدك وثيقة عدم الارتباط بإمرة. . . ليس هناك من إحالة على التقاعد بخصوص هذا السؤال. . . هناك مع ذلك السؤال لقد وددت ولو مرة واحد في حياتي معه أن أعرف أي شيء بخصوص ماضيه. . .أتراه يخجل منه أم انه مؤلم بشكل فضيع لا يسمح بالتبشير به. . .لكن سرعان ما ماتت تلك الرغبة في معرفة ماضيه لأنني تذكرت مثلا كنت قد قرأته في رواية يابانية يقول : حين يصبح المرء أصلع يندم على أنه لم يغتنم الفرصة. . .

. . .أأكون فعلا قد فوت الفرصة؟ في وضعي هذا لا يسعني إلا

أن أقبل اتفاقية العلاقة التي جمعني به منذ أول يوم قررنا أن نمشي فيه مع بعضنا على طريق مبهم.. .عدت إلى منزلي وإذا بخبر سرقة متجر عمي ابوعبدالله يكسر راحتي ويسحق جزئا مهما منها فهو المتجر الوحيد الذي كنت اخذ منه الدقيق وتبعاته بالتدين.. .من أين لي بعم كهذا وقد عرفني الكل بأنني استهلك أكثر مما ادخر.. .وانتهى بذلك كرم الدين عليا.. .فقد سرقوا كل ما وقعت عليهم أيديهم بما في ذلك كناش الدين ...

تعشيت تلك الليلة في غرفتي ولم اشأ ان أنزل إلى مطعم المستشفى بعد أيام دعاني ديدين لحفلة عيد ميلاد مريضة بالمستشفى...

ان أذهب لأنني لا أملك هدية...

قدمي لها دبا من دببتك...

المهم تدبرت الأمر بعدها وذهبت إلى تلك الحفلة...

وهناك جلست بعيدا عن صخب الموسيقى وبدأت أشاهد رقص ديدين مع رئيسة مصلحته... وتذكرت ناصر... إنه بالرغم من كل شيئ حبي الأول، وجرحي الأول ولا يمكنني أن أنساه مهما يصر.. .تقرب مني ديدين بعد شجار نشب بينه وبين تلك المرأة بعدما أكتشف أنها ظلمته باتهامها له بإخفاء بعض الملفات...

لقد جاء مكشرا وأخذا كوبا من عصير البرتقال وأخلط مع عصير التفاح... إنه مذاق مختلف... ذوقيه...

حملت نفسي وعدت إلى غرفتي وتخبأ جسدي داخل الفراش ورحت أبكي.. .إلى أن جاء ديدين... ورفع عني الغطاء وقبلني وضمني...

ما أكثر الظلم في البلد يا صاحبي... إنه شيئ شبيه بالسيادة وبالسلطة فيه رائحة من أيام الماضي السياسي لما بعد ثورة التحرير... مزيج من تركة وأرث الحزب الواحد...

الناس يقبلونه بدون مناقشة... ويحملونه بحجة سطوة أصحاب المعالي والسمو أنهم يقبلون التعوبض في الشركة التجارية التي كنت أعمل بها على مسروقات موصوفة لم يرتكبونها فقط حتى لا يدخلون بهو المحاكم التي أصبح فيها القانون والعدل من حقهم لا من حق الضعفاء... لقد ظلمني مديري شر ظلم ولم يكن الوحيد في حياتي بعد مرحلة الطفولة من يتهمني بالسرقة فقبله رانيا مسئولة دار النشر التي عملت عندها لما كنت طالبة في معهد الصحافة بالجزائر العاصمة وتنصلت لي بعدما لمست تفوقي عنها في العمل وطردتني بطريقة مسكونة بهاجس الحيلة، والغيرة، والكره... لقد خبأت مفاتيح المحل الخاصة بي بعدما طلبت مني تسديد فاتورة الهاتف وفاجأتني لدى تأهبي لغلق المحل بعد انتهاء ساعات العمل بعدم عثورها عليه واتهمتني بتضييعه، بالرغم من أنني كنت متأكدة بأنني لم أخذه ساعة خروجي بما أنها كانت ورائي لكنها كانت الحيلة الوحيدة أمامها ليتسنى لها طردي تحت تسمية الإهمال الجسيم... المهم لقد كنت أعمل عندها دون مقابل، فقط لأتعلم أبجديات الصحافة، والنشر والإشهار، بالرغم من أن الشركة الأم التي كان محلها بالعاصمة كانت تخصص لي راتب شهري، اكتشفت حقيقته عقب زيارة المدير العام للدار، بعدما طلبت منه أن يوظفني رسميا خاصة أنني خدمت الدار لمدة 3 سنوات دون أن أتلفى دينارا رمزيا لأتفاجأ بمرارة الحقيقة... لقد كانت جميلة وغنية وأجرتي كانت ثمنا لأحدى نعالها فلما تطمع فيها...لم أهضم الأمر في البداية لكن ذلك المدير نبهني إلى غيرة رانيا لم أستوعب الأمر مرة ثانية وكأن المفاجأة والصدفة يهجمان عليا

مرة واحدة وأنا أتذكر تضحياتي ووقتي ومحبتي لرانيا... ها أنا أملك أكثر من حجة لمواجهتها لكني فضلت أن أوكل الرب في عقابها لأنه العزيز الجبار المنتقم... أرتجفت يدايا وقدمايا وأنا أخرج من الدار وذهبت لبيتي وانهمر الدمع العزيز من عيني أمام يجدتي التي دعت عليها... انها لاطريقة الكبار في ألأنتقام المشروع...

...رفعت يديا إلى السماء وطلبت من المولى أن يتولاها صدقني ديدين بعد أسبوع من الحادث سمعت أن الدار سرقت بما فيها

...أنها رائحة الحق يا حلوتي... دعي عنك نامي الأن وغدا يوم أخر.. .لقد كان ناصر يعرف كل شيء عن حياتي وكان يستمع لهمسي وصمتي ويتأملني ويقول لي: هزي عليك راني هنا... فأنسى الدنيا والهما... في الصباح الباكر وجدني ديدين عند النافذة... ودون أن أرد عليه تحية الصباح رحت أتكلم...

لقد كنت أشعر بالمتعة في بداية علاقتي مع ناصر... لقد عوضت معه كل عقدي وحواجزي وآلامي، وكتبت معه أجمل الأشعار، والراويات... لقد أحببته بجنون حب الأمهات لأطفالهم، وبتفاصيل القصص الغرامية العظيمة... لقد عوضني في العديد من الممرات عن حضن والديا، وجرح المحيطين بي... كان وردي... وعطري... دروبي قلوبا تدق بسرعة الغزلان... كان نجما لا يوارى وشمعا لا يذوب...

مرت أيام ولم يتصل... لم أتوقع إطلاقا أن تصل فساوته إلى تلك الدرجة وكان حضوره ووقوفه بجنبي عند وفاة أبن أختي أمينة أكثر من ضرورة ملحة... لكنه لم يعزيني حتى... أنهرت في تلك المرحلة وفقدت مقود محور تفكيري، أصبحت خائفة وغائبة كأني أعيش أخر فصولي... لم يكن ممكنا في تلك الأيام بعد برودته أن

أذهب إلى أعماقي وأفتش عنه ولكان ممكنا في تلك الأيام أيضا أن أتجاهل الأمر كعاداتي السابقة وكأنه لم يهزني

...ألم يكن من الضرورة أن أموت ويبقى صهيب... ألم يكن من العدل والأنصاف أن أجازى بحب غير هذا...ها هي ذي أسئلتي وأمنياتي الحمقاء... لم يعد بإمكاني اليوم أن احلم لذلك تركت نفسي ممدة على مصطبة المعلم حب يتربص بها وسط سكوت عقلي واستفزاز الكبرياء... كل شيء فيه يهزني يربكني وكل شيء في ذاتي لم يعد جاهز للمقاومة...حاولت أن أرى فيه نافذة لغدي لكن طول قامته وممراته السرية وكثرة حروفه وتعدد لغاته.لم تكن مشروحة بما فيه الكفاية...

لقد تعذبت كثيرة... وفي لحظة ذهب تفكيري إلى بعيد أنها تخيلات مفجعة إلى حد كبير ومنطق أدركته لأزل مرة...لقد تخيلت نفسي بدونه...نعم أنه التخيل الذي طالما انتظرته وأرقني وجعلني دمية في يد أحلام اليقظة...ثم ما لبث أن عاد تفكيري إلى هناك إلى مرتعي بجانب سماعة الهاتف الخلوي الذي أحاول أن أتجاوز الكذب والجرح عن طريق اللعب به وانتظار رنينه بلهفة

في صباح باكر توجهت يوم عيد ميلاده إلى مكتبي بدار الصحافة علي أجد شيئا يصلح كهدية تقدم لحبيب مثله، لم أجد سوى الكتب والروايات والورود الاصطناعية والقوارب الخشبية والشموع الملونة، لم يلفت نظري أي شيء خاص بالرغم من أنني توقفت طويلا أمام لوحدة أهداها لي الشاعر الكبير حرزللة، كانت شجرة بأوراق بالية وظل أطول من قامتها بكثير أوانها رمادية وفضية تصر الناظرين كانت أجمل شيء في مكتبي كل الصحافيين والكتاب اللذين يقضون وقتا سعيدا معي يعشقون التأمل فيها... لكنني فضلت شيئا أخرا لم أعرفه

إلا بعد أن زرت تونس في رحلة أهدتها لي الشركة التي كنت أعمل بها... لقد كانت هديتي عبارة عن برنوس أبيض وأقدم نسخة للمصحف الشريف في الشمال الأفريقي... هدية لم يهديها احد لأخر...

...ذهب قلبي طوال ذلك الأسبوع عنده تمنيت أن يكون معي... أنها مجرد فكرة في صيف 2003...

كانت مدن تونس مطوقة بالاخضرار وبالحب العشوائي والحقيقي لمختلف زوارها الوافدين من بلاد الناس... عشرات الأسماء حفظتها لأناس أحبني من ضمنهم شاب لبناني لا يدين بالإسلام واعتنق قبل مجيئه لتونس الديانة المسيحية بأسبوع واحد... كان جميلا وربطتني به عاطفة غامضة... ورحت أجول معه سيدي بوسعيد وأرض الأحلام والحمامات الجنوبية وأسواق تونس الشعبية التي اشتريت من واحدة منها هديتي لقد استغرب جوزيف : لماذا تهديه أقدم نسخة لقرأنكم ؟

هكذا راح يسألني ويعاود طرح السؤال بصوت عالي

لم أجيبه... وفجأة أستيقضت داخلي شحنة بكاء وبكيت على صدر ذلك المسيحي... انه رجل تحترف عيناه الاغتصاب النظري وبلهجته اللبنانية أستطاع أن يدخل إلي وخلق شخصية على قياسه بداخلي، بل ربما أعاد من جديد شخصيتي الأولى... التي كانت ترفض حبيبي وتكرهه... لقد شعرت بحماس وبخفة مفاجئة دبت في جسمي وقررت أن أنفصل عن حبيبي فور عودتي من تونس... مرارة التنقيب عن حجج لإقناع - جوزيف - باستحالة علاقتي معه... علقتني أما قده وأمام أوراق شخصيته التي لا تحتاج لأي إضافة أو حذف ماعدا إمكانية دخوله الإسلام أو اعتناقي أنا للمسيحية وهذا هو المحال... أحقا كنت أملك صلاحية الاقتران بشخص غير

حبيبي. . .ولكن هل يجرؤ هو أيضا على الاقتران بأخرى. . .أنا في ثاني سفر لي ببلد غير الجزائر أدخلته محل البيع وهو بسفرياته اليومية، أتراه لم يغيرني في كل بلد بعشرات الذكريات والزنود والرقاب. . .لقد لبست جوزيف مع ابتسامته وضحكته وحديثه وحاولت أن أتزين به أمام قلبي. . . في البدء كان مجرد التفكير في إنسان غير مسلم ضرب من عبث ولو بالكتابة لكن استدرجني جوزيف تدريجيا بنصائحه الغربية لقد كان يفقه عن الإسلام ما لم أعرفه أنا المسلمة. . . رغبته في ضرورة قطعي لصلتي بحبيبي ناصر بحجة أن الإسلام يدين العلاقات مع الرجال والنساء المسلمين من غير زواج كانت لا تقاوم لقد طالت أعماقي وجرحتني أكثر من اللازم ربما لأنه كان يجهل أن نصفي الثاني حبا كاسحا صعقني فجأة دون حذر

. . .المهم تفطنت أن ما أقوم به كمسلمة مع مسيحي أكثر بكثير مما أنا عليه مع مسلم. . .وحطيت يدي على كتف جوزيف الذي لو لم يكن مسيحي لأعطيته الشمس والنور. . . وقبلته بدون تعبا ولا حياء وانصرفت. . .توضأت بعدها وصليت ركعتين وتوجهت بعدها على مطار قرطاج الدولي وبنا إلى تلك الجميلة. . . وطني الجزائر. . .وأمضيت في رحلتي. . . ووصلت ولم أجد ناصر في انتظار ولم يتصل بي إلى إلا بعد أسبوع لمشاغل في عمله حسب ما أدلى به لدى لقائه معي في مدينة وهران. . .وقدمت هديتي. . .

. . .إنني لم انسك طوال هذه الفترة لأنك تسكنين عيناي. . .هكذا قال لي. . . لقد تركت لي تلك الكلمات أثرا غير كبير لم أبالي به وفاجأته بالضبط مثلما فاجأني بكلماته اللينة. . .

. . .لم يعد بقائنا مشبوكين الأجساد والأحاسيس ممكنا ولأنه يجب أن نضع نهاية بأقل وجع ممكن لحبنا. . . لا داعي لمزيد من

الحرقة والتساؤلات والأحلام... أكثر من سؤال أحسست أنه معلق في حلقه وعند باب لسانه...لكنه لم يستطع أن يطرح علي أي واحد منهم في تلك اللحظة...شعرت في نظراته أنه توصل إلى حقيقة مفادها 'أنه السبب في هذا القرار المفاجئ لذلك راح يضرب المائدة بيده ويعاتب جبينه... لقد طلب مني أن أحقق له رغبة حضرته ساعة تفوهي بذلك القرار...طلب مني أن أضعه بين جناحي...لم يهمني أمره... مادامت حياتي لم تكن تهمه... هكذا أحسست لحظتها كنت أتوقع أن اجن لكنني كنت باردة جدا...حضنته وتحايلت عليه وربما تحايلت على قلبي أيضا...

ثم تمدد على أريكة فخمة... أحقا أنت قادرة على تحمل نتائج هذا القرار؟ هل حقا ما قلتيه أم أنه حلم...

...أنت لا تحلم يا سيدي...هكذا رديت عليه وانصرفت من ذلك المكان...وأنا أسير تذكرت جزءا من رواية ذاكرة الجسد: كان لا بد أن نعترف أننا تجاوزنا عمر النط على رجل واحدة، والقفز على حبال والإقامة في مربعات الطباشير الوهمية... أخطأنا حبيبي... الوطن لا يرسم بالطباشير، والحب لا يكتب بطلاء الأظافر ..أخطأنا...التاريخ لا يكتب على سبورة...بيد تمسك طباشير وأخرى تمسك ممحاة... وأسقطت حبي على الوطن والتاريخ في عبارات أحلام... عدت إلى بلدتي والألوان كلها في عيني رمادية كسحب تشرين... أضواني شوقك يا من هجرت...

فلأجل عينيك تعلمت السهر...

أغدرت لأني عشقت صغيرا...

عشقت وأنا بن الرابع عشر...

. . .أعطيته حبا وروحا وقلبا. . .

وأن أراد منحته البصر. . .

. . .فخان القلب وخان الفؤاد ورمى بحبي في ماء عكر

إني قتلتك واسترحت يا ارخص رجل عرفت. . . بتعبير نزار بهذا الكلام كنت اصبر نفسي لكني عمقي قتل نفسه ولم يقتله هو. . .

أنه صباح هادئ مملوء بالفرح لا أدري بعد قراءتي لأذكار الصباح دعوت الله لأن يعطيني أجمل في هذا اليوم. . .خرجا وعند أول الطريق.انه هو بسيارته الجميلة وبذلته الأنيقة وبنظاراته الشمسية أتراها مقولة: الرجل حينما تجرين وراءه يهرب وحينما تهربين يجرين وراءك. . .كنت خائفة من اللاشعور من ذلك الإحساس الخفي الذي خبأ الحب وما فيه. . . نزل من السيارة وأتى نحوي. . . أعلم أن كل الأماكن فيك محجوزة باسمي وأن حدث وأن رفضني القلب لا بد أن الكبد لا زال يصفي أخطائي ويرميها لأبقى أنا بحبي أجري فيك يا امرأة هي عندي أغلى من الدنيا. . .أنت حبي للزمن الماضي والحاضر والقادم أنني أهواك. . .وأعرف أنني أدبك وصحافتك وغموضك وفرحتك. . .وفتح باب السيارة وسرنا باتجاه الجنوب. . .

أحبك دوما ومهما حييت. . . ولن أنساك مهما يصر. . .

. . .فأنت من هزم الفؤاد. . .وأنت قضائي وأنت القدر. . . رموشك كانت سهاما قوية. . .أصابت القلب دون حذر. . . ولجت الفؤاد دون انتظار. . .فكان سلاحك سما لا خنجرا. . .لقد جهز سيارته بكل مستلزمات التخييم حتى بملابس نوم نسائية. . .وعى أصابع ذكريات الحب عزف أجمل ما يخلقه الرجال للنساء. . . ومشى على فرحتي به يوم اللقاء الأول. . .وأعادني على أحضانه كالطفلة

الحالمة. . .راحت يداي تتسكعان. . . فتحتا زرا قميصه ودخلتا وشبكتا منطقة قلبه. . .ضحك هو لتصرفي الذي حمل معه ضعفا أنثويا. . .لم أكن أعرف ولا أتصور أنك ستعود إلي. . .

أما أنا ففكرت في كل شيء معك عدى أن تنفصلي عني بإرادتك. . .هكذا رد عليا. . . حينها أخرجت يداي وساد شيء من الصمت بيننا ثم حدق في : لماذا يا حلوتي ا خرجت عصافيرك من أوكارها؟

ـ أتدري أنك أرجعتني إلى نقطة قراري بالتخلي عنك. . . ؟

أجابني بطريقة الهادئ الواثق من نفسه. . .اعلم، لأنك تميلين دائما إلى الحزن وتلبسين الأسود حتى تضعي حدا بينك وبين كل من يسيرون على ذات الطريق التي تتبخترين فيها ولأنك تأخذين الأمور بالسلبية لذلك قلت لك إرادتك. . .

رديت عليه بمسحة حزينة: لا أعتقد أنك كنت سترجع لي وتدق بابي لو خرج ذات القرار من عندك وبإرادتك.؟

أجابني بصوت هادئ أعترف أنني رجل كله كبرياء وشموخ لكن مشكلتي معك أنني أنسى قوة مكنوناتي وشخصيتي دائما في حضرتك.وضمني إليه بألا أتشاءم. . . وضحكنا كثيرا. . .

كن كنت أود يا حبيبي أن أمضي كل الأوقات التي ضيعناها في البحث عن حقيقة المشاعر التي تجمعنا كما قضيناها هاته الأيام دون نزاع. . . كانت هذه الأيام أجمل ما قضيت معك. . . أنها شهادته، شهادة إعجاب نابع من إحساس جاد. . .ما عدى أيام رحلة الجنوب لم أعش معه على مدار سنوات لحظات تقترب منها ولو بألف ميل. . .كان في حضوره المميز شيء من الشاعرية الكلاسيكية وكان

تلقائي وبسيط بحضوري الأنثوي الدائم على طول تلك الفترة. . .وبالرغم من أنه كان يكبرني بعدد سنوات عمري جرى معي على رمال تاغيت ولعبت معه لعبة الحجارة الخمسة وجريت معه وصرخ حد التقطع. . .لكنه فجأة بكى ذات يوم، في الواقع كنت أريد أن أسأله عن سبب بكائه في عز الفرح لكنني تراجعت ودغدغته وصببت الماء فوق رأسه وجري نحو الطريق تبعني وهو يضحك ويبكي. . . صعدنا بعد ذلك على الغرفة. . . فتح حقيبته الدبلوماسية، وإذا بثوب عرس. . .لقد أهداني ثوب زفاف لم تطرزه غير امرأة واحدة في هذا الوجود لامرأة أخرى واحدة هي الأخرى في هذا الوجود هي أنا والأكيد أنه دفع لها الكثير حتى يأخذ منها حقوق الاختراع. . .

اقبلي هديتي أتنمى أن أراك يوما عروسا فسعادتي تكن في أن أراك مرتاحة ومبسوطة برجل أحسن مني. . . أتذكر سعة شراهتي لمعرفة ما كان يدور بمخيلته. . . لكنه سرعان ما أخرجني من الفندق وطلب مني أن أقود السيارة بدلا منه. . .لمن تراه قدم هديته؟ ألحبيبة يتمناها زوجة ؟ أم لعشيقة يتمنى أن تتزوج وان يكون ثوب عرسها من انتقائه يحمل بصماته فوق جسد يتلذذ بأكل لحمه النيئ رجل آخر غيره ؟؟؟؟. . .

لم اطرح عليه أسئلة بهذا الشأن. . .لان هناك شيء من بقايا الاعتراف بأنه يريد أن أكون شريكته وأن شيئا ما يمنعه في هذه الدنيا. . .ولأنني أحترم أسراره كما يحترم هو أسراري لما يتعلق الأمر في قعر الخصوصيات. . .فضلت الصمت على البوح. . . ركلت السيارة وسرت إلى الأمام بخطى متثاقلة وسقطت على حافة الطريق ودونما شعور بكيت. . .وتذكرت أعداد أولئك اللذين أحببتهم وتسللوا مني ورفضوا حبي بما فيهم سارة التي اتهمتني زورا وظلما وإجحافا

بسرقة مجوهرات 'سارة التي لا زلت أترجى رب الكعبة أن يظهر الحق ويزهق الباطل بشأن تلك القضية. . . لا أدري لماذا ربطت بين الموقفين. . . ربما لأنني لا أضرب وحينما تتجه العصا نحوي تأتيني من أقرب الناس إلي. . . المهم هرع هو نحوي ووقف لأنني طلبت منه ألا يتقدم نحوي. . . لأن تحركه نحوي سيدخله عمقي ويشعره بذنبه وهذا ما لم أكن أريده. . . وقفت وعدت إلى السيارة لكن هذه المرة كنت أقودها بسرعة فائقة تنبهت لها جمال البراري وهزت الشيح والزعتر. . . مرت أيام على تلك الرحلة. . . وإذا ادخل بيتي فوجدت ضيوفا. . . سألت أمي :شكون هم؟

أنهم الخطابة. . . فرحت أمي بالخاطب لما له من مؤهلات ولأنه حان الوقت أن لأن تفرح بي فقد حتى لا تموت بالحسرة على بنت لم تربيها وضيعت حياتها في سبيل دعوة الخير. . . ولأنه حان الوقت لتزويجي حتى لا أموت وأنا عزباء. . .

. . . ذهب تفكيري إلى أخر مرة التقينا فيها. . . يوم قدم لي فستان عرس. . . تذكرته تخيلت زواجي برجل أخر وأنا بفستانه بذاكرة حاضرة بإرادتي وغصبا عني. . . المهم دخلت إلى المطبخ لساعد أمي وإذا بوالدي يدخل علينا هذا راجل واه بمالوا وجاهوا. . . بصح راني تفاهمت معاه باش ما تخدميش كان بيدي قدر. لوكان ما جديتش نخاف من مولايا. . . ثم تراجعت. . . أستغفر الله

سأطلب منه زيادة على مهرك مبلغا محترما لكي أفتح به متجرا بعد زواجك يدر علي بالمال الكثير حتى أنهي عصر الإتكال عليك ..طردته من المطبخ وذهب الخاطب. . . خجلت أنه والدي. . . لقد ربح في لعبة اليانصيب التي طالما تمنى لعبها ولم يلعبها لأن المفتي حرمها وها هي ذي صفقة شرعية لن يؤاخذه عليها أحد. . . لقد تسلل

إلى معدتي وأحشائي العفن. . . وانهار ما تبقى من احترام لذلك الوالد

ترى أكان شعوري ذلك حرام؟. . . أم إحساسا بالمرارة التي يكنها لي الجميع. . ، بالرغم مما فعلته من تضحيات في سبيل الكل، إلا أنني لم أستطع أن أحصد غلة حبي للناس. . .

حتى في مقر عملي أغلب الموظفين لا يحبونني وكأنني منبوذة بالرغم من أنني أؤذي أحد فيهم. . .

عمي الطيب الحارس كان يقول لي أن الناس هنا لا يحبونني لأنهم يحسدونني على بشاتي المستمرة. . .

من الواضح أنني في تلك الفترة قد فقدت نصيبا مهما من ثقتي بنفسي. . . صعب جدا أن يستيقظ المرء منا ويكتشف أنه كان يعيش في عالم من الحب الكاذب والمجاملات والأحاديث الغشاشة. . . ذات يوم شعرت بألأم في أسفل بطني، حسبتها ألام عادة النساء، لكنها لم تكن في وقتها وفضلت التداوي بالنعناع وبعض الحشائش التي تعودنا عليها في البيت لكن الألم زاد وزاد بحدة في الليل. . .

في الصباح ذهبت إلى المقبرة لزيارة قبر صهيب. . . وجدت قبره قد حجب بفعل الحشيش الذي نمى عليه. . . لو تنجب نساء البشرية كونا من الأطفال لن يعوضونني عن ذلك الطفل الذي كان يشبه ناصر. . . جنون تصورته مخيلتي عند خروجي من المقبرة. . . إنه ناصر برفقة طفلنا عند الباب ينتظرانني. . . لكن سقوط أولى زخات المطر على رأسي أيقضني من سرابي. . . وبينما أنا عائدة إلى بيتي اكتشفت بحزن مليء بالدهشة أنني أسبح في بحر من الدماء توجهت إلى مستوصف البلدية لكنني لم أجد طبيب المناوبة فذهبت إلى عاصمة

بمريضة أحسست الولاية ودخلت المستشفى... لم أعامل معاملة لائقة بمريضة أحسست بالذل في دولة العز... أنها عادة أصبح كل من يرتدي مئزرا أبيضا في مستشفياتنا يضن أن الدنيا ملك يديه... لا أحد تنبه لأنيني إلى أن تفطنت لبطاقتي المهنية الصحفية، أخرجتها وإذا بالطبيب والممرضة يأتوني بالدواء... حتى الصحة اليوم أصبحت بالوجوه وبالبطاقات... المهم لم أعد تلك الليلة إلى البيت بل قضيت باقي اليوم عند ابنتي عمي رفيقة بالإقامة الجامعية... لقد تغير كل شيء في الجامعة... خلت الغرفة... واتجهت نحو النافذة وأشرعتها على مصراعيها كأن بي ضيق في صدري وكلي... أو كأنني محتاجة لن أرى الناس من فوق وهم أسفل نظري... في هذه الإقامة المسكونة بالجن، وببائعات الهوى، والمسكينات... تذكرت مراهقتي مرحلة الجامعة وولوعي بالعمل النقابي انه أذان المغرب... لقد اتجهت نحو مصلى الإقامة وإذا بعشرات الطالبات يسرعن نحوه... كانت الطريق إليه من الجناح الذي كنت فيه منهمكة في حركة دائمة... وبعد انتهاء من الصلاة قصدت بوابة الدخول وإذا بفتيات في عز البهاء يدخلن متأخرات عن المواعيد المحددة للدخول إلى الحرام... يبدوا من ماكياجهن وعطرهن والسيارات التي يهبطن منها أنهن المدللات...

أنه شيء شبيه بالخيانة العظمى بأوليائنا وعدم العرفان بالثقة التي نتمتع بها من عندهم... قررت أن أنصحهن بتجاوز هذه العلاقات مع أشباه الرجال لكنني تذكرت أنني علا علاقة أنا أيضا مع رجل... صحيح أن الأمر مختلف في محتواه لكنه يأخذ نفس الشكل... لم أعد في حاجة إلى الكلام كثيرا... وحدها تلك الغرفة التي زينت بغلاف فيه صورة عريسان كانت قادرة على استيعاب إفرازات ذاتي وخيباتي... وداعا أيتها الجامعة... وداعا أيها العالم الذي لم أبتلع فيه ولو رجلا لما كنت طالبة لأنني كنت أرى في الأمر

خيانة للرب وللعائلة. . دخلت مكتبي في اليوم الموالي وإذا بي أجد قرارا على مكتبي يفيد بإلزامية مداومتي للعمل إلى الخامسة مساءا موقع من طرف مدير لم أفهم لحد اليوم سر تعامله معي. . . أتراه كان يحترمني. . . أم يهابني أم ماذا. . . لقد ضحكت من قلبي ذلك الصباح. . كل شيء غير طبيعي في حياتي بدأ منذ ولادتي وصولا إلى كل الخربشات الأخرى التي رسمت معالم عيشي. . .واش بيكم يا ناس والله راكم تقودوا بزاف. . .

- هكذا انتهى بي الحال. . . أن موقع القرار تناسى أنني أسكن على بعد عشرات الكيلومترات وأنني لا أصل إلى محطة نقل المسافرين إلا بعد أن يأخذ الخوف نصيبا من قوتي بسبب انتشار الظلام والصيع في كل مكان. . .كأنه يريدني أن أدخل في الظلام وأخرج فيه حتى لا يراني غير هو. . .

أن كثرة التقواد توفر للمرء في هذه المدينة كل شروط شرب الخمرة وشم الغراء. . . لم أكن أدري وقتها أني كنت أكتب أول كلمة لعالم الانتهاء الذي سأدخل فيه يوما ما. . . كانت بي رغبة لتدخين سيجارة. . . في الواقع لم تكن السيجارة على بالي من قبل لكنها كانت في ذلك اليوم حاجة لا بد منها. . .بعد خروجي من العمل توجهت إلى مكتبي بدار الصحافة ودخلت مكتب زميل لي يهوى الكأس والسيجارة' وسرقت من علبة تبغه أكثر من سيجارة. . .وضحكت لدور السارقة. . . تذكرت طفولتي الموجعة. . .

. . .كان كل شيء مجهز في مكتبي بما في ذلك موسيقى محمد خيرت. . . وها أنا أستنشق ما حرم علماء الدين قياسا واجتهادا. . .وكبداية أحمرت أحرقني حلقي واحمرت عيناي وبدأت أسأل. . .

إنني الآن بلا أفكار. . لا أعرف إن كنت بعد خروجي من مكتبي أبحث في طرقات تيارت عن مسجد أو حانة. . . فكم من مرة يضيع رشد بن أدم. . . عندما كلمني ناصر في المساء سردت عليه ما فعلت وما فكرت. . . لماذا تصمت ألم تسمع أو ترى في حياتك عن امرأة تدخن إنك تسكن في عاصمة أغلب مدخنيها هم من جنس اللطيف؟

ولكنه لم يجبني وأقفل السماعة، ولم يتصل بي لمدة 10 أيام بالتمام. . . على كل لن يحدث هذا مرة أخرى يا حبيبتي. . . قالها لي ومسح براحته على رأسي في زيارة خاطفة قادته إلي ذات أربعاء. . . لقد جاء بصحبة رجل وسيم وقدمه لي. . . إنه عريس أختي الكبرى هذا ما أفهمني. . . مدهش جدا يأتيني أنا بفستان زفاف ويأتي لأختي التي كانت تربطه بها صداقة ممتازة بزوج قبلته على الفور. . . وانتصرت على العنوسة. . . لقد دفع الرجل مهرا معتبرا طالب أبي بنصفه. . . يا خوتي هذا حقي. . . واش من حق؟

حق تربيتي وتعبي عليها. . .

أي تعب وأي تربية. . . لم يكن هناك من مخرج لهذا المأزق سوى أخذ المهر وترصيده بالبنك. . . أنها أكثر اللحظات وجعا لأختي وأمي. . . حسوا شويا بهذا الطماع. . . أو واش كان ديار فيا. . . أنه والدا سيئ الصيت في العائلة. . . فالجميع يتحدث عن هذه المشكلة. . . ولم تفلح تدخلات الأعمام ولا الأخوال في صرف نظره عن مهر ابنته وارتفع ضغطه واظطرينا إلى سحب مبلغ من المهر من البنك ومنحه إياه شراء لصمته. . .

لوكان راني بصحتي لوكان تزوجت وجبت أولاد خير منكم. . .

كان هذا الموال هو جزائنا. . . أنه ما يحدث الآن في أكثر من

عائلة... وفي المدن الصغيرة بالذات.. .حيث لا يمكن للمرأة أن تتصرف في مهرها وحياتها كما تهوى باسم قدسية الأبوة والأمومة...

فكيفي أن ترى أو تسمع عن قصة كهذه لتفهم أن التحرر اليوم من حق بنات العاصمة وأشباهها أما هنا فاشتري حريتك بالصمت والذل باسم الأعراف وما فيها.. .كان لابد أن أتكلم معه بطريقة أخرى في ذلك اليوم كنت لا أريد أن أعبر له عن كل ما أريد كتابيا عن طريق لغة الانترنيت فطلبت منه أن يفتح بريد إلكتروني لنفتح تواصلا أخر.. .أنمت مجنونة.. .بالطبع لا أملك وقتا فارغا غير الذي أتصل فيه بك لكن وبالرغم من ذلك إلا أنني سأنفذ أمرك لأنه يسعدني أن أقرأ لك.. .أدري أنك كنت مرات تكره إصرار الأنثى في، لكنك كنت تحب أشيائي، وفواصلي الصبيانية والناضجة جدا.. .صفحات... وتعابير... ومخاوف... ومجموعة خربشات بعثتها له، لقد تعريت تماما وكشفت عن كل أسراري العائلية التي أبقيتها سرا عنه حتى لا يظلمني أكثر... لقد أكتشف أن بطلة روايتي - مذكرات امرأة تافهة - ما كانت إلا أنا لأنها تحكي معاناة فتاة صانع عذابها هو والدها... أنا يا حبيبتي لم أقرأ روايتك بتمعن لذلك لم أنتبه على كل ما فيها.. .كان هذا المقطع أول رسالة إلكترونية بيننا ماذا كان يقصد أعساه تنبه إلى نوع آخر من العذاب الذي كانت بطلة مذكرات امرأة تافهة تعيشه ؟؟ ولكنني اعرف مسبقا انه مدرك جدا لحجم تعيبه هو الآخر لي وبذلك فهم أنه وأبي وحدهما المسئولان عن كل انكساراتي... لقد حاولت بحبه أن أخيط ثقب جرح والدي أن أتجاوز واقع صلتي بعائلتي معه ولو زورا لكنني وقعت في ثقب اخر من نوع آخر... لأسباب كثيرة أخذت إجازة مرضية.فانا الآن عبده لكاس دوائي ونفسي وجسدي ونحبي ومرضي.. .بعد أن تبين من خلال الفحوص التي أجريتها عند أطباء النساء أنني مصابة

بسرطان الرحم.. ألن أرزق بطفل وأسميه على اسم حبيبي؟...ألم يمص ثغر الأطفال حلماتي الممتلئة بالحليب؟...ألن أمشي وأتبختر وأرى بطني وأشد ظهري بيدي اليسرى...ألن أتمتع ببركة الدعوى المستجابة عند المخاض...إن طعم الحزن مر...في حلقي لا يغير...إن حكم الدهر قاس...كيف تريدون أن أكابر... عفوك ربي يا قادر... عفوك والله أكبر... حالتي تطلبت نقلي إلى مستشفى بالعاصمة لم أشأ أن أخبره لأنه كان في رحلة عمل خارج الجزائر...دامت أمثر من شهرين...خرجت من المستشفى... لم أكن أتوقع أن يحدث لي ذلك...كانت أمالي شبيهة بعالم كيميائي اختلطت فيه المواد ويعجز حتى العلماء على التحكم فيه...كيف يمكن أن أخبره؟وهل هناك شخص يجيب على اتصاله نيابة عني...

أنها خولة نعم وحدها أختي الصغير بعقلها الناضج جدا القادرة على إخباره بطريقتها... لقد لا حظ لدى كلامه معي ارتباكي وضعف صوتي، لذلك راح يلح علي بالسؤال عن سبب كآبة نبراتي... لا أدري لماذا يملك ذلك الرجل كل شيء، بما في ذلك الحاسة السادسة التي تجعله يتعرف على كل شيء في، ولو بنظرة خاطفة، أو همسة عبر سماعة الهاتف...ماذا أفعل وسط هذا الركام من الأسئلة... لا أدري أقفلت جهاز هاتفي النقال، واستلقيت على فراشي، وأخذت دواء منوما لأتمكن من النوم بدون أرق ولا تفكير...لم يتصل بي بعدها... انتظرته... اشتقت إليه... كنت أتزين كل يوم لأمنية في قلبي...فلربما يأتي ناصر وأعلن له أحوال نشراتي الصحية، والنفسية وأريه خريطة صور الأشعة التي أظهرت مرضي...لكنه لم يأتي ولم يتصل... فقررت أن أحتفظ بسري لوحدي، لأعيش متعة الاحتفاظ به لوحدي دون تدخل أحد...

مر وقت طويل على تلك الأيام... وحاولت أن أقابل نظرتي

التشاؤمية للحياة بسبب مرضي بشيء من التحدي.. لأعيش فتقدت للجامعة مرة أخرى وسجلت بقسم قانون العلاقات بعد اجتيازي لامتحان الكفاءة...

لقد تكورت الأحداث هنا أيضا.. ودخلت صراع العيش مع طالبات يصغرنني بآلاف الأفكار.. وذات يوم اكتشفت نظرات أستاذ مادة القانون التجاري نحوي.. كانت أكثر من عادية... لكن غير عادي هو ما حدث بعد تكلمي عن نظراته.. لقد هزمني لساني عندما باح بالأمر أمام حبيبته التي لم أكن أعرف بحقيقة العلاقة التي تجمعه بها لأنني تصورت كل النساء صديقاته غير خيرة فهو الرجل المكابر الذي تغني له كل الطالبات فكيف له أن يقترن بزانية الفجر كما كانت تلقب لأنها كانت لا تدخل الحرم الجامعي إلا في أوقات مبكرة كل صباح بعدما ترشي الحراس بفضلات سهراتها...

.. لقد أعطاني ذلك الأستاذ بعدما حرضته علي صفر من عشرين بالرغم من أنني كنت أنجب طالبات المعهد.. بكيت ذلك المساء حال بعض الأساتذة ممن فقدوا القيم الرائعة لأمثال بن باديس معلم من أرادت فرنسا أن تبقيهم جهلة...

... كنت ادري في أعماقي إن التحرش الجنسي كان دائمات السبب وراء خسارة العديد من الطالبات لامتحاناتهم الاستدراكية لكن وجدت بعد عودتي إليها بسنوات قليلة جدا موضة جديدة هي تحكم بعض الطالبات غير العاديات في مصير زميلاتهن لأسباب متعددة واحدة منها الغيرة أو الخوف من المنافسة ذات الأوجه المتعددة...

إن بعض الطالبات يحلمون أحلاما فوق طاقاتهم ومن خلالها يبتسمون ويضحكون على كل تفاصيل العاديات...

في البدء تقبلت الأمر... لكنني قررت بعد ذلك أن أطالب بحقي عن طريق إعادة التصحيح لأني كنت واثقة من قدرة إجاباتي وهو ما حدث بالفعل...

كنت أشعر بلذة ومرارة معا...

فانا كنت قبل هذا بغنى عن مشاكل من هذا النوع...

والله غي مرات يثور على الواحد التخلاط...

المهم حدد لي موعد لإعادة تصحيح ورقتي، وهددته بفضحه عبر وسائل الإعلام، لأنني كنت أملك أكثر من شاهدة على تهديد صديقته لي في غرفتي، وكيف استطاعت زيادة على صفرها سرقة هاتفي النقال بالتعاون مع ابنة عمتها التي كانت تقاسمني الغرفة...

متى ولدت أفكار الشر والإساءة والتملك عند هؤلاء المراهقات ؟أكان يمكن أن أفعل ذات الشيء إن حدثت مسألة مثل هذه مع ناصر؟... محال...

أعاد تصحيح ورقتي وقرأت في عيناه تحدي أخر... كانت تقول: نحن على موعد اللقاء...

الحقيقة أنني لم أكن مستعدة لا نفسيا، ولا جسديا، ولا فكريا للقاء عيناه مرة أخرى ولو في الدرس...

سأجد ظروفا أحسن من هذه لألتقي بك، لأحدثك وأنا واثق أنني سأجرك من شفاهك نحوي... كان هذا جزءا من رسالة خبأها بكتاب أعطاه لي في المدرج حتى لا تكون لي فرصة لرفضه...

وصلت إلى البيت متعبة... ومنذ ذلك اليوم أصبحت صحتي أمامي وفوقي، وتحتي، وورائي، وعلى يميني، وعلى يساري...

. . .كنت أتقبل في تلك الفترة كل شيء من طرف المحيطين بي. . .شعرت أنه يجب أن أعيش آخر أيام سعادتي، أو حياتي كلها في إسعاد عائلتي وناصر. . . دون أن ارفض لأي طرف أي طلب. . .غير أن جسمي كان يتصلب ويأخذ يرتجف كلما قابلت عيونهم عيوني. . .

. . .وعلى الدرب المعتم. . . ذهبت ذات يوم إلى الجزائر العاصمة، وإذا بسيارة ناصر تمر جنبا لجنب لسيارة الأجرة التي كنت فيها. . .

. . .لقد امتقعت من الغضب والغيرة واليأس، لما رأيت امرأة بجانبه وهي تضحك. . . لا بد أنه تذكرني في تلك اللحظة الدقيقة. . .حتى ولو كان مع أخرى ولو لم يكن بينهما شيء من علاقة الرجال والنساء الخفيفة لأنه كان يقول لي' أنه لما يكون مع النساء ولو برفقة أمه ألا وتحظره صورتي. . .

وصدفة ألتقيت بسائق الشركة التي كنت أعمل بها في مهمة غير رسمية من المهام القذرة التي يكلفها بها سيادة المدير فهناك من المسؤولين من اشتروا كرامة سائقوهم وأعوان حراسة المؤسسات التي يرئسونها فكلفوهم بمهمة رمي نفايات بيوتهم وبشراء بصل وثوم المائدة وقضاء حاجاتهم المختلفة. . .دونما حساب ودونما أية حشمة المهم أخذت سيارة أجرة وما أغلى تسغيرتهم بالجزائر العاصمة. . .

لقد ركل سيارته عند مقهى محطة سطاولاي الجميل فتبعته. . . دخلت المقهى. . .تناولت السكر، وطلبت كأس شاي، وجلست وجها لوجه معه. . .أحسست أنه يشتعل بالحياء لما وقعت عيناه على طاولتي. . . أما أنا فاشتعلت ذلا. . . واحتفظت بدمعي إلى حين أخر. . .

ومع عودة الهدوء التدريجي لكياني خرجت من ذلك المكان. . . لم يتبعني. . . واقلباه. . . بكيت. . . فشدني ديدين من شعري، ونزع من تحت خمار رأسي شعرة جميلة صفراء واحتفظ بها. . .

مسحت دمعي العزيز واستمريت. . . لقد حرصت أن أعرفه في مكان لا أعرفه، بالرغم من أن الناس يفعلون العكس، لأكتشف ولو سرا من أسراره الدفينة. . .كان هو اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر. . . وكنت متوجهة إلى العاصمة في رحلة عمل وكان ذلك اليوم نفسه عيد ميلادي وذكرى تمزق لحمة قلبي في ذلك المقهى. . .خرجت من المقهى ودفعت حساب طاولتي وطاولته. . .مشيت باتجاه سيدي فرج. . . كان الطريق المؤدي إليه خالي من حركة الراجلين. . .وحدها السيارات كانت تسير على ذلك الطريق المزدوج. . .مِر على رصيفي وشاهدني ومرِ علي مرور الكرام. . . حينها فكرا أن هذا هو السبب الذي سيسجل انفصالنا ليس لأنه برفقة امرأة وإنما لأنه تنصل مني وتنكر لي

كانت الساعة منتصف النهار حين دخلت الفندق. . . تبلبلت في سريري بعدما أخذت حماما وبدلت ثيابي. . . ثم رحت أجوب الغرفة طولا وعرضا. . .أرى أحيانا نفسي في المرأة ومرات أخرى أنظر إلى هاتفي. . .وفجأة رن هاتف الغرفة

إن سيد في انتظارك. . .أخبروه أن ينتظرني لنصف ساعة لأنني أستحم. . .لم أكن أستحم بل كنت أتجمل. . .لقد علم أنني بفندق سيدي فرج بعدما أتصل بأختي الكبرى ودلته على مكاني. . . لقد كانت لي جاذبية أخاذة. . . بعنقي الطويل الناعم. . .وملابسي الجميلة لما نزلت من غرفتي باتجاه مقهى الفندق. . . لم يكن جمالي يتركه لا هو ولا من كان في ذلك المكان غير مبالي بي. . .

تعانقاننا وحبنا كانتا باديتان على شاشة عيناي... نظر إلي ثم قطب وجهه وراح يفتح ربطة عنقه...سأفتحها لك...دعني أفعل هذا...لم أكن أريد أن أمر عليك...وضعت يدي على فهمه...لا حدث... أنا امرأة ناضجة السن ولا زالت استدارة خصري رشيقة ولا زالت جلدة جسدي ملساء جميلة...

أراد أن يتكلم فمنعته مرة أخرى...

أنه شيء يسير علي أن أغوي أي رجل...

أن ما تقولينه صح...

ضاق صدري فجأة...

هل تشعرين بإضطراب...

لست على يقين أنه نتيجة ما رأيته في بداية اليوم لكنني متعبة من السفر..خلص أصابع يده اليمنى من أصابع اليسرى... أنا...

لم انتظر أن يكمل حديثه...نهضت من الكرسي وحدقت فيه...

وحدها أنا من ستكون خالدة في حياتك...أرجوك انتظري...وقد امتلاءت مآقيه... لقد أحببتك دائما...وبذلت من أجلك ومن أجل عائلتي كل ما أستطيع..لكن لا أحد اعترف لي بجهدي...

...بت تلك الليلة أتلوى من الوجع وندبت خدودي وصدري...

لطالما تمنيت أن أموت شابة... حتى لا أجرح أكثر مما جرحت وحتى لا أستمر في البحث عن ليل الخطيئة...لأموت بأقل ذنوب أمكن...كانت السماء حين أستيقضت تمطر... خرجت إلى

الشرفة أردتها أن تنزلق إلى داخلي وتدخل قلبي لتغسله...

وها هو ذا الألم يعيش مع امرأة من نوعي...لقد غرت من تلك المرأة، لأن الغيرة قدر كل نساء الأرض، لكنني لم أخاصمه بل تعاملت معه بعدها بشكل عادي معه...ربما لأنني كنت أعلم مسبقا انه ليس لي...وأنه ليس لي الحق في معاتبته على ما لم يعجبني فيه...وربما أحسنت صمتا بأن لا أتكلم، ولا أعاتب لأنني كنت أحس بدنوا أجلي بسبب ذلك المرض اللعين...ذهبت أيام وجاءت أخرى... بدأ جسمي يميل الى الهزال... لقد فقدت حيويتي بسبب عاطفتي اتجاه من أحبهم وأهملوني في عز مرضي...ولأنهم كسروها من الأسفل...دموعي تلك الجمعة، لم تكن دموع حزن بل كانت دموع عزاء، لأنني فقدت جدتي مربيتي أمي التي لم تنجبني...

أخبروني في مقر عملي... طالت المسافة والحرقة عبر طريق غير معبد وطويل...دخلت الغرفة قبلتها أكلت لحمها كانت يابسة جدا لم تكن طرية كعادتها...ترجيتهم عند تغسيلها بأن يتركونني داخل الغرفة أتذكر كيف كنت أستحم معها...ولما كفنوها ويحي أنا...أمي: أمي من بعدك عني عانيت...ومن شدة شوقي ليك بكيت...خاصميني كيف شئت... أنيبيني لكن عودي...قولي لي أهواك دوما... إنك ابني وحيدي

أنا من عشت سعيدة...هذا العيد ليس عيدي...

كم حلمت أن تعودي...وأنت المجيء لا تريدي...

أهكذا شئت دنيايا...

أن تفقديني نور عينايا...

...والوجل يكبل قلبي...

والدمع يجرح جفنتايا...

كم تمنيت يا أمي في هذا العيد أن أراك...

كم تمنيا يا أمي...

والقلب تقطعه ذكراك...

واكتفيت بعد حين...

...بتقبيل ثرى مثواك...

بعدما كنت يا أمي...

...جالسا على يمناك...

وقتها علمت أمي...

أن عند الله ألقاك...

في تلك الفترة بقي ناصر إلى جانبي واقفا وجالسا...كان رجل كل الحنان ولم يتخلى عني حتى لا أتعذب بالأشواق والذكرى...جاءني ذات يوم بقارورة مملوءة بماء زمزم...

أشربي وسألي الله أن يرزقك الصبر والسلوان

هل تعتقد أن الرب سيستجيب لدعوتي المجنونة؟

...أعرف أنك مؤمنة...أدعي الله أن يكون معك في هذه المحنة

أستغفر الله، اللهم أسألك الصبر والسلوان

...ذهبت ذات صبيحة باردة إلى المقبرة قبل موعدي لقائي به في تيارت فوجدته أمام قبر أمي

...كانت صورة غير قابلة للتكرار... شعور يحمل علامة خاصة غير قابلة لا للتقليد ولا للاختلاس...

. . .وفـي لـحـظـة جنـون تـصـورت أنـه صـورة طـبـق الأصـل لأمي. . .ورحت أطالبه بضمي وبإجلاسي على ركبتيه وباستحمامه معي. . .وبتوسد ذراعه لأسحب كل دفئه نحوي تماما كما كانت تفعل لي أما. . .وأصبحت منذ ذلك اليوم أناديه بماما. . . جنون لكنه كان تعزيتي الوحيدة في تلك المرحلة

. . .وعلى أظافر الخوف عدت على الحياة مجددا بعد حول بقيت فيه دون أمتعة. . .وحدها ألام بطني وجرح فراق - أما -كانت ملابسي. . .كنت أريد أن أبقى في مقدمة الأحداث الأدبية والفنية لأنسى كل ما يروق لي. . .حجزت لي مكان في جلسات الاثنين لأنني أحب الأدب. . .

المهم اتصالات ناصر أصبحت شحيحة وأصبح ينسحب مني تدريجيا. . .كشيء غير عادي. . . برق وشمس. . . موجة هادئة وبحر هائج. . .أنا زوجة لناصر تنبهت لأشياء عديدة. . .أنا لم أكن أعرف اسمه الحقيقي ولا ماذا يعمل ولا أين يسكن ولا شيء عن ماضيه ولا عن حاضره. . .وحده حلم مستقبله الذي كنت أعرفه. . .

أنني أحلم بترقية في عملي وفي بلد أرويي من دول جنوب أمريكا. . . .حاولت ذات مرة أن أقلب جريدته اليومية بحثا عن أخبار وأجوبة مقنعة لما كان يدور حوله. . .

أنت تشبهين طفلا يحبوا يفتش كل أبواب الخزانات ويلعب بكل الأحذية، أنت مجموعة من اللعب والألوان وحتى الحفاظات. . . هذه هي أجوبته لـمـا إلتقيته صدفة في تجمع شغبي للحزب العتيد بوهران. . . ومرة أخرى اشتريت بذهولي وبصمتي تذكرة هروب منه إلى عالم أخر. . .

قاطعني ديدين لما مالت الشمس إلى الغروب وأدخلني غرفتي أريد أن أسألك سؤال واحد وعليك أن تجاوبني بدقة. . .

تفضل أرجو آلا يكون مخربشا. . .

لماذا استمريت في جبه وأنت ترفضين أغلب ما يصدر منه؟؟. . .

لأنني كنت أجبه. . .

أعلم أريد سببا غير هذا. . .

كنت خائفة أن أفقده لذلك استمريت في حبه. . .

حسنا عليك أن تنامي لساعة ريثما يفتتح المطعم لأدعوك إلى سهرة بنادي المستشفى. . .

هل تعتقد أن في شيء يصلح للسهر. . .

خرج ثم ألتفت. . . أريدك رائعة كاليوم الذي التقيت معه بفندق سيدي فرج. . .رديت عليه وأنا أضحك. . .شريطة ألا تتنكر لي. . .

في تلك السهرة تألقت جدا بجمالي العربي الفتان لقد تعرفت على العديد من مرضى السرطان لذلك شعرت أنني لست وحدي من أكابد سخط آهات الألم. . .لم يسمح لي ديدين بالتكلم عن كل ما سبق بل دعاني لأن أحلم. . .

نمت بعمق وبراحة تلك الليلة وقبل أن أتمدد على سريري وقفت عند النافذة وطليت على مبنى السفارة. . .

واصلت حكايتي طريقها إلى أوطان ديدين وجوارحه في اليوم الموالي. . .

اتبعت بعد إجاباته المقززة نفس سياسته وذات أسلوبه. . . أنا أيضا لم أعد أحاكيه عن يومياتي ولا عن أحلامي ولا عن متاهاتي

ليحس بنفس الضياع الذي كنت أحسه. . .فهناك أناس تبيعها نفسك ونورها ولكنهم يبيعون لك الظلام ويفضلون القراءة بدل الكتابة. . .

. . .شعرت بعد لقائه ذات يوم بجمود شفاهي وعظامي وخدودي نحوه. . .اذكر سؤاله لي بالقرب من مغارة بن خلدون لأنه مكان لا يخطر ببال مسئولوه إذا حدث وان اكتشفوا أمر غيابه عن العمل ولأنه غير مؤهل لزيارته إلا في المناسبات. . .هكذا هو تاريخ الوطن يا صاحبي فيه المغيب والمجهول والمحرف والمغتصب الأماكن التي تحولت إلى فنادق على الهواء بنجوم لا تحصى أعداده. . .ابق حيث أنت أريد أن أرسمك لأنك رفضت أن تعطيني صورة فوتوغرافية لك أعلم انه من حقك أن تملكينني لكن لا داعي لهذا ولا تحاولي أن تبحثي عن الحلقات المفقودة من عمري. . .

حسنا لن أسكنك بعد اليوم. . . وسأعامل أزقة جسدك، وجدران حبك الغريب، دون حب ودون انتباه. . .جائتني ذات صبيحة رئيسة ديدين في العمل، وأخبرتني بموعد خروجي من المستشفى، وعودتي إلى الوطن. . . سأعود. . . ماذا سأقول لأمي ولأبي والأكثر لنفسي. . . دخل ديدين. . . حان الموعد. . .

أي موعد؟

أريد أن تكملي لي قصتك. . . ليس لأنك ستذهبين بل لحاجة ستمسح طين ذكرياتك الحزينة. . .

أريد أن أخرج. . .

إلى أين. . .

خذني إلى مبنى تلك السفارة. . .

خرجت مع ديدين وبقيت أرتقب باب السفارة. . .

إنه ناصر في جوف الشقراء يتمايل...

أخصرها نحيل أنساه ودادي...

أشعرها الأشقر كثير السبائل...

أشقراء الجفون أنسته ودادي...

أنسته الهموم أنسته المخاذل...

عاتبت كوني عاتبت ميلادي... وانتظرت منيتي أقرب المراحل...

اتكأت على أحد الجدران بعدما غادرت سيارة معالي السفير...

سألني ديدين... انه هو صح ؟؟؟

...ومرت أيام من برد، وصقيع، وصوف، ووبر، وغيرت الدساتير في البلد، وأنهيت مهام مسئولين سامين في القصر، وحول آخرون إلى مهام مجهولة، وجاء دور سفراء البلد... كنت أتصفح الجرائد بكل لهفة فجر، كل يوم عبر الانترنيت، لأطلع على أي جديد يمكنه أن يقطفني من أرض اختارها قلبي الغريب عني... وبالفعل استيقظت على صدى التغير... بكيت بدموع، كسرت أشرعة الهواء في أنفسي، وسكنت روحي وأنيني، في اتصاله بي ذلك اليوم لم يقل شيء أخر، غير كلمة أحبك، وذكرني بموعد اللقاء الأخير، خلته لقاء سيجمعني به إلى الأبد، تصورت أن أكون له، ويكون لي بصفة شرعية... فكان اللقاء بفيلا على البحر قبابها تشرأب، والزناد فيها متلاصقة، والأجساد تلعب لعبة المد والجزر، إلى أن طفا سائل لم يكن ساخن كالمرات السابقة وإنما دم أفقدني أنا... كستني الحيرة وأحرقني لظى الخجل، وجمدتني حرارة المواقف، لقد كاد يصاب بالجنون وهرول مسرعا باتجاه حقيبة ملابسه وطلب مني البقاء بدون

حركة إلى حين يكلمني. . .

بقيت صامتة، وصدى الضمير، وذكريات العذرية تهزني بين حين وآخر انتظرته والشوق يقطع أعصابي، لكنه لم يتصل بي بل بعث لي صديقه ليأخذ مفاتيح الفيلا ويوصلني إلى بتي هناك رأيت السيد جنون وطارت خوالدي وأجهشت بالبكاء على صدر صديقه. . . شهرين بعدها. . .رحل سافر، وتوارى من حياتي، وترك في رحمي الرخيص طفلا معلقا. . .

ترجيته كما تترجى الشمس كل يوم الله وتقول فيه الأرض : يارب أئذن لي أن أردم أبن أدم إنه أكل نعمتك ومنع شكرك، تذللت كالجبال حين تطلب من الرب أن تسقط على البشر وكالبحار حين تطلب من الرب أـن تغرقنا وكالسماء حين تناجي الله بالسقوط كسفا على ابن أدم لأنه أكل نعمته ومنع شكره. . . قلبي لم يطاوع عقلي وطلب منه أن يتركه مع حب ذلك الرجل فأن بقى فتلك منيته، وإن رحل فذلك أجله

قضي مواعيد فرحي وحزني. . . من سيحتفل معي بعيد ميلادي ويقدم لي بدل الزهرة جنة ؟؟؟ من سيمسح دمع يتيمة الحب في ربيع الزهور. . .

اين سأنام أين الجفون ؟ وأين الرموش؟

أين الحلم وكل الغرام ؟

أين الجوى والوعي؟. . .

من على يده سأكل العنب في عز الشتاء القادم؟. . .

بحثت عنه في كل مكان في حفلات الهاشمي القروابي. . .ي جلسات الكبار عند مقهى سطاولي. . .ي أماكن الذكرى ولم أجده من

يصدق بأني بلا عذرية ؟. . .

من يتصور أنني حامل من سعادة السفير الذي سافر إلى سويسرا. . . ؟؟؟

من أين لي أن اذهب إلى هاته السويسرا ؟وكيف؟ ثم من يضمن لي بأنه لن يتخلى عني إذا ذهبت؟

بقيت أجر علامات الاستفهام، وبطني ينتفخ شهرا وراء الأخر بعت كل ما أملك وسرقت ما تبقى لأمي من مجوهرات، كانت قد وعدت بأن تعطيها لأختي فتيحة متى تزوجت وودعت والدي المقهوران بالعلل والمخدوعين ببراءة قطتهم. . . قلت باني سأسافر إلى سويسرا لمهمة عمل. . . حلقت بي الطائرة وحطت بي بمطار لا اعرف مخرجه من مدخله. . . سألت عن مقر السفارة وأخذني تاكسي أجرة إلى عين المكان ودخلت، أظهرت جواز سفري، استقبلتني كاتبته الخاصة بفضاضة وكأنه ملك لها مرت ساعتين على وقوفي أمام بابه، نصحتني الشقراء بلهجة تهكمية بالعودة إليه في اليوم الموالي، في البداية رفضت لكنني سرعان ما قبلت بالأمر وخرجت من مكتبه وبقيت عند باب إحدى البنايات المحاذية لمقر السفارة ليخرج الحب من عظامها، ويفتت حطام رحمي ساعة رآني وتنكر لي وأخذها وذهب. . .

لقد كنت احمل داخل أحشائي رحمي المصاب بسرطان طفلين وفقدت بذلك قلب فتاة عمر الزهور وقلب الأم الرءوم. . . أراد ديدين أن يرجعني إلى المستشفى لكنني فضلت الذهاب إلى المطار فحجز لي في اليوم الموالي.

بقيت تلك الليلة عند نافذة غرفتي إلى أن دخل عليا ديدين. . .

جمعت دبتي... وودعت المرضى... وودعت أيضا مبنى السفارة...وصلت إلى المطار... وودعت كذلك ديدين الذي لم يتفوه بشيء... وإذا بي أرى ناصر في قاعة وداع المسافرين ينظر إلي وينسحب تدريجيا إلى الوراء...

أدميت قلبي بالجراح ظالمي...

أرقت عيني بالدموع لم تنمي...

سرقت روحي من ظلوعي خلسة...

أجهظت حلمي طفلا منك في الرحم...

أن كتكت السر عيني تفضحه...

وأن طلبت الدمع ني يحتشم...

أوكلت ربي في عقابك أنه...

العزيز الجبار المنتقم...

صعدت إلى الطائرة وجلست في مقعد لوحدي وبنا إلى الجزائر موطن ذكرياتي... وضعت رأسي على مؤخرة المقعد والتفت إلى من جلس بجانبي فجأة... إنه ديدين...

زهــــور ونيســــي

* من مواليد مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري، ديسمبر 1937.
* نالت إجازات في الأدب والفلسفة وتخصصت في علم الاجتماع بجامعة الجزائر.
* مجاهدة في ثورة التحرير، تحمل وسام المقاوم.
* من مؤسسي اتحاد الكتاب الجزائريين في عـام 1964.
* ساهمت في التأسيس للإعلام الوطني والثقافي والتنظيمات الجماهيرية والاتحـادات المهنية والسياسية.
* أدارت وترأست أول مجلة نسائية تصدر في الجزائر من سنة 1970 إلى 1982.
* سجل اسمها ككاتبة مغاربية أولى في القاموس الأدبي النرويجي والفرنسي والموسوعة الأدبية بجامعة نيويورك.
* انتخبت في البرلمان بغرفتيه، المجلس الوطني الشعبي، ومجلس الأمة.
* أول امرأة تعين عضوا بالحكومة الجزائرية بعدة حقائب.
* عضو اتحاد الكتاب وعضو المجلس العلمي لمركز الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وعضو بلجنة موسوعة كتابة تاريخ الثورة.
* صدرت لها مؤلفات كثيرة في الرواية والقصة والمقالة.
* حولت بعض أعمالها إلى إبداع مرئي ومسموع.
* صدرت لها مؤخرا مسرحية بعنوان "دعاء الحمام" 2004.
* لها رواية جـديدة تحت الطبع بعنـوان: "جسر للبوح وآخر للحنين".
* بصدد انجاز تجربتها في الأدب والسياسة في ثلاثة أجزاء.
* و بصدد انجاز نصوص درامية لبعض الأفلام الوطنية.

زخـات المطـر

كل عام ونحن بخير. . .و كأننا في كل مرة نقول ذلك نكون بخير. . .هذا كل ما يمكـن أن نجود به، نجتهد لنردده لكل من حولنا في أول يوم من السنة الجديدة. . .نتصورها جديدة، وهي ككل السنوات الأخرى، تأكل، وفي كل مرة، جزءا هاما من أعمارنا، والأعمار قصيرة، قصيرة لا تواكب ما في صدورنا من أحلام قصيرة بشكل فظيع. . . ورغم ذلـك نضيعها في نضال مع النفس، مع قضايا نعتقد، ولمدة طويلة، إنها الأهم. . .

ـ ما اقصر العمر حتى نضيعه في النضال. . .

الشعراء يدركون قبل غيرهم أسرار الحياة، وهي التي توحي إليهم بأشعار حكيمة. . .

النفس مغارة مظلمة رطبة، وخطوط ضوء سحري يتسلل إليها عبر رئة مثقوبة، الصورة جميلة والمشهد أخاذ، والزمن جامح، والعمر مقيد بسلاسل في صلابة الوهم. . .

وبكامل الوعي، ودون أي وعي، ينزلق الزمن كماء سائل، كشلال لا يحده سد، ولا يعوق طريقة عائق، كهواء غير منظور، أو كأي شيء لا يمثل شيئا، يتلاشى هكـذا زائلا، منطلقا، ساخرا من كل أمور أخرى، تبدو أكثر جدية.

- الأحجار والأشجار، والأرض والسماء وكون ليس بكون،

يصر على أن يخلوا من حدث الكون الذي نريد، السكون سيد جميع الأكوان في قرية لا يزال الناس فيها، يعيشون فرحة دخول الكهرباء إلى بيوتهم.

العقل يتحرك دون تفكير، والقلب ينبض دون انفعال، والزمن يتحدى كل ذلك منزلقا، كما تنزلق الكلمات الدالة وغير الدالة، الإيقاع لا يتغير.

وفجأة اسمع قطرات من المطر، ثم أمطار تتهاطل، أشاهدها من زجاج النافدة، هاهي تحدث صوتا، تصنع الحدث، الصوت حدث، وسماعه حدث أخر، ورؤية الأرض الجافـــة أبدا تشرب وترتوي، حدث وأي حدث، الأرض الجدباء أبدا الصبور على كل مكروه تشرب أخيرا.

- انظر هاهو الغيث أخيرا يلثم الأخاديد المشققة، والندوب المتربة، انظر وتمعن، وتعجب، لماذا لا تنبهر مثلي؟ انظر وقل شيئا، لماذا تنظر إلي هذه النظرة الميتة البليدة؟ قل أي شيء، ما رأيك ؟اطرح أي كلام، إنها السنة الجديدة. . .

- اشعر أنني لا املك أي رأي لأبديه، ولا أي قضية لأطرحها، وهذا اليوم يا عزيزتي لا يختلف عن البارحة. . .

اشعر أن لاشيء يستحق كل هذا الاهتمام، والأفكار جامدة على مستوى معين من الذهن، تعرقل بظلالها أي عملية لتفكير، تحولها إلى خيوط عنكبوتية، كلما حاولت إمساك خيط منها انقطع وانقطعت معه الخيوط الأخرى، الأفكار تتكسر، والذكريات تتبعثر، تندثر، تمحي هكذا بإصرار عنيد، الذكريات تبدأ ساخنة متدفقة، ثم سرعان ما يصيبها الجمود، الانكسارات تتركها شظايا.

- هذا لا يمنع أن تحرك ما تبقى لك من أفكار، تحللها، تزرعها، ترويها، علها تنمو من جديد، وتخضر معها الأفكار اليابسة، افعلي ذلك وإلا أصيب ذهنك بالتصحر، أتريد أن يموت فينا كل شيء ؟

- تتحدثين بلغة النبات والأرض، فقط لان الأمطار تسقط فجأة على هذه الأرض الخارجة عن كل الأكوان، التربة المشققة الظمأى دوما وأبدا.

- تقصد أنها كون منفصل، منفرد عن جميع الأكوان الأخرى، ربما كان ذلك. . .

- أنت ترينها كذلك، فضولك التساؤلي جعل منها لغز الألغاز.

- انظر إلى الطيور الداجنة والحرة، كيف تنتفض، تغسل أجنحتها الملوثة، الأمطار حررتها من الانكماش والتقوقع، إنها تبسط أطرافها المقيدة، تشعر بالسعادة، الأمطار أسعدتها وأسعدت الأرض، وتكاد تحي الأفكار الجامدة في راسك وراسي.

- تتصورين أشياء غير موجودة.

- كيف ذلك، إننا عندما لا نفكر، ولا نتكلم، ولا نقول شيئا، نكون قد بدأنا نموت، إنها السنة الجديدة.

- الموت يبدأ من الرأس أم من الرجلين؟

- لا ادري، انه لا يصعب عليه، أن يحتوي كل شيء في لحظة واحدة، ما الفرق بين من يدخله الموت من الرأس أو من القدمين ؟ لا فرق أبدا، الموت واحدة، الموت موت، وفي كل الحالات، وبأي الأسباب، والزمن ألا تراه قد مات هو الآخر؟

- تبالغين دائما في تصوراتك.

- أنا لا أبالغ، أنا اشعر، أحس، أعيش بداية سنة جديدة اكتشف وأتأمل، إنني بدون تأملات أتسطح، تتبسط أفكاري، تظلم أغواري، تجف منابعي.

- أنت تفكرين، إذن أنت موجودة.

- ولم لا ؟ ما الفرق بيننا وبين هذه الهوام التي تدور حولنا سوى عملية التفكير، وصنع الحدث، وإحداث التغيير، إننا لم نخلق لنأكل وننام فقط، ثم بعد مدة نموت، في هذه الحالة تصبح

الحياة موتا بطيئا، ينتظر في كل لحظة، الحياة بدون غد موت، أليس كذلك ؟ قل لـي ما رأيك في حدث اليوم؟

- عن أي حدث تتكلمين؟

- حدث المطر، والأرض، والكون المتجدد بسنة جديدة.

- أي كون هذا الذي ترينه يتجدد؟ ألا ترين أننا نكاد نجمد نحن أيضا، مع هذه الهياكل البشرية الجامدة حولنا، لا تغيير، لا مبادرة، لا ابتكار، نفس الشكل، نفس المضمون، نفس الغايات البدائية، محيط الميت، والإنسان، مثله مثل أبيه وجده وأجداده الأولين، بقدر ما يكبر معه الركود والجمود والصمت الأبله، مختلطة في ذهنه الرؤى، لا شيء لديـه يستحق العمل أو الحركة، الحاضر كالماضي والمستقبل محكوم بذهنيات غيبية، هكـذا مستريح البال، عيشة بسيطة، وطيبة في إبقائها وترسيخها، إبقاء للراحة والطمأنينة، والشمس ما فتئت تشرق صباحا وتغرب مساء، والمرأة في البيت تلد وتلد وتلد، حتى تصل إلى الولد، وإلا لن تكف عن ذلك، وخبزها دوما معجون بالدموع. . . و ها نحن بينهم، بأفكارنا، وعلومنا، وأذهاننا المتطورة،

لا نستطيع أن نصنع شيئا، بل إننا، وشيئا فشيئا، نصبح مثلهم... أليس ذلك أسهل وأريح...

- لا باس، إنني أدرك جيدا كل ذلك وأكاد أتأقلم معه، فقط ألا ترى أن حديثي هذا معك، نقاشي حول الفكر والزمن، ألا ترى كل ذلك حدثا هاما، في هذا اليوم على الأقل، أول يوم سنة جديدة؟

- لا أراه إلا حديثا ممجوجا، ارده في ذهني كل مرة حتى اتعب.

- أما أنا فأراه حدثا صنعناه بهذا الحوار، وهذه الاتهامات المتبادلة، إننا نفكر ونقطع الزمن دون أن نجعله يقطعنا، انه لا يتدخل فينا، إننا نستفيد منه، إننا نمتلكه، نعيشه، نعيش أول أيام سنة جديدة، إننا لم نترك الرؤى تتكاسل حولنا، لتجرفنا دوامة النظرة الخاطفة أخرى، إنها رؤى خاطئة تلك، سارقة للحياة، تأمل معي المرئيات جميعا، انه تستحق بعض اللحظات من التأمل، إنها لم تخلق عبثا، إنها تكاد تشكل الحقيقة الكبرى، أليس التأمل عبادة من نوع خاص... لماذا لا نكثر من التساؤل؟ لماذا هناك إنسان بفكر، وآخر يأكل وينام فقط؟ ألا يفترض أن تفهم الطير، ويدرك الحيوان، ويشعران بالظلم والقهر قبل أن يفهم الإنسان؟

- هكذا تساءل قبلك رهين المحبسين، ذلك الأعمى الذي رفض مرق الديك ليشفى، وتأتين أنت اليوم لتطرحي نفس التساؤل،

ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين.

- ولم لا، والإنسان هو الإنسان، والحيوان هو الحيوان، والظلم والقهر هما السائدان في كل الأحوال، والجهل

والتوحش قيم لا تزال سيدة في زمن التطور العلمي والتحضر

الإنساني، ما الذي في الطبيعة سوى هذا العقل الجهنمي، الذي أصبح يمتلك كل شيء عن طريق الحساب بسرعة الزمن، ورموز صغيرة تبدو صالحة للهو أكثر من أي شيء آخـــر، يملك الماضي وحساباته، وتاريخه، والحاضر وما يحوي من غرائب خافية عن النظـرة المجردة، ويتنبأ بل يتوقع ما قد يحدث للكون بعد قرن آخر من الزمن، غير هذا لم يتغير في الإنسان شيء، لا زالت الأحزان والآلام تقهره، يبكي، ويفرح، ويضعف، ويمرض، ويموت، ويتجعد جسمه قبل ذلك، رغم أعجب المراهم الطبية...

وسط الحوار، يسمع لإبريق القهوة صوت غليانه، معلنا عن نفسه، وأجري ملهوفة خوفا من فيضانه، لأحصله، لكن بعد أن ساح على نفسه، وعلى موقد كنت قد نظفته بعد عملية الطبخ، لم أشعر بقلق، مثلما كان يحدث لي، في مثل هذه الحالات، بل شعرت براحة كبيرة، وكان كل ما كان يمسك بخناق ذهني وقلبي، قد انفك، الغثيان الذي كان يســد منافذ جسدي،

راح هكذا سائلا، مع رغوة القهوة، وهي تفيض وتغلب فقاعاتها بعضها، لتترك عندي نفسا رتيبا، أعاد للقلب نبضاته المعتدلة، وللذهن صفاءه المفقود، خلال ثورة ذهنية مفاجئة، جاءت بها الأمطار المفاجئة، وهي تلثم الأرض الضمآى والندوب المشققة.

ابتسمت وأنا احضر القهوة لجلسة حميمة، ولسان حالي يقول:

- أليس كل هذا حدثا تميز به اليوم، أول يوم في سنة جديدة، ستلتهم جزءا مهما مـن أعمارنا ؟ في انتظار حدث جديد، سيصنع حتـمـا غـدنـا، دون أن نـدري، هـل هـو مـؤشـر لـلـسـعـادة أم للأحزان ؟العزاء أن ذلك ليس بأيدينا.

زواوية بن عطوش

* كاتبة قصة.
* نشرت في بعض الجرائد الوطنية وحضرت ملتقيات أدبية عديدة.
* نالت عدة تكريمات
* نشرت للأطفال "صابرة" في ثلاثة أجزاء بدار العرب للنشر والتوزيع وكذلك وزارة الثقافة: سر الشجرة العجيبة، غابة الحنان، الحسناء ولغز الحمامة.

ذكريات

مضيت... مضيت في درب الباحثين عن صورة ضائعة في عمق الوجود مضيت وفي طريقي مشيت... مشيت أتحسس وجوه المارين وقد تاهت الصورة عن الأصل... إنها حقيقة كحقيقة اليوم والغد توهان في توهان، مشيت هائمة أبحث عن ابتسامة ناعمة... أبحث عن جوهرة كل الأزمان، عن قلب كله إحساس لا هو قلب ليلى ولا هو قلب قيس لكنه قلب الجوهرة، بالدنيا يقاس وبالعمر والسنين هو أغلى من كل الناس.

مشيت... ومشيت أبحث عن جزيرة الحب والأمان علها تحتوي شطحات جنوني وتمتص ثورة غضبي وعذاب قلبي، أو علها تكسر جدران سجني وتفجر بركان الحالمين بالدفء والحنين في دنيا الجنون.

بحثت... وبحثت وبقيت في لعلّ وعسى، وكأنّ ذكرياتي كانت تترصدني لترميني في بوتقة الأحزان وهي تقودني إلى فاطمة الخرساء إبنة الحي العتيق التي لم تنطق يوما في حياتها بكلمة واحدة، كانت أجمل نساء العالم في عيون من كانت من حظه ونصيبه، مر على زواجها سنة... سنتين توالت السنين والزوج المصون يتجرع من كأس العسل، تارة يرى في قلب فاطمة مهد الأحلام الوردية الناطق بكل لغات العالم وإن لم ينطق لسانها يوما... وتارة أخرى ينتظر الأمل، طال أمد المولود المنتظر والخرساء الجميلة لم تستطع أن تكتب في

صفحات حياتها عنوانا للأمومة - ما شاء الله فعل- والمكتوب في الجبين وإن طال الزمان يوما تراه العين.

لكن الزوج قال كلمته لا جمالك، ولا طيبة قلبك ولا تغريدة إحساسك تغنيني عن فلذة الأكباد وكأنها هي الجاني في حق نفسها... أيعقل أن يجني أحدا على نفسه... ؟

قالها بكل جبروت... أنت طالق... !

فبأيّ لسان ستصرخ فاطمة في وجه الظلم... ؟ سوى أن تحمل نفسها بلا رجعة متوكلة على الله وهي لا تدري أنها تحمل بين ضلوعها من كان تأخره السبب في شرخ جدار الأمان وتغيير مسار حياتها، إنها حامل يرزق من يشاء بغير حساب وما أن اكتشفت ذلك حتى سعدت للولد والسند لكن كرامتها منعتها بمصارحة الزوج المستبد، ومن يومها محت من ذاكرتها مرارة الأحزان وللأبد. تعاقبت الشهور كأنها همسة في عجالى وحل الضيف الكريم وبأول صرخة له نطقت الخرساء متحدية إعاقتها مرددة برقة شفافة وهي تحمله بين ذراعيها والدموع منهمرة على خديها... ابني إبراهيم... ابني إبراهيم حينها كأن الأرض لفرط سعادتها قد توقفت عن الدوران... إنه قلب الأم وما أدراك ما قلب الأم... إنه الروح المضيئة بالحب والحنان... إنه النغمة التي نصحو ونغفو على إيقاعها فلا تزداد إلا تعطشا لسماعها... هي الأم مهما اغرورقت عيوننا شوقا ومهما تغنينا بأشعارنا، بكل أحاسيس الدنيا وبكل لغاتها تبقى هي أغلى وأعظم من كل هبات الحب ونبقى نحن عاجزين حتى على رسم صورة حقيقية لهذا القلب لأن حبها أعنف من كل الموجات وأصدق من كل الكلمات. فاطمة اليتيمة رأت في ابنها إبراهيم كل أهلها، حاضرها وماضيها، كرست حياتها كخادمة في البيوت تعبت، سمعت ورأت

أغرب ما ترى العيون وتسمع الأذان، عاشت كل ألوان العذاب والإهانات، لكن آلامها بقيت خفية خرساء إلى حين يشتد ساعدها. إنها لحظات العمر، الدقائق كالساعات والساعات كالشهور والشهور كالسنين، هي إذن لحظات من عمرنا تمر في لمحة بصر... لا تقول انتظرت أو انتظر العمر مر وحلم فاطمة كان أمر إبراهيم تعدى سن المراهقة ليرهق والدته المرهقة بوجع الأيام بل الأنام، لقد تخطت كل الآهات وتحدت كل الترنيمات وخلف أبوابها الموصدة حرقت كل أوراقها وخنقت كل أشواقها دون أن تسأل عن من يصد شلال حزنها واحتراقها فالحقيقة كانت فوق احتمال البشر... فوق احتمال البشر... !

إبراهيم الوالد... إبراهيم السند عاد في يوم عيد ميلاده إلى والدته التي كانت تنتظره بشغف ولهفة بأجمل هدية... أتاها يحمل بين راحتي يديه حلمها المغتال... أتاها ليلة عيد ميلاده فاقدا لوعيه يردد كلمات كوابل رصاص غدر قاتل، وهو يفتش في كل زوايا البيت الذي حمل همومه وستر عيوبه عن شيء مفقود. طبعا لم يكن قلب الأم... لم يكن قلب أغلى ما في الوجود بل كان يبحث عن أقراصه المهلوسة التي كان يتجرعها دون علم والدته فحل ظلال الدنيا بفواجعه ومواجعه في عيونها شهدت بأم عينيها خيبة أملها مشت... ومشت بذاكرتها إلى سنين ولت عبرت طريق الألف ميل وميل ولا الحال تبدل ولا الألم تحول... إبراهيم مدمن... هي الحقيقة ذاتها دون شرود أو تخيل.أسرعت إليه تترجاه أن لا يقتلها مرتين لكن لا حياة .لمن لا يعرف قيمة الحياة بل لا عقل لمدمن، هو لوعيه فاقد، راح إبراهيم يهيم بالخروج غير مبال لحالة والدته التي منعته بالقوة ويا ليتها ما فعلت... يا ليتها ما فعلت بيده حاول خنقها وهي تحاول إنقاذه نفسها لإنقاذه من عقاب الدنيا والآخرة دفعها بقوة سقطت على

رأسها فلم يسمع لها صوت وتركها تصارع الموت وحيدة مسرعا إلى عالمه السحري القاتل.

سيأتي اليوم الذي ستبحث فيه عن عالمها الدافئ الحنون... عن عيونها الملهوفة لرؤياك... عن سخاء قلبها... ستبحث وتبحث ولن تجد من يمد يده إليك حينها، لن تجني غير الندم والجراح... أي ظلم كظلمك يا إبراهيم... فاطمة التي نطقت في يوم مولدك ابتهاجا أخرستها أنت في ذات الميلاد وللأبد لقد أعدتنا يا إبراهيم إلى قصة الذبيحة التي قالت للجزار وهو يشحذ سكينه لذبحها... احذر سيدي من أن تجرح أصبعك... والدتك تمنعك من الذهاب إلى الموت برجليك فتقودها أنت بيدك إليه.

غابت شمس ذاك اليوم مثلما غابت فاطمة عن عالمها وعاد الابن... عاد إبراهيم وهو يعيش نشوة غريبة، أكيد قد أخذ زاده من الدنيا لكنه لا يدري أن رحلته رحلة عذاب طويل وعقاب شديد فما أن دخل بيت الحب... بيت الحلم الذي لم يكتمل حتى وجد والدته جثة هامدة... خطى نحوها بروح بريئة شفافة قبلها... ناداها... أماه... أماه زادت دقات قلبه ليخترقه سكين الحزن والندم، صرخ بأعلى صوته: أماه... أماه قلبي موجوع أين أنت... أين أنت...؟ احتضنها وهو يمسح دمعه تارة ويرفع رأسها تارة أخرى يلامس وجهه وجهها في حنين ويقبل يدها... انتهى كل شيء تأكد إبراهيم أن والدته فارقت الحياة على يديه فلفحت جسده نارا موقدة لم يتحمل قلبه هول الفاجعة... خارت قواه... جف ريقه لينقطع نفسه وفي تلك اللحظة الموجعة ذات الضربة المفجعة ودع إبراهيم الحياة بلا رجعة، شهق شهقة واحدة وهو ينظر إلى والدته كانت تلك النظرة آخر شيء يربطه بالحياة وكان يا ما كان قلت يا إنسان في زمنك ما لا

يقال، فاطمة الخرساء أنطقها إبراهيم بمولده السعيد وأخرسها للأبد في ذات اليوم بعد مضي سنين وسنين وبدون حساب ولا عد، ذكريات الجراح مع مرور الأيام ستبقى بصمتها الرهيب عنوانا لهزيمة الإنسان وتلك الأيام نفسها ستدين الجاني الحقيقي فمن هو يا ترى...! من هو السبب في وأد الورود وخيانة العهود... ؟

من هو السبب في وأد الورود يا ترى... ؟

وتطوى صفحة الذكريات ليبقى سؤال الحقيقة الضائعة يهمس في كل الأذان ما الذي يجري في دنياك يا إنسان... ماذا كسبت... وماذا حسبت... وماذا نسيت... ؟

اختلطت كل الحسابات والجرم في ذاتك بلا حساب ودون أن تعي رصيد ذنوبك في قمة القمم... إذن إلى متى... إلى متى يا إنسان... إلى متى... ؟

أم سارة

* زواقري خديجة الملقبة "أم سارة"
* ولدت بعنابة في 67,03,15
* متحصلة على شهادة علم النفس
* اشتغلت فترة بالتعليم.
* شغلت منصب رئيس تحرير مجلة العنابي الصغير.
* محررة بمجلة نونو للأطفال ومجلة مجلتي.
* رئيس تحرير صفحة عصافير الشرق.
* تشغل منصب مديرة روضة الأطفال لبلدية عنابة.
* عضو المجلس الوطني لإتحاد الكتاب الجزائريين.
* صدر لها:- الكناري والزهار- الطاووس المغرور
* تحت الطبع :مجموعة قصصية للكبار بعنوان: الخريف الذي كسر أجنحة العصافير.
* لها عدة أعمال منشورة بالمجلات والجرائد.
* تحصلت على العديد من الجوائز.

الطيور تعاود البحر

الآن والمطر يعاود المدينة بعد صحو تتسلل إلى أدنى ألحان خافته وصوت مبحوح يغتصب يقيني وأن صمتك الطويل أشلاء طارت به النوارس إلى البحر.مطر ينقر نافذتي، والبحر يتهاطل فوق رأسي وجبيني كم هي باردة الليالي التي تبحث بجرأة مدهشة عن منافذ لتندلق داخل قلب امرأة لم يعد يوسعها سوى البكاء بصوت عال. . .امرأة تدرك أن الدموع ستجف وتصير بلا طعم!! امرأة. . . تدينها، الأعين، المكان حتى الشارع يستنطق ظلها اليائس الموت لا يعيش إلا في ذهن حي شديد الحياة أغمضت عيني بتلك الحركة المخادعة التي تعلمتها في أحلامي، ثم فتحتهما فأدركت أنني لا أحلم. . . أني يقظة متيقنة، العجز أرعبني وأنك الآن ميت.

اجتزت ساحة البيت وقدماي لا تقوى على الوقوف أكثرأحس أن الأرض تسيخ بي وبشجرة اللوز العقيمة التي التفتحولها نساء، أثوابهن مفتوحة عند الصدر، وعيون قد سال عنها الكحل كالجواري، ألسنتهن تصوغ بمهارة مذهلة الأكاذيب و الحكايات الزائفة، وتصوراتهن المهووسة كطواحين هوائي فقدت شهيتها لكثرة ما اجترت من دوران. . . إنها قادمة منجزر البرد. . . والوباء، إنها يهودية. . . أو. . . اعترتني دهشة كتلك التي تحدث في الأحلام. . . تبرق في ثوان وتذهب في ثوان، عندما وقف " حاتم مجاور قامتي كتفه بمحاذاة كتفي لم يكن يفصل جسدينا سوى مسافة من الهواء مسافة

طويلة كطول جسدينا ورفيعة كشعرة من الهواء رغم كونها من الهواء. . .أول يد تلتف حول يدي كف بحجم كفك، أصابعها طويلة يد حقيقية بلحمها ودمها تسري حرارتها في كفي وتؤكد حقيقتها لأنها من نفس حرارة يدي، وحركة الدم في عروقها لها تحت الجلد دبدبة كدبيب النبض فوق معصمي وكدبيب الأرض تحت قدمي. وجهه كان شاحبا كتمثال منحوت من الصخر. . . لكن أحسست أن جسمي أصبح أقل ثقلا ، فهل ترى تخففت من أثقالي الغير مرئية؟

صوت حذائي أصبح أقل حدة، تركنا الساحة وعيون الناعين لي فيك ترمقني بشماتة، دلفت غرفة خاوية من الأثاث، وقد وشمت حيطانها بصورك وفي زاوية منها إمرأة تنتحب قابعة يبدو أنها عاشت طويلا مع الصور، عظام خديها بارزة وعيناها حفرتان غائرتان في رأس تدلت منه ضفائر وقد أبحر فيهما الأسى أو أنها سوطا ما تعب من جلد تلك البائسة!! قال : حاتم إنها انتظرتك طويلا . . .تنقلت بين الصور التي كانت تنفد إلى سراديب العمق محملة بعطرك هل ستصل جثتك هذا البيت. . . أم ستعاود البحر.

سامية بن دريس

* من مواليد 16 جويلية 1971 بفرجيوة ولاية ميلة.
* خريجة جامعة قسنطينة.
* أستاذة بالتعليم الثانوي.
* بدأت الكتابة القصصية في بداية التسعينيات.
* نشرت عدة نصوص في الجرائد.
* لها مجموعتان قصصيتان بدون طبع: "الشمس والرماد" و"النبع" ولها أيضا رواية بعنوان "سوق النساء".

شهوة التفاح

الساعة منتصف الليل تعني نفاذ ذخيرتي، والساعات المتبقية هي آخر الرصاصات في جعبتي، لابد من تقدير معنى ذلك، ففي هذا الوقت تتأهب شمسي للمغيب، وتبدو الدقائق مثل قطرات المصل الباردة تسقط على مهل ولا مبالاة.و هذا حيث يتشابه كل شيء : الرؤوس الحليقة والوجوه الخاوية والبدلات الحائلة وتتراجع الملامح والألوان والأفكار.و تصهل الأرقام كصرير أبواب عتيقة صدئة: السجين رقم. . الزنزانة رقم. . . محكوم ب. . . تهمتك. . . مثل أرقام تسلسلية كأرقام السيارات.

القضية بالنسبة إلي ليست هنا فهذه الشؤون معروفة لدى جميع الناس بما في ذلك أولئك الذين لا يجرؤون على تخيل أرجلهم في سلاسل غليظة.أي سحب الاعتماد من الحياة.

أما أنا اليوم فلدي شأن آخر، إذ حين عرضوا عليّ التصريح بأخر رغبة كأقصى ما يمكن طلبه في هذه الحياة. الشهقة الأخيرة والنفسة الأخيرة ورشفة الماء الأخيرة كذلك.قلت لهم بصوت محايد لا يحمل همسة الحزن ولا رنة الفرح : "ورقا وقلما". وماذا كان يطلب في مثل هذه المواقف :

تقبيل الأحبة، صفح الوالدين، جرعة ماء، وفي الثلاثين ما كان لديّ بيت دافئ آوى إليه وقد قضى أبواي كمدا.

من بين كل الأسماء التي لفها غبار السنوات وغطتها حشائش النسيان كما غطت قبورها بزغ اسمها، نجمة في الأفق، النخلة الفتية التي استأصلت جذورها الغضة بيدي هذين.و من بين كل الوجوه المتآكلة المطلة من كوّات الليل العتيد أأ أشرق وجهها.جسدها مزّق أكفانه وجاء يعودني. بعد الحادث وقعت آلاف الحوادث المتشابهة، طلقة مجهولة من كوّة ما وجثة مطروحة في الشارع.

- كان إعصارا أهوج وقيامة قامت ؟.

- أفكاري مشوشة والدقائق كقطرات المصل. . . و في هذه المنبهة لا شك أنك تستريحين تحت ظلال سرمدية، وبعد حين ستتأهب روحك لزيارتي كالمعتاد، التوقيت ذاته، لحظة التحام الليل والنهار وخفقان قلب الكون وارتجاج الأرض تحت ثقل أسرارها، ستضرب أجنحة من حرير وجهي وسأرى رأسك المستدير يطلّ، تحدقين بعينين باردتين ثم تصفقين أجنحتك، وتعودين بين أسراب الطيور الخضراء لتسبحي في بحيرات النور حيث يتلاشى جسمك المتلألئ ويستحيل هالة مضيئة في مملكة الخالدين.

- أعذرك، لهذا الحضور التقليدي، ففي لحظة مماثلة ربّما كنت تتساءلين:

- وردة سوداء ممدودة وعصفورة مذبوحة، أتلك أية؟.

عند مدخل العمارة وبباب المكتب، أتلك آية ؟.

ولما فتحت الظرف الكبير فاحت رائحة غريبة قاسية، انتصب لها شعر القطة وولت الطيور فزعة عن نافذتك، ورأيت ريشة العصفورة ونقطة دم، أتلك آية؟.في تلك اللحظة وحين كنت تتساءلين شرعت في وضع لمساتي الأخيرة لإسدال الستارعن الفصل الأخير من هذه الكوميديا الدموية. ولم لا ؟ فكر الرجال عبر التاريخ يتعبون، الذين

يطاردون أعداءهم، يحثون الخطى لغرز الخناجر في الصدور، والذين يتبعون النساء يدت الإعياء إلى مفاصلهم.وهم يلهثون خلف خط الخطر ودوّاره. وأنا كذلك أرهقتني المغامرة، وخط الحبر أوهنت قواي فالحسابات مضبوطة لا تحتمل الربح والخسارة معا.كلمة واحدة وطلقة واحدة.أما السؤال عن هوية والمهنة والعنوان فأمر ثانوي بالنظر إلى ما تبوح به التفاحة التي تستريح بين الكتفين النحيلتين بثقة ودلال. وقبل تعداد قائمة النوافل التافهة التي بإمكان أي صبي تزويدك بها دون حبّة حلوى من قبيل :

سعاد. . .صحفية. . . شارع. . .تكون الخطوات قد قيست بأحكام شديد وبدقة رياضية، إذ لا مجال للخطاء عند هذه المرحلة، الخطأ الكبير أو الصغير الهفوة أو الخطيئة.

ومن الساعة السادسة صباحا حيث تنتشر رائحة الخبز والفطائر والمقروض والقهوة، إلى السّاعة السادسة مساء حين تنبعث رائحة القدور والبهارات تثقب المعدة. وحيث يعبق الحبق والنعناع ويلوي اللبلاب أعناقه مداريا خجله، تكون الحسابات قد ضبطت تماما. ومثل ألحان أندلسية تئن الخطوات بعيدة تنفجر في الفراغ، أبواب تصفق وضفائر تجتث للخطوات إيقاع خطوة خطوتان. . .

موسيقى المألوف العذّبة تنزل العمارة والقامة الضئيلة تقف منتصبة عند موقف الحافلات، في الشّارع تسرّح عينيها الفاتحتين : "مرّت بسلام، سلال الخبز ملأى، الأفرشة جاهزة في المحلات، ومقهى السلام عامر.كل الدكاكين أصبحت بخير تشرع أبوابها للشمس، والنسيم، وتتبرّك بآيات الله ".

حينما نغمض أعيننا عندما نأوي إلى الفراش نعتقد أننا لن نفتحها أبد.

الواجهات متلألئة بالخواتم والأساور والقلائد.كل شيء بخير. ونتنفس طراوة الصبّاح ونسماته النديّة البكر، وتتجاوب ذراتها ويتراقص ماؤها وتزهر وجنتاها فترد التحيّة للخطوات إيقاع خطوة خطوتان. . . موسيقى المألوف تعبر نحو كشك الجرائد لتصيد الأخبار: كم قتل وكم خطف وكم اغتصب. تندس عيناها بين الحروف ترضع رحيقها. تتسع حدقتاها وتضيقان. وتزمّ شفتيها ثم تطوي الجريدة، وتقف حيث تعانقت أشجار التوت والميموزا القائمة بين دفتي الطريق.

شجرة التوت مرّة أخرى، أي يوم قابلت؟ فلأغير الموضع ثمة زاوية أنسب، السيارات والأشجار والقامات المديدة.

وأين هذا النمل؟ الذي يقف حاجزا أمام المنظار فيحجب الطريدة، أين اختفت القامة الضئيلة؟.

قال الأمير : لا تتركها تفلت للحظة واحدة.و لو طرفة عين، حتى مقدار الشهيق والزفير.

- أين هي؟ لو علم كم أهدرت من الوقت لأضافني في ذيل القائمة المطوية تحت إبطه.

الأمير يقول: إن رأسها تفاحة ناضجة تغري بالقطف، ولن أدعها تسقط حتف أنفها.أنا لها. وأنظر لها، فإذا هي متدلية تلوي عنقها في دلال يسيل اللعاب.طلقة واحدة. ثقب واحد من زاوية خفية كاف للإطاحة بها. رمية فريدة تصيب الهدف في صميمه.

هذا الموسم هو موسم التفاح، فالبساتين على امتداد البصر والرؤوس نفسها صغيرة ومستديرة ومسترخية في دلال.تداعبها الريح فتهتز لتؤجج ديران الغواية وتوقظ لهيبها نائما تحت الرّماد.

ها هي تختفي في قلب سيارة الأجرة.

- ماذا قال بالضبط.

- إن قطف التفاحة هدف نبيل.

- ولم ؟

- الداء يسكن قلبها وقطفها يكون قبل يسح قيحها.

مفهوم، مفهوم؟ ثم يضرب الأرض بسوطه في أمر قاطع ينهي به حديثه.

التفاحة جميلة تستدير بحركة رشيقة، موسيقى المألوف تتسلق درجات البناية لتكتب في عمودها المعتاد كلمات من قبيل: "أتصور حجم الكارثة، لما تفوح الأرض بتلك الرائحة النتنة ؟و تمتلئ الشوارع والساحات بالكلاب المتشردة والقطط الضالة.حين تقف هذه المخلوقات في الطرقات تفتش المارة وتقيم الحواجز. وربما تسير في مظاهرة صاخبة مطالبة بإخلاء المدينة على أساس أنها تمثل الأغلبية".

بعد ساعة رأيتها وسط المدينة، وهنا تبدو المهمة أيسر فكل القطرات في النهر متشابهة، أجمل ستمرق بعدئذ إلى "ساحة العشاق " وتتسلق الصخور العاتية ذات الملامح المتجهمة وتندس بين فجواتها كالطيور. وقبل التمشي على "جسرا لجبال"الأخرس والتأرجح بين العلو الشاهق والهوة السحيقة كنقطة معلقة بين السماء والأرض.ستتأملين كل الذين سقطوا، القافلة الحزينة التي ألقت حمولتها، شهداء الحب، فرائس الفشل وكل نفايات هذا العصر.سأمنحكم الفرصة الأخيرة، وغدا عند هذا التوقيت بالذات أي قبيل مغيب الشمس سأقطف التفاحة اللذيذة.لتكتمل دورة النهاية، لن يشي الجسر العتيق بأسراره، فكل الذين ذهبوا أتمنوه، وأنت كذلك، سيكون الجسر نافذتك لتتطلعي إلى آفاق الأبدية الرحبة. فهذه المدينة التي يسميها بغضهم مدينة الصخر العتيق أو الجسور المعلقة أو سيرتا

أو قسنطينة واستودعها أسرارها تختزن الغموض الحالك المغري، كما أختزن منظاري كل التفاصيل : مواعيد العمل، وجوه الأصدقاء، الشاب الأنيق المتابط ذراعك عند الجسر، والحلقة الذهبية الرفيعة في الأصبع اليسار قطع البيتزا وأطباق الكسكس والشخشوخة، التنورة الطويلة والكعب الوطيء،

كلها مدونة بدقة، وبالتأكيد مناصرة فريق المولودية دون السنافر.

- هاها جمجمة الوردة، من يفرد أجنحتها ؟

- تلك البذرة المرة الحرام.

- للخطوات إيقاع خطوة خطوتان. . .

موسيقى المألوف تصدح في الأفق، درب يموت ودرب يولد، نشاز يخترع الإيقاع، خطوات قاسية تقتفي الأثر، تستدير التفاحة في ريبة ولا تلمح شيئا.أمامها : وردة سوداء ممدة وعصفورة مذبوحة.ثقلب شفتيها، نهر الخطوات ينساب نحو الجسر المعلق وساحة العشاق.

بعد أسبوع وفي الوقت ذاته كان الشاب يسير وحيدا من غير أناقة متأبطا جريدة وقد نبتث غابات سوداء ذات أنياب في وجهه.

وفي زاوية نائية صفقت جريدة قديمة صفراء وجه فلاحة شابة فمدت يدها والتقطتها : "في صدري وبين رئتي تزهر البساتين، تتسلق ورودها أضلعي فيهب عبيرها من أنفي وعبر مساماتي هل تستنشقون أريج الصبا أيها الأحباب : رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا ؟ في كل بقعة تصلكم أحرفي، في الزوايا المهملة تستحمل الريح روح كلماتي وتصفق بها وجوهكم كما تصفق الطيور أجنحتها، لأن شجرة الحرية قد أزهرت.

سعاد هيشور

* من عاصمة الهضاب سطيف
* خريجة معهد العلوم الفيزيائية والكيميائية بجامعة بسطيف سنة 1993
* تشتغل مذيعة بإذاعة الهضاب بسطيف
* شاركت في العديد من الملتقيات
* نشرت نصوصها في مختلف المجلات والجرائد
* تشرف على تقديم إعداد عدة برامج أدبية إذاعية
* من أعمالها القصصية: "وبدأ الحلم حزينا، طقوس الخطيئة".

مفارقات الزمن الرديء

وقف على الرصيف شاردا، يتفقد جبينه بمنديله فيمسح عنه قطرات العرق التي تناثرت فوقه، انتبه إلى عقارب الساعة المقيدة لمعصمه فخيل إليه أن كل دقة من دقاتها تحصي عليه أنفاسه وتذكره بعمره الذي يهرب من كف الزمن.كم تمنى أن يمهله قليلا ليلتقط أنفاسه، فلقد تعب من الجري وراء سراب يسمونه الحياة. . . بالكاد صار يفقه منها أقل القليل. . . الجو كدر يهيء العاصفة والريح تلفح الوجه وإذا الحاجة ماسة شديدة إلى مكان يأوي إليه قبل أن تمطر، فمنذ زمن بعيد لم تمطر.

كان متعبا يريد أن يستريح، مهموما يريد أن يبكي راح يبحث عن مكان من هاته الأمكنة التي يختلف إليها الناس ليقتلوا فيهم الإحساس بالزمن ويتخلصوا من شبح الإنتظار.

في نفسه تزدحم أشياء كثيرة ولكن الشعور بالإضطراب طغى على كل شيء. . . مشى مفكرا متأملا فانتابه شعور عميق بضآلة الإنسان حين تغضب الطبيعة فيظلم الجو وتكفهر السماء وتتكاثف السحب الرمادية بعضها فوق بعض. . . ما أتعس الإنسان حين يزعم أنه مركز الكون.

تراوده خواطر خطيرة فينسى نفسه ويتركها لحماقاته تعبث بها ليعود فيجدها أمام مدخل مقهى تضطرب كعصفور بلله المطر.

راح يشق الصفوف المزدحمة أمام المدخل، فيرى أن كل الوجوه تتملقه وتزدريه وكل العيون مصوبة نحوه. . . تردد قليلا ليرسي أخيرا في مكان معزول فيتخذه مجلسا.

غرق في تخميناته فزاد قلقه وجاشت بصدره فوضى لا يعرف لها آخر. ولم يكن ينغص عليه حياته إلا كون عمره محدود وقد قضى منه ما شاء الله له أن يقضي بلا هدف. . . بلا جديد ويحيا حياة فاترة كلها انتظار لغد لا يشك في عدم مجيئه. أدار رأسه يمينا وشمالا فرأى الحاضرين طوائف. قد انصرفت كل طائفة منهم إلى ألوان من اللعب بين نرد وشطرنج وورق، ولا يدري أحبه للخلوة مزية أم نقيصة ؟! ولكنه تعود ذلك فعقله دائم التفكير لا تصرفه عنه جلبة الحياة ولا ضوضاء المقاهي، فبقي يعتصر في مكانه وقد استنكر الحياة فأمعن في الشرود ليسأل نفسه : هل هم سعداء حقا أم أنه الهروب من الواقع. . . ولو. . . فليت له قلبا كقلوبهم. . . فكل من استلذ الحياة وود لو يستزيد منها يكون قد لغى قلبه وواراه خلف السحاب. تشتد الرعود وتظلم الدنيا وتنفجر أشياء في السماء، وإذا الأصوات قد خفتت،

وإذا الصمت الرهيب يشعرك بأن شيئا مقدسا يحدث في الأعلى، فيشعركم هو ضئيل، ضعيف، ويوقن بأنه ليس شيئا يذكر وأنه لا يستحق الحياة. فلقد فكر فيها وأنفق ليله ونهاره محاولة منه إدراك أغوار الإنسان وسذاجته في فهم الحياة فرأى أنها ليست شيئا يستحق العناية ويعود إلى الوراء فيرى أنه قضاها في انتظار طويل. . . انتظر الليل ليستريح فقضاه بين أرق مضن ونوم ثقيل، وكوابيس مخيفة. انتظر غده فاستقبله بمثل ما أنفق فيه أمسه.انتظر عامه الجديد فأقبل، ومضت معه الأعوام متتالية دون جديد. لم يعد يستطيع المقاومة. . . لم يعد

يستطع الثبات. بعد انتظار طويل أتاه النادل بكأس من القهوة كان قد طلبها، رفع رأسه قليلا فلاحت منه التفاتة بدت عيونه من خلالها تلمع وقد ظهرت وبانت وتلألأت بالدمع الحزين، إنه ضعف يسلبه كل قوة ويجعله غير قادر إلا على فتح هاته الصهاريج لتسقط منها قطرات الدمع متتابعة. . . فليبك ما يشاء. . . من ذا الذي يصده عن ذلك. . . فالدموع لم تخلق عبثا. . . فربما قد تطفئ غيلة في نفسه قد اشتعلت وأغلب الظن أنه يقاوم بها ميلا شديدا يدفعه بقوة نحو الانتحار. وتتصاعد قهقهة عالية من الجانب الآخر فتصعد في السماء فتحملها الرياح عاليا فوق السحاب وتفرقها في جميع أنحاء المدينة.

سليمة دراجي

* ولدت في13/07/ 1972 بالذّرعان ولاية الطارف
* تشتغل حاليا بالمركز الثقافي ببلدية شبيطة مختار
* بدأت الكتابة في سنة 1991
* عضو اتحاد الكتاب الجزائريين منذ سنة 1999
* كتبت في عدة أجناس أدبية منها: "المسرح، القصة، المخاطر..."
* نشرت أعمالها في عدة جرائد وطنية.
* من أعمالها القصيصية الجاهزة للطبع: "العالم مجهولة".

قصة الهامش

... ضوء ضئيل... يحترق فضاء الحديقة... يكسر كل الامتدادات المتوغلة في أعماق الصمت... أشجار كثيفة متجمعة... ألتقي بها أنت... تفهم لغتها... هيئة وقفتها... تحفر داخلك الوقار، تجعلك تعي انك لست الوحيد في هذا العالم... تعاني من غربة الهامش... لمسة باردة تقبل جسدك... تعبر لكل الأبعاد الملتهبة داخل أعماقك... تنقد ما يمكن إنقاذه... انكسارات شكلها الزمن في أوجاعك... ها أنت لم تعد وحدك... حجر هناك صامت... مجتمع مندثر... هنا وهناك... زهور تنام في هذا الليل... تحتمي بصمته...عصافير تحتضن صغارها... تبني أحلامها في لجة الليل... هدير النهر يسابق همس الريح... يخلق في أعماق حب الاكتشاف... يقف عمر يتقدم بهدوء يتفقد كل من ينام في الحديقة... يمشي بتحفظ لكي لا يزعج الآخرين... تأكد أن الجميع هنا... الكل نائم... إلا هيكل ذو عينين بارزتين شكلهما كبير نوعا ما... لا يتضح... يصدر صوتا مزعجا... مخيفا... يخلق داخلك متاهات... اتجاهات يصعب فيها أن تحدد مسارك... اقترب عمر... و شيء من الخوف يعرقل خطواته... يريد التعرف على هذا الهيكل المتحرك... أن يعرف ما نوع هذا الصوت، لما يكون في هذا الليل الجميل الهادئ... لولا... استغرب... كيف أن بهاء الليل يجمع بين الطمأنينة والخوف... تشجع تجرأ ملقيا كل

الاضطرابات خلف الهامش... يريد أن يثبت ذاته ولو هنا... انزلق... واختفى الصوت... لم يبقى لا الهيكل... جامد صراع حاد أن يلمس هذا الهيكل أو يمتنع عنه... مع كل ومضة ضوء خافتة، عابرة يظهر لمعان بارز بوضوح... فيورق في فضولك حب المغامرة... ها أنت لست وحدك تتجرع علقم الهامش لكل اتجاه مسار...، لكل هامش وقفة للتاريخ... هدوء يعبر إلى أعماقه... بقي ذاهلا للصوت المنبعث... شعر بثقل كبير على جسده... جلس أمام الهيكل... اخرج من معطفه علبة سجائر... احرق أثرها متاعب... أثقلت عليه البقاء... أخذت تحترق سجارة تلو أخرى... عمر صامت... يفتش عن ذاته... عن الرجل الذي يعشق القلم... يؤوض الصوت من جديد يقطع عنه لحظاته الثقيلة... المحملة بالأوجاع... يصرخ: لماذا تزعجني بهذا النشيج... إلا يكفيني شجن الأيام السابقة... دعني أعانق الانفراد في السكون...، أختـلي مع أصدقائي النائمين...

اختفي خلف الليل... لقد تركت لك الشمس... النور فاترك لي عالمي... المظلم... فلم يبق لي سواه... يتضاعف الصوت المزعج المتقطع النغمات... تقدم... يجري في كل الاتجاهات... يسقط كل الأشياء الجميلة يوقظ النيام... العصفور... الأزهار... تشتد الريح... تعصف بشدة... يطير الهيكل يحلق عاليا... ينشر خلفه الريش... يلتقطه عمر... يتحسس شكله...، يحب التعرف على لونه... تهدأ العاصفة... يعود الجميع لعالمهم... يجلس عمر... هناك... قرب هدير النهر... يستمع لنغماته... يورق الصوت بعمقه... من أنت أي رجل...أين حنكة سياستك... لماذا قتلت عمر... ما ذنبه انه رجل سياسة... وقف عمر... يتأمل ماحوله يبحث عن الصوت من أي جهة صدر... لم يجد شيئا...

سوى صفير الريح... حشرجة الأوراق المتراكمة على الأرض... ترك النهر... راح يمشي... يتجول هنا... كانت خطاه ترشده لكل الأماكن دون تعثر... كأنه من أبطال الليل... ينظر لزوايا الحديقة... يبحث عن كل الأشياء المهمشة... لما يلتقي بها يحملها... يضعها في وسط الحديقة... يدخلها لعالم أخر... يناقش ما ذا يمكن أن تحدثه لغة التجمع... وما يمكن أن تحمله من اتجاهات...

يعود بعدها... لبصمات الأشياء المنقولة... فيجده فضاء مليئا بتجارب الآخرين... يهمس كأنه قائد ثورة: لا يمكننا الاستغناء عن الهامش... هو رؤية... قوة اندفاع تجعلنا نصل إلى المواجهة... التحدي... ارتبك... سمع حفيف خطى... التزم الصمت... لكنه لم يجد شيئا... ، خلف الأشجار، شكل شبح يختفي... يتقدم بخطى يصغي للهمسات... يتقدم في كل الأماكن التي يرنو إليها عمر... يسترسل عمر حديثه مع الليل لماذا تنطفئ الأنوار... في وضح النهار من عينيك... تكون صورة بشعة... تكون امرء ملغى من كل التعاريف ويصعب حينها التعرف عليك... ، فأنا لم اعد اعرف وجهي... قتلوا فيه كل الأشياء الجميلة... دمروا في مساماته كل الأحلام الصغيرة... غرسوا في عمقه وحشة الهامش كانوا يعتقدون أن بالهامش يلغى تواجدي... تقدمت الخطى منه... من عمر لما سمعت همسات بكاء رجل... عرفه الجميع بصاحب الحنكة السياسية... ، وضعت يدها على كتفه هامسة: لا تبكي يا صانع البطولات ليس الهامش... أن يلغو منك تواجدك... وإنما من يصدر هذه الطلقات... انتفض كا الغبار... مضطربا... من أنت... أصاحبة الصوت أنت... لماذا تلاحقني... لقد تركت لكم عالمكم... المضيء بالأنوار...

ولجأت لهمسات الدجى... همست : لا تخف لست من طرفهم... ولا محملة بتعليمات الدمار... إنما أنا مثلك اعشق لغة الصمت... كنت أصغي لحدثك... اقرأ فيه جمال الصدق...

- كيف لي أن اصدق ما تقولين... الست أنت من ارق نومي... ،... جعلني من قائمة حراس الليل....

- لا تقل هذا... هو ضعفك... قلقك... ضغوطات يفرضها عليك عالمك ما أنا إلا امرأة... تتجول في جنح الليل... ، تبحث عن معنى الهامش في فضاءاته

- أي من الاثنين أنت... امن الإنس... أم من الجن...

- تضحك... ينتشر صداها عبر المدى... أنا امرأة عاشت يومياتها... تحت طلقات نارية... افرغ فيها كل ضغينة وبغضاء... عشت لغة الهامش... لما الغوا وجودي في وضح النهار... عندما عبرت عن خوفي... لأنهم اخذوا مني في المرة الأولى كل أحلامي... السبب بسيط لأني لا أملك إلا شهادة واحدة... شهادة ميلاد من تربة... شفتاه ترتجفان... مرددا... لم افهم عنك شيئا... ماذا تقصدين... ابتسمت... اختفت... فجأة... انتفض والذهول يملا متاعب نفسه هامسا : أي امرأة أنت... ارتجفت أعضاء جسده امن الجن أنت... اخذ يمشي بتعثر الخطى... مسترسلا في المشي... يقطع عن ذاته ذاك الصوت الأنثوي، الفاتح في فضاءاته مجالات أخرى... جامعا في رؤاه أن العالمين يحملان الوجع بكل شظاياه... راح ينبش الفكرة ذاتها، يبحث عن كل لمفاهيم... يمشي يتعرف على كل الأشياء... بغتة أحس أن الحديقة صغيرة... ضيقة وان فضوله اكبر... تقدم نحو الباب... مد يده... فتحه... خرج لا يعلم إلى أين يتجه... الطريق ممتد..

أضواء متنوعة... كثيرة العدد... بنايات... منازل... تعلن وجودها من بعيد... هي من الجهة الأخرى... مقابلة للحديقة... راح يمشي... الدرب طويل... الصوت يلاحقه... ينبعث من جواره... هامسا: لماذا تغير حياتك الآن... ؟... أكرهت همسة العتمة... ؟ ... تريد أن تبحث عن عالم آخر... تشعر بالتوتر والقلق... فرافقته السجارة من جديد... هامسا: ما الشئ الذي يبني جدار يفصل بيني وبين الأخرين... ؟... ألآني سياسي... ؟!... ألا يحق لي أن أحمل القلم وأن أستمع إلي الموسيقي؟...

- بلي لك كل ذلك... ألست بشرا... ؟!... يمكن أن تغني، أن تكتب ما تشاء... تشعر بالفرح... انتبه لذاته... من... ؟!هل عدت من جديد... لن أخاف منك... أعلم أنك من هؤلاء... تريدين منعي من تحقيق ميولاتي... حاول أن يخترق الحاجز... رمي جسده دفعة واحدة نحو الركد... فاتحا أمامه جولة الإبحار في متاهة أخري... وصل إلي المدينة...

كانت نائمة... إلا من الأضواء... تغازل صمت الليل تزج في أعماقك بهاءه... تقدم لا يعلم إلي أين يذهب... إقترب من البناية... سمع أصوات غريبة... دخل الفندق... الموسيقي صاخبة... ارتطام الكؤوس... زجاجات فارغة... تمارس الهامش... تقدم... تدخل... فتح الباب... الكل مندثر... هناك... شبه نائم... حشرجة حديث... لاتفهم معناه... تقدم لطاولة... جلس... عيناه مدمعتان... أعتقد أنه الوحيد الذي يعشق الليل... فوجد من لوث صمته... بارتطام الزجاج... وقف... لمح زجاجة مازالت ثابتة... متماسكة... فارغة... اتجه

نحوها. . .صارخا: موبخا إياها: ماذا فعلت. . .؟وأنت ذا الجسد الصغير. . قتلت بضعفك العقول. . أي إغواء تتميزين به أنت عن بقية الزجاجات. . .؟!. . .رائحة كريهة تنتشر من شفتيها. . . سكنه الغضب. . . حملها. . .أسقطها علي الأرض دفعة واحدة. . . حمل جسده الثقيل. . . خرج غاضبا. . . لا يعلم إلي أين. . . ؟. . .يمشي. . . يتعثر. . . ينظر وراءه. . .يتأمل العالم المختفي خلف الزجاجة. . . يمشي. . . يحلم أن يلتقي بالنهار. . .أن يخرج من هذه الدائرة. . . يصل إلي الحديقة. . . يتفقد كل الأصدقاء. . . كانوا نائمين. . . جلس قرب النهر. . . يستمع إلي نغماته. . .

ينتظر قدوم النهار. . . وأن ينبلج النور داخل أعماقه. . .يقف بخشوع يتأمل هيبة الأشجار وصمت الليل. . .ملقي بهذا البوح: الليل جميل وموحش تشكل فيه المتاهة فصولها. . .تتسع الهوة داخل الصمت، تشكل في أعماقك هيبة الهامش. . .

الذرعان في: 19/ 03/ 2004

سميرة بولمية

* من مواليد 1968/10/08 بولاية جيجل.
* متحصلة على شهادة الدراسات التطبيقية جامعة جيجل، موظفة بمديرية المجاهدين لولاية جيجل.
* كاتبة قصة قصيرة، قصص الأطفال، مقالات أدبية.
* شاركت في عدة ملتقيات وندوات.
* لها عدة مجموعات قصصية: "أعراس الصبار، مرآة الغريبة، الخريف الآخر".
* نالت جوائز محلية ووطنية أهمها: جائزة وزارة الثقافة عام 1994 عن قصة "شمس حزيران".



الثور الأسود

"عندما أيقظت "إمــزاد" عصافير قلبي، حلقت في ملكوت ضيائها في تلك الليلة التي رقصت فيها "الغالية" رقصة "أشروا" فوصلت قبل فوات الآوان إلى عمق المعنى الذي يربط نياط صلاة "أمــورث" ـ الأرض ـ، بقيامة "أمــان" ـ الماء ـ، فتحـت وصية "حام" ففهمت بأن الرياح الحطوم لن تقتلع جذورنا من عروق حجر "الليـث" لأنه كتب صبح الحكاية على صخرة الصـرح ولم يطفئ المصباح فاهتديت. . . أي اهتدينا".

ضافت الشمس، جلـول الرحلة بصدر "غالية هكارة"، لم يعد الدهليز يسع أنين الضنى، خرجت من شوق الضرم للنار جمر يحرق في الينوع لون دمي كي تسري في عروقي كل الضفاف التي تجيب "الغالية" عني وعنها، أو عنا، أو عن كف الغيب وهو يلون غيوم الوقت الأخضر بلون بحيرة عسلها كي تحمي تباريج الحكاية من غضب الصناديد والصعاق.

لن أكسر أجنحتي على ركبتا "سيرتا"، دهنت جرحي ببلسم "الغالية" تركتها تزرع ريش الدجاج في المروج السندسية حتى تورق أعراس الوخز فيتفتح وشم الثور، لما استوت على صهوة العز أدركت عمق علاقتنا بنياط صلاة "أمورث" وبقيامة "أمان" لهذا عندما بلغت سارة الجبل رأيتها الخيط الوحيد الذهبي في بهاء الحلم.

مثل كل مرة لم أجد "سيرتا" بانتظاري ومع ذلك طرقت بابها، لم تدعوني إلى الدخول، لكنني دخلت!.

الآن روحي مشدودة إلى عزف يأتيني من البعيد من روح تعلقت بروح "إمزاد" أدرك عمق المعنى الذي يربط نياط صلاة "أمورث" بقيامة أمان... لكن لما وجه "سيرتا" حزين؟... سأزعجها إن سألتها عن اسم المعنى الذي يستطيع جبر ما قد أنكسر، وسأكلمها عني وستنزعج، ستطردني خارج قلبها، أدفع الباب ورائي كمن لن يعود إليها ولن تكترث وأعود إليها... أعود وأنا أجهل اسم المعنى!.

لا أملك مفاتيح قلب المدينة... تكرهني لأني أقارن سماءها ببحر الحكاية، هكذا قالت "حنة" وكل الجسور التي أقمتها في سريالية "المدينة المعلقة" لن تشفع لي!.

قد تفهمني يوما وقد تعترف بأني لم أكسر أجنحتي لأني أهوى ألحان مزامير وادي "غاث" وهي تسقي أغصان الذاكرة وجذور طفل لا يريد أن يهرب من قدر الجمر والمرايا.

لم أكذب يوما على "سيرتا"، لم يكذب علي "مبارك" حين قال لي بأن الثور قد كلمه خلف الغار العجيب عن الجرح، والخيمة وعنا وعن معدن "الغالية"، ولم تكذب "الغالية" حين بكت على "مبارك" لما لمح باقي فصول الحكاية عبر ثقب كبير بصدره الأخضر.

يستريح وجعي تحت ظلال أمنية "إيهاغن"، آه لو "الغالية" تدق الباب، بل آه لو تكسره، لكن مفتاحه معها، قد تفتحه، أو قد تصنع به ثقب صغير ولو بحجم رأس إبرة، تدخل سجني الضيق تحررني من خلاخل الأسئلة المالحة، تدفع الصخر عن صدري وتعيدني طفلا بريئا لا تعرفه كلاب المزاد، ولا تشتهي لحمه أفران زبانية العذاب...

جرس الهاتف يرن "حنة" تريد أن تعرف علاقة الفارس بالنار، والثور، والـدرق، والثأر وإيزمر!.

اللثام يخفي وجها حزينا، و"أبونتي" عارية، كم مرة قلـت لهـا : "اللثام يخفي وجها مزيزا"، و" أبونتي" لم تستحم يوما فـي وادي "غاث" و"سيلات"، لم تتعر "أبونتي" حتى أمام الماء وكانت تتدفق في نبض معزوفة المطر لونا أخضرا يغمس رعشة الطيور الذهبية في لبن سنابل الحكمة الطليقة كي تصير المطارة فلك إسمنجوني اسمه كون الخلاص...

"سيرتا" حزينة لأنهم فتحوا أبواب الأسواق، ولعنة البيع كالحمى الصفراء انتشرت في كل مكان...

الصوارد لن تعصف بالجذور، أجبتها : "ليس ضروري حضور كل مزاد، وقبل أن يبلغ السم كل القلوب ضروري التفكير في معجزة الترياق"، لكنها كانت تريد أن تعرف عدد الإبر التي يتم بها وشم نيسم الثور وانقطع الخط!.

بلسم "الغالية" مازال يسكت أنين بحيرة الدموع، لم أغلق أبواب المروج الفضية، لقد وعدت "مبارك" أن أنادي عليه من أعالي قمـة "إيهاغن"، ومازلـت أبحث في قمم أوجاعي عن فرح نسيته "سيرتا" عندي.

ما أوسع قلب هكاري لم تحنطه بلادة الزحام، وما أضيق قلب "سيرتا" حين تهيمن المليساء فتلطخ بجعة أحلامي الناصعة البياض بمكر الرمادي القاتم.

أسواق غريبة وعجيبة، ما أن نشر الضارب عباءته الداكنة حتى أحرقوا كل الأبواب، تعلقت بحلم "حنة" كي لا أجر الطوفان إلى

خرابهم الباهت، ليس خوفا عليهم بل خوفا على جنة الطيور السرية، وتعلقـــت "حنة" بقرن الثور الذي رفضت ألوانه أن تجف.

حاصروا نرجسة الوقت الأبيض في فراغ أكذوبة رهيبة أنه بالإمكان بيع كل شيء حتى ما علق بقاع جرة الذاكرة!.

توقفوا عن قراءة الخطبة وراحوا يطلقون النار!.

"الغالية" تعلق أسنان حدثان الدهر برقبتها، تبخر البقعة ولا تخشى جني الظلام، أفتح قليلا نافذة قلبي، أرى من زاوية الإبرة الرابعة كل الزوايا التي استحضرت روح "تينهينان" : الرواق خط سر طويل، مصابيح تتدلى كعنب معسل، ووصيفتها "تاكيما" تستر شرفات القمر بأكمام أغنية تخرج مــن أنفـاس "تندي إيلوقان" وترقص... ترقص... تـ... رقـ...ـص.

كأس من الشاي قد يجعلها تلين وتبوح لي بكل الذي ظل مدفونا مع أسرار حروف التيفيناغ سألتها عن "حام" وعن البحر الذي إبتلع الصحراء التي أحنت رأسها لقلعة "أبلسة"

كلمتني عن ذلك النحات الذي بشرها وهي في خيمة الصيب بتلك النبوءة الذي خرجت من سحابة عرافـة كانت تجمع ريش الدجاج، تغمسه في فنجان الصبح وتبدأ في وشم همة الثور على النيس، والشيست، والجرانيت، والرخام والذهب والفضة والزبرجد والزمرد وعن اسم البحر الذي أبتلع الصحراء مرة، فابتلعته لما نفضت "تينهينان" سجادة الرمال!.

لم أمانع في الذهاب مع "سيرتا" إلى آخر درب لا يقودني إلى قلبها، ولم تمانع في دخولي كل سراديب مكتباتها التي لا توقف دوي محرك قطار أسئلتي...

لن أطفئ المصباح حتى تعرف "الغالية" وفائي الكبير "لحام" ولقصيدة الأرض والماء وما بينهما، تارة أغرق، تارة أخرى أطفو كجزيرة تريد أن تعرف سلطة قدميها في العمق الغائر في عتمة الأسرار!.قطعة قماش قد تغري آخر نرجسة بحقول "الغالية" لكنها صامتة ومبهمة كالمباني المأتمية وكأنها تريدني أن أعرف كل شيء عن كل شيء له علاقة بالثور دون مساعدة أي أحد.أحفر أغوار صبري، أخرج النورسة البيضاء من صدري المحموم، أتفقد أصابع الحجر الذي أنتمي إليه، والتراب الذي يتجذر في جذوري حكاية الثور الذي يشد جذور القلعة إلى جذور جلول آمان!.

قد يقولون "لحنة" بأنهم قد رأوني مزروعا قرب شجيرات حديقـــة "حدة". القضية الوحيدة التي تهمني الآن، وبعد قليل، وبعد ساعة، وبعد يوم، وأيام، وسنة، وسنين وألف عام، وألفين عام، وخمسمائة عام هي قضية الثور! لن أمل ملح قضيتي، ومرها، ونارها، وحديدهـا، وتحاسيرها، وغلها، وغليلها... سأقف مزروعا قرب شجيرات بيت "حدة" وسأدق جرس الباب طوال أيام السنة وأنا أحمل مصباحي النحاسي، وسأصبر مثلما صبرت الصحراء على حمى العصر "الميزوري" وحين ستفتح "حدة" الباب سوف أسألها بلغة الفارس البربري عن الذي يخفيه عني قدر الحروق التيفيناغية لأبلغ سدرة واحة الجواب.

"حنة" لا تريد أن تفهم هذا، تتطلع إلي وتريد أن تفهم غير هذا وتحصر الفارس في زندان شكوكها كي لا تقطف الا أشواك هواجسها!.

فتحت نافذة الضوء أكثر فبدأت أفهم...

"حدة" تكره العصر الفحمي الذي خنق سنابل البحر التي دفنت

الصحراء الكبرى وسمكة الشعر التي تشبثت بذيل القمر فألهمها روحا جديدة بعثت في عروق "إمزاد" و"التندي".

وكانت سيرتا "كعجوز شمطاء تتبعنا بنظراتها أينما ذهبنا سلطت علينا غيرة "حنة" فاختارت "حدة".

"بونة" مفتاحا لكل الألغاز.

شد البحر ضفائره الرمادية الطويلة لخصر صخرة كبيرة كي لا تذهب به الأمواج بعيدا عنا، وقفت "حدة" على رؤوس أصابع قدميها ثم سألتني عن الذي يجنبها السقوط، أجبتها: توازنك... قالت وهي توقد النار في غضب بركاني:

- لنعد إذا إلى سيرتا! فتحت بوابة فمي فخرج من جوف كهفي لهيب صرخة مدوية أحرقت ضفائر البحر الزرقاء واندفعت كالمجنون صوب العرش المالح كي أزعزع ثقتي العمياء "بحدة" و"الغالية" و"حام" وحارس وادي "غاث".

لا أدري كيف استطاعت أن تصفعني، ولا كيف مدت يدها وانتشلتني من دوامة الغرق وهي تقف على رؤوس أصابع قدميها ولم تسقط!.

أخبرتني "حنة" بأن الماركيز "كارل" سيشتري السر الملثم ليفضح الصحراء حتى يتباهى بعد حلول الخراب بدهائه الكبير في شراء كل شيء.

لعنة البيع في كل مكان، كيف الوصول إلى السر قبل فوات الأوان وعاصفة الرمال تسد كل المنافذ التي قد توصلني إلى رؤيا "تينهينان".

سأصل قبله، وسأرد شره، وستساعدني بركة "كزورينا" و"طرفاء الرند"، و"العفصة المدارية".

إهتديت إلى محراب "الغالية" فاستطعت أن أراه، نصفه خرج من شفة "تاكمازوت" ونصفه الآخر من بين أضلع وعل متوحش، طويل القامة، ملثم، يحمل في يده مصباح وضعه على جرح الملحمة فخرج السيف مبللا بعســل التراب خرجت أيضا قوافل الجان وهي تردد مقاطع من وصية "حام" . . . ، سقط خمارها، ألتقط فراشاته، غمرته أفراح الندود والشربين، لمح لؤلؤ الليل بحقول شعرها المستلقي على دمقس الحكاية فطلب يدها من كبيرهم. . . صارت ضلعا بضلعه فسماها كما شاء دمه "الغالية" ثم شيد لها قلعة بجنة الروح بمساعدة ثور أسود ومن حولها أقام رموز لمداخل رحيق السناء.

أدخل أحلامها، ريش الدجاج مبعثر وهي لا تريد أن توشم الثور بزوايا الإبر الأربع، بل تريد أن تحميه من كل خطر حتى لا ينهار غضب الجبال على صبح مرايا العرش.

أهزوجة البطحة تدفع الخرقاء، والخرقاء قلقة تقضم أظافر المدية وكأنها لا تريد أن تعرف ماسيكون، قد يذبحون الخروف فعلا قبل أن يعثروا عليه ليستجيب الدم للخيانة، قد يسبقني "كارل" إلى جذوري فيقطعها، قد تلحقه "الغالية" ، قد ألحقـه، قد لا تلحقه، قــد لا ألحقه. . . قـ. . . . ـ. . . د.

ليس من حقي أن أطفئ المصباح، وليس من حقي أن أختبئ في أسرار المباني المأتمية كي تتجنبني حشود الموت. . . أخذوا يحفرون، ضربوا الصخور، زعزعوا دوحة الأسرار، كسروا أسوار القلعة، هدموا قبة مداخيل رحيق السناء، حاولوا وحاولوا. . . تعجب الهزيع الأخير وهم لا يملون من المحاولة. . . وحاولوا. . . لم يستجب لهم أي شبر من الصحراء!.

أخـرج الماركيز سكينه اللاحم، أعتقد بأن ثورة الثور عطشى لنهم

الدم، وسيخرج عندما سيذبحون له خروف، وعشر، وقطيع... "الغالية" تراجعت... الماركيز تقدم... "الغالية" تراجعت أكثر... الماركيز تقدم أكثر... : «الماركيز سيقتلع جذورنا، الماركيز سيقتلع كل جذورنا...»، الغالية تبتعد...

«الماركيز سيهدم كل شيء يا "الغالية" سيسقط صولجان البحر، والصحراء، والنجم الأخضر، والدوح، وأديم الأرض، والسماء، والضحى، والرياح الأربع، وعرش اللؤلؤ المسجور، والمناجد، والأوطاد، وأغنية المطر، والنهر، سيسقط يا "الغالية" كبرياء الحلم وشرف الجزار، وبهجة الجلنار، وجواسق الفرح، وتاج الانتصار، يا "الغالية"...». بدأت "الغالية" تختفي عن الأنظار فبدأ ظل الشق الرهيب يظهر بقلب الغار العجيب والماركيز لا يكف عن ذبح الخرفان، الدم يجري في عروق الرمال، والرمال بدأت تتحرك... أبتلع وحش الظلام "الغالية" واختفت كلية عن رؤاي!.

نظرت من حولي، صارت الصحراء بحجم حبة رمل محمصة، وأنا جمل مقلوب على ظهره تتلذذ عفاريت العطش بعذابه، والماركيز سيتباهى بعد حلول الخراب بدهائه الكبير في شراء كل شيء وعلي أن أفعل أي شيء لأوقف الخراب!.

التقطت حجرا كبيرا ووقفت على رؤوس أصابع قدماي ورحت أهشم رأس الماركيز، سقط الماركيز ولم أسقط!. حين ألتئم جرح الغار العجيب، انطلقت أتبع خطى "الغالية" أحمل بيدي الخضراء وصايا المصباح ومن روحي تنبعث أنفاس صلاة الأرض والماء وعبير حجر الحكاية.

سهام بوخروف

* من مواليد سنة 1974 بقسنطينة.
* خريجة معهد الآداب بجامعة قسنطينة.
* تشتغل حاليا في سلك التعليم كأستاذة أدب عربي.
* عضو جمعية "أصوات المدينة".
* نشرت كتابا نقديا حول الروائي حفناوي زاغز.
* لها عدة قصص منشورة بالمجلات والجرائد.
* شاركت في العديد من الملتقيات والندوات الوطنية.

سيدة العنكبوت

عندما يجتمع أهل الجزيرة كل سنة، ينسون أشياء في بيوتهم ويخرجون نصف عراة من ألف مليون سنة... حيث يمزقون بعضا من ألبستهم القديمة ويصنعون منها عرائس تشبه فراغات الحقول... ثم يلقونها بعيدا في البحر... ويكلمون بقية طقوسهم الغريبة وبعدها يفترقون ليجتمعوا في يوم آخر قريب، يوم تعود إحدى العرائس مع موجات البحر... لتتوج هذه الأخيرة آلهة الجزيرة ويحظي صانعها بهمة العامل على الآلهة.

يحدث هذا غالبا خلال يومين على الأكثر... لكن هذه السنة مشئومة إذ تأخرت عودة العروس... وكل أهل الجزيرة قلقون... قال شيخ الجزيرة الذي كنا كلنا نخضع لأوامره ونأخذ منه النصيحة لما صيغت حوله من حكايا غريبة... قيل عنه أنه الرجل المحبوب من طرف الآلهة لإيمانه وتقواه وحكمته... و حكمته اليوم جعلته يقلق لتأخر عودة العروس... قال : يا أنتم بعضكم فساق... لابد أن يلقوا في البحر...

كان يقصد تلك العجوز التي ترفض أن تشارك أهل الجزيرة طقوس العبادة... .لها طقوس أخرى تمارسها في جنح الليل...

رجال كثيرون يتسللون إلى بيتها... بعض النساء أيضا... يقال أنها تسكن بمحاذاة البحر... ربما من أجل ذلك ما شاءت العروس

العودة... ومن اجل ذلك أيضا أمر الشيخ باللقاء العجوز في البحر... الشيخ رجل فطن حذر أهل الجزيرة مرارا منها... وأهل الجزيرة يطيعونه دائما وينفذون أوامره عدا أمر العجوز... منذ أيام روى احد السكان حكاية عن العجوز..كانت حكاية شبيهة بحكايا الشيخ... أهل الجزيرة يعيشون على تخاريف الآباء

والأجداد..كل الأشياء الغريبة في الجزيرة يعتبرونها أشياء مقدسة...الشيخ..العجوز... عرائس القصب والقماش... هذه التي تأخرت إحداها في العودة هذه السنة!؟

الشيخ مازال قلقا... و مازال يأمر باللقاء العجوز في البحر..أهل الجزيرة أيضا قلقون كانوا يتبادلون التساؤلات :

- كيف سنعيش دون آلهة؟

الشيخ مازال يأمر... و أهل الجزيرة أخيرا استجابوا...و قرروا أن يلقوا بالعجوز غدا مع مطلع الفجر... و لكن كل هذه لم يحدث لأنه في اليوم الموالي والأهالي يستعدون لرميها، أتى المد بالإحدى العرائس..كانت عروستي التي صنعتها من إحدى فساتيني..أهل الجزيرة هللوا...و كبروا... وبعضهم قال :

- قلت لكم أن العجوز امرأة مباركة.

عودة العروس التي صنعتها أنا ستجعلني أفوز بمهمة أحسد عليها... سأتولى من اليوم الاهتمام بشؤون المعبد والآلهة...صاح الشيخ : آلهتنا مباركة... سكنتها العنكبوت فيها وهي منذ أيام وسط البحر. ثم اتفقوا على أن يتركوا العنكبوت فيها...

أهل الجزيرة غريبون، يعبدون أشياء نحن صنعناها..يتبركون بها...ولا يعرفون أنها عبادة غبية أنا كنت مثلهم...و لكن عبادتي

أخذت تتراجع عندما بدأ الشيخ والأهالي يحولون اهتمامهم من عروستي إلي سيدة العنكبوت... و تحولت أنا فجأة من خادمة للآلهة التي صنعتما بيدي إلى خادمة للعنكبوت.

لماذا يا سيدة العنكبوت يزداد وهنك؟

هكذا تساءل الشيخ مرة وهو يترقب من العنكبوت ويلتمس منها أن تخلص الجزيرة من الفسق الذي عم فيها.

طبعا لم تجب العنكبوت لأنها لا تكلم... أما عروستي فقد خنقتها السيدة بخيوطها منذ أشهر... وأما أنا فكنت أعرف الجواب وأعرف انه للعنكبوت هدفا واحدا... فهي منذ أن نصبت عروستي آلهة عملت على أن تحتل مكانها وأن تصنب مملكتها وتتوسع فيها لهذا شرنقت عروستي وأخذت تبني مملكتها...

كنت كل يوم أراها تكبر أكثر... وتنسج خيوطها أكثر وأكثر... وبالمقابل من ذلك كنت أرى العجوز مازالت تتاجر بأجساد بقايا النساء.. .كنت أراهن كل ليلة متسللات متسترات بقطع قماش...كن يذكرنني بعروستي...هن لا يستطعن الإفلات من العجوز... عروستي أيضا...سيدة العنكبوت سدت عليها كل المنافذ... ماعدا بإمكاني الوصول إليها كما في الماضي... ماعدت استطيع ترتيب القماش عليها...و لا نفض الغبار عنها.

- أكرهك سيدة العنكبوت... أكرهك.

لكن سيدة العنكبوت لاتكترث...كانت تتوسع فقط... لا تقيم لي أي اعتبار رغم أني كفرت بها...و خرجت عن عرف الجزيرة...

- لماذا يا سيدة العنكبوت يزداد وهنك؟

وما زال الشيء الذي لا ينسى في كل مرة أن يبارك إيماني

يسال. . . و مازالت العجوز ترفع من سعر الليالي لان المتسللات إلى بيتها يكثرن والمتسللين أيضا. . . و مازالت سيدة العنكبوت تنسج وتنسج رغم ما أصيبت به من وهن ورغم أني أمسكت عنها منذ شهور الماء والزاد. . .إلا أنها لا تأبه بذلك بل تتوسع وتتوسع. . . و هنا يزيد من حقدي عليها ويجعلني أفكر في قت. . . !

لماذا يا سيدة العنكبوت يزداد وهنك ؟ يفاجئني الشيخ دائما عندما أقرر أشياء حاسمة. . .

ويجعلني أشعر بالغثيان عندما أراه راكعا لجلالة السيدة ناسيا عروستي. . .العجوز أيضا تؤرقني تصرفاتها المشبوهة. . .إنها تسعى يوميا لتوريط عدد كبير من النساء. . .بيتها يشبه مملكة العنكبوت. . . ولها أمر آخرا!. . .فهي مثل العنكبوت. . . كلتاهما لا تتكلم. . .كلتاهما خرساء مؤذية!!

فاجأتني العجوز مرة وأنا ألقي الزاد في البحر. . . حركت رأسها كمن فهمت سبب ما تتداوله الألسنة عن وهن السيدة. . . العجوز افتضحت أمري. . . لكن هذا لا يخيفني فهي الوحيدة الثائرة على أعراف الجزيرة. . . هي الوحيدة التي لا تشارك الأهالي طقوس العبادة. . . ابتسمت العجوز باردة خبيثة. . . تذكرت على أثرها أن أهل الجزيرة يظنونها سببا في هذا البلاد بما تمارسه من فسق. . . سارت رعشة قوية في جسدي. . . تركتني العجوز بعدها على الشاطئ وغادرت ليأتيني الشيخ يلومني لأني تركت سيدة العنكبوت وحيدة. الشيخ نسي عروستي، منذ أيام ما عدت أراها، غيبت من أمامي لكثافة نسيج العنكبوت. . .

بل المعبد كله غيب من أمامي وحلت محله مملكة العنكبوت التي أخذت تغزو الجزيرة. . . بينما الشيخ يغرقه إيمانه.

- لماذا يا سيدة العنكبوت يزداد وهنك ؟! سؤال يقرفني كلّما ردده الشيخ أمامي في ابتهال وخشوع. . .كنت أراه أحمق لان العنكبوت لا تكترث لوهنها كما يكترث له هو وباقي سكان الجزيرة. أما أنا فرغم أن العجوز افتضحت أمري، إلا أنني ما زلت ألقي بالزاد في البحر. . .وما زالت العجوز ترقبني وتبتسم في كل مرة ابتسامتها المريبة. . .و هذا اليوم ألقيت الزاد أيضا.

أكان من الضروري أن تلقي الزاد في البحر ؟!

العجوز الخبيثة هي التي كلمتني. . .كانت لئيمة غالى أبعد الحدود عندما أوهمت الجزيرة كلها بأنها خرساء

لمادا أوهمتنا بأنك لا تتكلمين؟

- بعض الصمت حكمة. . .

"بعض الخبث حكمة" أرادت أن تقول العجوز التي أدهشني خبثها ولكنها قطعت دهشتي حين قالت في ابتسامة ماكرة :

- اقتلي سيدة العنكبوت.

لكن سيدة العنكبوت لا يمكنها أن تموت هكذا دون سبب. . .أهل الجزيرة لا يسمحون بذلك هم أحيانا شرسون. . .

خاصة فيما يتعلق بوازعهم الديني. . .هم يقيمون طقوسهم على وهم كبير. . .و يتحركون عند أول خرق لهذا الطقوس.

- إخفاء الزاد هو الحل الأنسب.

هكذا راحت شفتاي تردد. . .ربما لألغي فكرة القتل من دهني. . .أما العجوز فابتسمت وقالت وهي تغادر بعيدا عني :

- أن تموت سيدة العنكبوت فهذا لا يعني أنك قتلتها.

ثم استدارت نحوي وقالت بحقد كبير :

- أكره سيدة العنكبوت.

ثم غادرت وتعجبت أنا أن أجتمع وإياها في إحساس كهذا... الحقد والكره الكبير

للعنكبوت... تعجبت أكثر أن العجوز لم تفضح سري... كان بإمكانها أن تفعل وتخلص نفسها من تهديدات الشيخ وسكان الجزيرة... ربما الآن لا يمكنها أن تفعل ذلك... أصبحت أعرف البعض من أسرارها... خرسها المزعوم...

وكرهها الشديد للعنكبوت... أنا أيضا مازلت أكره هذه الأخيرة... و هذه الأيام كرهت الشيخ أيضا لأنه كالمجنون يتمسح بجدار المعبد ويركع تحت مملكة العنكبوت ويردد:

- لماذا يا سيدة العنكبوت يزداد وهنك؟

ثم لا يكف عن السؤال حتى أواخر الليل... أصبحت أكرهه تماما ككرهي للعنكبوت وككرهي لليل، لان العجوز تفتح فيه بيتها للدعارة والفسق.

- لماذا يا سيد...

عبارة مللت سماعها هذه الليلة... و أصبحت أخشى لو سمعنها مرة أخرى أن أنفجر في وجه الشيخ كافرة بآلهته، ساخرة منه ومن حماقته... لهذا خرجت بسرعة رغم خوفي من الليل والظلام... اختلطت طرق الجزيرة أمام عيني وفي أذني، اختلطت ابتهالات الشيخ مع كلام العجوز...

- أقتلي سيدة العنكبوت...

هي عبارة التي امتلأ بها رأسي فجأة... تذكرت البحر!...كان على بعد مسافة قصيرة...اتجهت صوبه...لست أدري أي شيء اختلط في دهني من جديد وألقي بفكرة البحر جانبا...لم اشعر إلا وقدماي تسوقانني إلى زقاق مشبوه...وقفت عند آخر بيوته...لم أطل الدق على بابه...فتحت لي العجوز...اندهشت... ثم ابتسمت...ثم أغلقت الباب بسرعة...و سحبتني من يدي...مرت بي عبر مجموعة من الغرف...بعضها كان مغلقا بإحكام...و بعضها كان نصف أو ربع مفتوح...

الغرف كلها كانت تنبعث منها أصوات نساء...بعضهن يضحكن بصوت عال...و بعضهن يضحكن بدلال وتلكؤ...أما بعضهن الآخر...؟!

تذكرت وأنا أسمع كل هذا... عروستي وتساءلت لماذا لا تضحك مثلهن؟!

لم تعطني العجوز فرصة لأصل إلى سبب هذا الفرق الموجود بين تلك النساء وعروستي...أدخلتني إلى غرفة فارغة وقالت :

- ستكون هذه غرفتك.

ارتعشت من شدة ما سمعت.

- جئت إليك بخصوص سيدة العنكبوت.

قالت العجوز مداعبة :

- كنت أعلم... كلامي الأول كان مزاحا لا أكثر.

استغربت أن تمزح العجوز معي... يقال أنها ميتة... روحها الشريرة فقط هي التي تعيش...

- بخصوص القتل

قلت ذلك وكنت مرتبكة... ثم أضفت:

- لو ثم ذلك... من م ستعلق به التهمة؟

لم تفكر العجوز... قالت مباشرة:

- الشيخ...

لم أرتعش هذه المرة... عادت إلي مخيلتي صورته الضعيفة المهزومة أمام حشرة...

وتزاحمت في رأسي عبارته المقرفة «لماذا يا سيدة العنكبوت يزداد وهنك»؟...حركت رأسي وأغلقت أذني لأطرد الصوت من حولي...

- كيف يتم ذلك؟

دوت العجوز بأعلى صوتها ضاحكة.

- ما ظننتك تستسيغين الفكرة بسهولة.

هكذا قالت، ثم علت ضحكاتها من جديد...خفت كثيرا أن تلفت الآذان إلينا... حاولت غلق فمها بيدي وكنت أرتعد من شدة الخوف.

- لا تخافي...لن يسمعنا أحد...أنهم منشغلون بأمور أخرى...

ارتسمت في دهني البعض من تلك الأمور... قززتني الصورة...و قززني بيتها...و أحسست أني تورطت معها...خاصة وأنه من شرح خطتها للجريمة عرفت أن القتل لم يعد مرة بل مرتين...قتل سيدة العنكبوت والشيخ معا...تفاصيل الخطة ما

همتني. . .لم استمع إليها جيدا. . .

لكن النتيجة شغلتني، جعلتني أضيف للعجوز صفات أخرى. . . صفات المكر والإجرام والخديعة. . .

قالت العجوز :

- سيقولون بوجود علاقة بين سيدة العنكبوت والشيخ. . . سيتهمونه بالخيانة وسوء الأخلاق. . . سيقولون السيدة قتلته ثم قتلت نفسها لأنها آلهة معززة.

قلت : كيف يمكن لهم أن يصدقوا علاقة بين إنسان وحشرة ؟

قالت : أهل الجزيرة غربيون. . .يصدقون الأمور الغريبة دائما.

العجوز الخبيثة تمتلك مفاتيح الجزيرة. . .تعرف أن الشرف عند أهل الجزيرة مثل طقوس دينهم، يمكن تشويهه بكلمة واحدة. . . هي تعرف أيضا أنه لا سمعة لها. . . لا كرامة لها. . .و لا شرف، لهذا تريد أن تدنس أهل الجزيرة كلهم. . .أن تلطخهم بالعار نفسه الذي تغرق فيه

- ستموت سيدة العنكبوت.

همست العجوز في خبث. . .و تساءلت أنا في سريرتي :

- لكن. . . لماذا لا بد أن يموت الشيخ ؟

أيقظ السؤال في داخلي بعضا من وعي. لم أصدق أني في بيت مشبوه كهذا. . .بدا لي أن كل ما مر كان في الحلم. . .

طلبت من العجوز المغادرة فورا. . .وافقت. . . فتحت لي الباب ورافقتني إلى آخر الزقاق. . .قابلني الشيخ الذي بصق في وجهي. . . ضحكت العجوز! أما أنا تكسر قلبي كقطع الجليد. . . و شلت

عضلات ساقي... لست أدري كيف عدت إلى المعبد...و لست أدري كيف أغمضت عيني... لست أدري كيف وجدت نفسي بين أهل الجزيرة مقيدة... كان الشيخ يتوسطهم ويخطب فيهم بحزم:

- الآن انتهى زمن العرائس... الزمن اليوم زمن أشياء تتحرك... زمن سيدة العنكبوت هذه التي عرفنا اليوم سبب وهنها وتدهور صحتها.

ثم أضاف:

- آلهتنا لا تأمن للفساق... ساءها أن تكون خامتها فاسقة.

ثم روى ما شاهده ليلة الأمس... ثم اكفهرت وجوه الأهالي... وأخذ بعضهم يرميني بالحجارة... أما بعضهم ففعلوا كما فعل الشيخ بصقوا علي... ثم رموني في البحر.

قاومت الموج طويلا لكن لم أصمد... أخذني الجزر بعيدا ثم ابتدأت أغرق... لست أدري ما حدث بعد ذلك... لكن المهم لحظة الغرق، شاهدت العجوز تضحك ملء فيها... وأهل الجزيرة ساخطون أما الشيخ فأحيانا كان يبكي... أما العنكبوت فلم تكترث لكل ما يجري حولها لان همها كله هو أن تنسج أكثر لتحتل مملكتها كامل الجزيرة ثم تلتف حول رقبة الشيخ!...

صالحة لعراجي

* كاتبة قصة من مواليد سيدي بلعباس.
* متحصلة على ليسانس في الأدب العربي.
* شاركت في عدة ملتقيات.
* نشرت أعمالها في مختلف الجرائد.
* تهوى النشر في المجلات الالكترونية.
* بحوزتها مجموعة قصصية.

الممـرضة واللّيـل

- لم يفق بعد؟ يقترب من المريض يجس نبضه.

تجيبه الممرضة:

- كان يتلوى ألما، والآن هو في شبه غيبوبة.

يهز رأسه أسفا: حالة طارئة تستدعي نقلها إلى مستشفى المدينة لإجراء عمليـة جراحية... لا يمكننا تركه على هذه الحال دون أن نحاول شيئا... ليس لدينا مازم لإنقاذه، هيئوا سيارة الإسعاف

تنظر إليه الممرضة نبيلة مستجدية ولا تجرؤ على الكلام. يدق قلبها بين جوانحهـا خوفا.

يا للسخرية تصطحب مريضا ميئوسا منه للتعرض حياتها وحياة السائق لخطـر محقق.

هل يكون قضاؤها الذي لا مناص منه، قضاء لا تملك منه فكاكا.

لا لا يمكنها التملص.

وما سكوتها إلا إستسلام لظرف لا تملك تغييره.

نهضت نبيلة تجهز نفسها بينما حمل المريض إلى السيارة.

هاهي الشمس تنحدر وراء الجبال. رويدا رويدا... يعلو صوت المؤذن أن حيّ على الصلاة.

ويشهد الشارع الرئيسي الوحيد للقرية الصغيرة مرور جمع من المصلين. يمشـــون الهوينى منكسي الرؤوس وكأنهم يحملون على أكتافهم كل أحزان الدنيا. قرية صغيـرة ودعت عيش الهدوء والهناء لتشهد كل ليلة جوا خاصا إذ تصبح مسرحا لعمليات مريعة.

تمرّ بهم سيارة الإسعاف. لم يكن بالأمر الذي يستدعي استغرابا فقد تعودوا علـى صفارات الإسعاف والشرطة... والرصاص و...و...و...

مرت السيارة كالبرق تعلن التحدي. الظلام يلبس المدينة.من يجرؤ على مغادرة البلـدة ليلا.

فالموت يحدق عند كل منعطف. الكل يعرف هذه الحقيقة المرّة التي أصبحت جـزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية لسكان القرية. قرية ترتدي ثوب الأناقة والجمال في كـل الفصول.

كان هذا قبل أن يحكم عليها بالذبول والإنكسار... كل زاوية فيها تشهد مرور أشباح الموت.

أخذ السائق يشق طريقه بسرعة فائقة. الناظر إليه يظنه قادرا على مجابهة أي موقـف عصيب. يتمنى محمود من قلبه أن يكون كذلك. أكمل دراسته العليا منذ سنوات...علقها على الجدار...لا يحتاج الآن سوى شهادة السياقة... سائق وكفى...يحفظ الطريق جيدا ولكن من الصعب التحكم في أعصابه في بهمة الليل.يحدق جيدا.يخيل إليه رؤيـة أشباح تلهث مسرعة من وراء الأشجار.

ينتبه فجأة على صوت طرقات خفيفة خلفه.يخفف من السرعة، يفتح النافذة الصغيـرة ليسأل الممرضة- ما الأمر ؟

- تعال بسرعة المريض ليس على ما يرام.

- جننت؟ يستحيل أن أتوقف. . .و إلا سيعد موتنا إنتحارا.تدبري أمرك أرجوك.

المريض يحتضر لا شك في ذلك. تكاد تفقد توازنها.قلبها الصغير يكاد ينخلع من شـدة الخفقان.

السيارة تقتحم الليل.تحتدم بالخوف.تصعد وتهبط في المنعرجات والحفر.

بداخلها مريض يصارع الموت نبيلة تنزع عنه ما يعيق تنفسه.لتخرج روحه بسلام.

تخرج من صدره حشرجة. . .أنين. . .يعلو صدره ويهبط. . .

تمسح بجبينه ما علق من حبات العرق، وتغطي رجليه الباردتين، تزداد الحشرجة حدة. إنها سكرات الموت، والنزع الأخير.تلقنه الشهادتين.يسكن الجسد استكانة أبدية.

تموت في هذا الوقت؟ يا لعزلة الزمان والمكان تغمض عينيه وتغطي وجهه بما تبقى من الغطاء الأبيض.

تنتابها برودة شديدة تمزق أنياط قلبها. تتدثر بمعطفها وتدس رأسها بين ركبتيها.

لا تحب أبدا ركوب الخطر والحياة كلها خطر.تكاد ترى نهايتها في هذه الليلة المشؤومة.

ماذا لو نامت بجانب الميت وتظاهرت بالموت تماما كما تفعل بعض الحيوانات التي تلجأ للحيل لمجابهة الخطر. ينكمش جسمها أكثر فأكثر. برودة عجيبة تسري في جسدها، يتجمد الدّم في عروقها، يرتجف ذقنها رجفا لا إراديا. سيتوقف قلبها الصغير عن الخفقان من

شدة الخوف. ظلمات بعضها فوق بعض. ظلمة السيارة وظلمة فـــي البطاح والحقول. وهذا الميت الممدد أمامها... لعله محظوظ... فقد رفعت الملائكـــة روحه إلى السماء. لن يخشى شيئا بعد اليوم، ولن يصيبه مكروه بعد اليوم.

السائق هو الآخر غارق في هواجسه. يكاد ينسى المهمة التي كلف بها. كل ما يـدور بذهنه الآن هو ماذا يفعل في هذه الطريق، في هذه العتمة وحده دون حماية. لا رفيـــق لديه سوى تلك الممرضة الوديعة، سيكون فريسة سهلة تقع في الفخ بمحض إرادتهـا... تبا... فجأة يلمح ضوءا بعيدا... ضوءا يلمع لمدة ثانية ثم يختفي وكأنه إشارة. ماذا لو كانوا يشيرون إلى بعضهم لعلهم يستعدون لاستقباله. ماهذا؟ سيارة؟ يتذكـر في تلك اللحظات الحرجة الصالح من أعماله علها تكون جسر للنجاة.

يخفف من سرعة السيارة... يسمع لها صوت غريب. تبا هذا ما كان ينقصني. أن تتعطل...

تتوقف فجأة دون سابق إنذار.ينزل بخفة، يفتح الباب الخلفي.

- ماذا جرى؟

- مات.

- لحظات حيرة وقلق...

- إسمعي لمحت شيئا من بعيد...

- وما العمل؟

- أرى أن نتركه هنا فلا خوف عليه. ونعود أدراجنا.

- مشيا؟

- لا خيار لدينا. هيا انزلي بسرعة.

يغلقان الباب بصمت.

- هيا أسرعي. لا تخافي سأدافع عنك وإن كنت أعزا.

أي كابوس مرعب هذا الذي يعيشانه؟ الظلام يغمر المكان لكن السماء صافية... النجوم تتلألأ وكأنه النهار... الأشجار تبدو ضخمة بأغصانها المترامية. يمشيان بحذر يتحسسان طريقهما في الظلام. تكاد نبيلة تفقد توازنها. إنها تلهث تكاد تجلس مستسلمة لتعبها وخوفها.

- كوني قوية... لا وقت لدينا... أركضي مثلي ركضا خفيفا.ينظر إلى الوراء. حدث ما كان يتوقعه... لقد أضرموا النار في سيارة الإسعاف. دخان كثيف يصعد إلى السماء.

مازال طريق العودة طويلا وما زال محفوفا بالمخاطر. عواء مريع يسمع من بعيد، عواء متبوع بالصدى... إشارة مرور... إشارة الأمان بالنسبة لهم أو إشارة المغادرة. يرتجف القلب الصغير بين الجوانح في جنح الليل.

- لم توقفت؟

- لم اعد قادرة على الركض... سأنهار... ماذا لو احتمينا بالأشجار فهي كثيرة وكثيفة.

- لا أراه حلا مناسبا... الأسلم أن نعود الآن بعد خروجنا بوقت يسير. تصمت نبيلة هنيهة ثم تعاود السير...الحقول من حولهما تزداد إتساعا. تتحدى العفن وتتحدى الجفاف والجحود. رائحة الغابة تمتزج برائحة التراب المبلل ودخان السيارة التي أحرقت. الجبال تبدو ضخمة موحشة مهيمنة، مليئة بالأسرار. من يجرؤ الآن على

استنطاقها وكشف مكنوناتها. تحس نبيلة أن النار تخرج من قدميها، لكنها تجري لاهثة. . .الفرار بالنفس فرض. لا شك في ذلك. رفيقها في الهروب يشجعها. كان نكرة هذا السائق والآن هو رجل شهم. الخطر بداخله أحيا بداخله غريزة الدفاع عن الأخت وعن الشرف. لم يبق إلا القليل. لا حذار أن تتوقفي فتنهار عزيمتك. منازل القرية تزداد قربا لقد وصلا. . . أخيرا. . .

صليحة كرناني

* من مواليد 24 سبتمبر 1965 بعنابة
* عضو اتحاد الكتاب الجزائريين
* حاملة لشهادة ليسانس في القانون
* موظفة بدار الثقافة بعنابة
* نشرت عدة نصوص قصصية في الجرائد والمجلات.
* مئ أعمالها المخطوطة : "الحبق والصبار"
* شاركت في عدة ملتقيات أدبية وطنية.

الحبق... والصبّار...!

بدء السؤال حتما تورط في الكلام... والكلام ممدودا أسفل الصدر يقاوم تعرش الصبار لاتثنيه نقاط ولا فواصل... هنا كتب على الناصية تنهيدة الزمن القادم.!؟

وحده اليوم ظل يتآمر مع العيون المتلصصة... انتصب أعلى الدار، يصفق بجناحيه... ضربت الأم بيدها على صدرها ووقفت عند عتبة الباب ترقب آخر الطريق عله يرد بالخبر اليقين... بينما سارا "سي الحسين" و"يامنة" يزرعان شجيرات الصبار على طول المنحدر حتى ابتلعهما جوف المدينة.

انقشع الباب على إثر طرقات... عن وجه سمين تعلوه عينان تحسن التحديق... وصدر عريض مشدود بإحكام بحزام صوفي وأكمام تتدلى على الذراعين... عاد "سي الحسين" يحمل حلمه الممرغ في الصهد... ويطويه خلف جرح المسافات وفي يده زهرة الحبق لم تلبس بكلمة... دفع بها إليـها.أمانة أودعها لديك ريثما أعود...! تملك الصبية سكون المكان... إرتعشت حيرتها أمام الأم الكبيرة التي افترشت جلد الضأن... تقاوم رغوة القهوة التي تصر على الإندفاق فوق النار.

- إيه هذه النار الحارقة لاتطفئها رغوة القهوة أوفيض عيون...!؟

- دعيني أحمل عنك هذا الوجع لطالما حملت الأوزار...
وأنت قد جئتني حافية القدمين بين الأحجار وأشواك الصبار...!؟

- وماذا بعد النار الحارقة أيتها الأم...؟

لاشيء يساوي تنهيدة زهرة الحبق... دعي الزمن يهدهد صمتك فيهاو اطوي خلفك كل المساءات... فبوسعك أن تختاري لنفسك قدرا آخر أجمل...

- ومن منا يستطيع إختيار قدره...!؟

- تفعلين إذا جعلت الله بين عينيك...!

- ومن لي بتقليب الصفحات ومدادي منذور للتقيؤ كل ما فات... وهذا مؤخرة رأسي تنوء تحت قرع الأجراس... بالكاد أهرب من هوس الساعات ومن وجوه الأصدقاء المخادعين بعد أن غدوت طفلة تعشق هسيس الريح وحفيف أوراق الشجر. اليوم وقد انزلقت في هذه المدينة لا أعي منها غير هذا الباب... أتجنب النظر إلى الكحل الآسر في عينيك... وهذه النقوش البربرية تلمع تحت أساور الفضة في معصميك...

أيتها المرأة لماذا خلفك الوقت...؟ لتبقي شاهدا على عفونة هذا الزمن...

أنت أبدا لن تفهمي وجعي ولن تفهمي معنى أن يتآمر عليك الجميع.

إفهمي عني يا صبية أنا أصل الحكاية بدء البداية وختم النهاية... أنا امرأة لكل الأزمنة... أنام في ضفائر الجازية كما تنام الجازية في ذاكرتنا نطلقها متى نشاء لتهرب مع الرجل البربري ونبني

قبة وصخرة "لذياب المخبول" ونجعله ولي لأنه ففي أن ينام على خصرالجازية... وكذلك نأسرها متى نشاء.

فمدي يديك وأطلقي ضفائرك...الليلة ستخضب بالحناء...!!

حتى ورق الجنة التي أهديتنيه لن يدحر الحزن الذي يسكن شراييني... فلست أنا بسيدة نساء قومي... ولكنني ولدت حرة وسأنطلق حرة

من نقطة تفكيري... حتى وإن فرض علي حق الانتظار... بعد أن غيبني "سي الحسين" في بثور هذه المدينة أشهد كل يوم على تقيحها... واصطفى لنفسه حق الإختيار وراح يقاوم لوحده تعرش الصبار... فهو ممدود أسفل الصدر أين كتب عليه تنهيدة الزمن القادم...!

عائشة بنور

* بنور عائشة "بنت المعمورة" من مواليد 1970 دائرة الحسا سنة "ولاية سعيدة".
* تكتب القصة القصيرة وقصص الأطفال.
* ساهمت في العديد من المؤلفات (موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، موسوعة الأمثال الشعبية... الخ)
* فازت قصتها "عذرية وطن كسيح" بجائزة في "فوروم" نساء البحر الأبيض المتوسط. صدر لها عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق قصص للأطفال (06 حكايات شعبية...).
* ولها الإصدارات التالية:

- نساء يعتنقن الإسلام (دراسة)
- الموءودة تسأل... فمن يجيب ؟ (مجموعة قصصية)
- مخالب (مجموعة قصصية)
- قراءات سيكولوجية في روايات وقصص عربية (دراسة)
- السوط والصدى (رواية)

صرخة الحيـاة

قال تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت...﴾ صدق الله العظيم.

فرحة عارمة أحسبها تتسرب بداخله... تبعث فيه الطمأنينة والسعادة من جديد... نحسسه برجولة عائدة وغرور احتواه في لحظة كبرياء... أفكار تراوده وهو يخطو الخطوات نحو مزرعته الصغيرة... بفأس تعبت كتفاه من حمله واخشوشنت يداه من شق التربة... تيقن أخيرا أن أيامه المتتالية المتعبة التي اختزلت آلامه وأحلامه وقهره ستختفي... والى الأبد.

لقد قرب موعد الولادة وهو يتطلع بشوق ولهفة إلى المولود الجديد... طفل يحمل اسمه... امتدادا لرجولته... طفل يحمل تعبه... طفل يحمل أحلامه وآلامه... طفل يخفي خجله ويرفع رأسه أمام أمه التي ما فتت تسمعه الكلام الجارح وتحثه على الزواج من أخرى تلد الذكور، وأنه رجل بإمكانه أن ينجب الولد كبقية إخوته...

كانت تقول له دوما :

- خديجة رحمها يلد البنات...!!

وكأنها تطعنه في رجولة مسلوبة فيخيم صمت رهيب ينقص من قدرته وهي تتابع إلحاحها وتذمرها :

- ما رأيك في سمية ابنة عمك... ستنجب لك الذكر الذي حرمتك منه زوجتك؟

فجأة تذكر بناته وقد تنجب زوجته مرة أخرى بنتا فتوّلد الألم من جديد والخيبة قطعت دربه وتجرّع تنهيدة الحسرة التي تلاحقه والحظ العاثر الذي يلازمه ويطارده بكثير من العناء الذي أثقل أيامه.

نسي "وليد" أنه بخجله ألبس بناته السبعة رداء العار وأسقط على نفسه رجولة قوية تحميه من

ذل العائلة وقهر الزمان... أنساه الجبن أنه رجل بإمكانه أن يخرس الألسن إلى الأبد وقد تناسى أنه هو من صنع هذا المجتمع بسلطة جائرة وأبوة كاذبة ورجولة مزيفة... لم يرحم طفولتهن وتوسلات زوجته الخائفة من طلاقها... لم يرحم سكاكين الألم التي تجرحها من عيون أمه وزوجات إخوته...

كبر جرحها وهي تنكي على آلام الخوف من المجهول...

استوقفتها تلك الكلمات الجارحة التي كانت تسمم بدنها فأطلقت العنان لألمها وصرخت صرخة قوية... مدوية بها أرجاء الغرفة فنزل المولود الصغير بصرخة الحياة وقد كسا العناء وجهها وأخذ التعب والإرهاق من جسدها النحيف قوتها... حدقت في وجوه الممرضات بجانبها بعدما استفاقت من غيبوبة الوجع تترقب الخبر.

تهنئها الممرضة قائلة:

- الحمد لله قد رزقت بطفلة جميلة.

نزل عليها الخبر كالصاعقة وهي تنظر إليهن باندهاش وسقطت دمعتان تجرح خديها المصفرين...

ضحكت الطبيبة مخففة آلام الولادة وهي تقول لها :

- أتبكين من الفرحة أم من الألم ؟

ردت عليها الممرضة وهي تغرز حقنة التخدير في الوريد :

- كيف لا تفرح وقد رزقت طفلة جميلة بعد ولادة عسيرة. . .

صفعها قولهن وغاصت في غيبوبة تمنت أن لا تفيق بعدها.

سمعت العجوز في البهو صراخ الطفلة فضربت الأرض برجلها وهي مقطبة الحاجبين تقول لولدها :

- انه صراخ بنت. . . بنت. . . بنت. . .

عادت الممرضة بابتسامتها مباشرة الزوج بأن الله أكرمه بطفلة جميلة. . . وقبل أن تكمل قولها رفع صوته متذمرا :

- إنها طالق. . . طالق. . . طالق.

في اليوم التالي ليست الأرض حلة بيضاء وأشرقت شمس الصباح تطبع قبلة لؤلئية تغازل بها بياض الأرض وانتظرت خديجة زيارة زوجها. . . يوم. . . يومان. . . فجاءت العجوز تنذرها بيوم موعود تخبرها أن ابنها طلقها البارحة، وأن عودتها إلى المنزل مع ابنتها استحالة. وقع عليها الخبر كالصاعقة وآلمتها الغصة في حلقها وانتظرت الليل بعدما اسودت الدنيا في عينيها ولا حقتها الأفكار الجهنمية وقد سكنها اليأس والإحباط. . . حدقت النظر في الصغيرة. . . نظرت من حولها. . . سحبت الوسادة وكتمت بها أنفاس الصبية المولودة فكانت آخر نفس من صرخة الحياة.

عايدة خلدون

* من مواليد 30 أكتوبر 1968 بالجلفة.
* متحصلة على شهادة ليسانس في الحقوق.
* تشتغل كمفتشة ضرائب.
* نشرت نصوصها في العديد من المجلات والجرائد.
* نشرت مجموعة قصصية بعنوان "غجرية ومطر" سنة 1999.
* نشرت رواية بالقاهرة بعنوان : " وحده يعلم " سنة 2005.
* بحوزتها عدة نصوص جاهزة للنشر.



... واستيقظ الجرح

نهضت ككل يوم مبكرة... أتنفس الصعداء بعد رحيل الليل الذي جثم على صدري ساعات طوال... كاد يكتم أنفاسي أرى جدتي مستسلمة بلذة لنوم عميق... اشتعل غيظا كلما رايتها نائمة... أكاد اصرخ فيها... وأمزق بحقد خيط النوم الثقيل الذي يعانقها كل ليلة... تنغرس في صدره غير آبهة بي وبما أعانيه كل ليلة... اكتم ثورتي بعد أن رأيتها تتماثل للنهوض...

تقول في حنان :

صباح الخير يا ابنتي...

تنهض في هدوء... بدأ يعجزها ثقل السنين... تجاعيد جراح قديمة انحدرت باحتشام على تقاسيم وجهها تدل على أثار جمال قد ولى... بدت شعيرات أصرت في تحد أن تبقى بيضاء رغم مداومة جدتي على الحناء... يشع من عينيها بريق غريب مصر على الحياة... إلى متى وكومة السنين هذه تتدحرج في ثقل، وقد أشاح الموت عن جسدها الهرم. أرتشف قهوتي بسرعة... ألبس ثيابي بدون عناية... اخرج...

ألتقي بالشارع في موعدنا الأزلي، متلهفة لرؤية ما فعلت به الأيادي الآثمة لليل طويل مارد... بصمات على وجهي أنا ظاهرة... عيناي ذابلتان... تحيطهما هالة زرقاء تحجب بغيرة

عيني الجميلتين في انتظار عودة الليل. لاشيء تغير نفس الهواء الملوث... نفس البيوت القابعة في ذل وسكينة... نفس الناس اللاهثين في لامبالاة. اتجه بخطى حثيثة إلى المستشفى... إحساس شرير بدا ينعشني ويصور لي بحقد كومة من هشيم، وقد تهاوى المستشفى وسقط على آخر حجر... لم تدم لحظة الانتعاش... تلاشت في خيبة مع رؤية البناء العالي في كبرياء يغازل السماء. دخلت التقيت بزملائي... غبنا بعض دقائق قبل مباشرة العمل في حديث فارغ... جمعت شمل أوراقي المشتتة... باشرت العمل برتابة... غرقت في مشاكل المرضى التي لا تنتهي... ينتهي اليوم رتيبا مملا كسائر الأيام... أعود إلى البيت يائسة الخطى... أدير المفتاح في القفل... ينفتح الباب بسهولة، كتابوت حديد انتظر بلهفة رفيقي الأبدي... ليعصرني بين ضلوعه... ننزلق سويا في عوالم التخدير والنسيان... ينسدل علينا ستار السنين في ازدراء ولا مبالاة... تتحرك أوتار حزينة بداخلي...

يرتفع لحن جرح نائي بعيد لم يستطع صخب السنين أن يطغى عليه... ينزف ألما ومرارة باستمرار... اسمع صخبا ببيتنا الذي كان محرابا للهدوء والسكون... من الذي اخل بهذا السكون الخاشع... ادخل الصالون... أرى جدتي تتحدث في حيوية ومرح وكأنها عادت عشرين سنة إلى الوراء مع رجل تحتضنه بنظرات دافئة سعيدة... رأتني... أسرعت نحوي قائلة بنبرات تشع مرحا وسرورا:

- لقد عاد أخيرا ولدي... لقد عاد أبوك... تسمرت في مكاني... يا إلهي انه فعلا أبي... ملامحه لا تزال عالقة بذهني...

يقترب مني بعض خطوات... يتأملني لحظات... يضغطني بشدة بين أحضانه... آه... كم كنت بحاجة إلى دفء أحضان أب

في الليالي العسيرة الباردة... حيث كان عويل عواصف أخرس يزمجر في أحشائي... أما الآن فقد سرى البرد فغي أوصالي... أصبحت قطعة من الجليد... كم كنت بحاجة إليك وأنا أجتر دموعي في صمت... وأمي... أمي قد هدها المرض... فاحترقت كالشمعة أمامي دون أن أستطيع لها شيئا... أما الآن فقد جفت مآقي من الدموع... جراحي أصبحت عجافا وأبلغ من أن تضمد...

- لقد تغيرت كثيرا... لم أكن أتصورك بهذا الجمال أما أنت لم تتغير كثيرا... سوى شعيرات بيض بدأت تتسلل إلى راسك... خيوط تجاعيد دقيقة بدأت برسم تعب السنين على وجهك الوسيم... لماذا عدت بعد كل هذه السنين... كاد أن يريحني النسيان من ذكراك وذكرى صفعاتك، التي كانت تتهاوى في جبن على خدي أمي المسكينة كل مساء، بعد أن تعود وقد لعبت الخمرة براسك وتلعثم لسانك... كنت التصق بذعر بثوبها... يرفعني عاليا... يقهقه برعونة ليشهد السماء عن قوته وجبروته... تنتشلني أمي بلهفة من يديه المتجبرتين... تضمني وتبكي حظها العاثر فغي صمت... ثم يدخل غرفته لينام وقد أكرمنا بعفوه... صحوت يوما على غيابه... صوت أمي يقول في هدوء غريب...

- لقد رحل إلى فرنسا من اجل العمل...

لم تعد تصلنا به سوى حوالة دراهم كل شهر... انقطعت نهائيا بعد ذلك... لتصلها ورقة الطلاق... تعود إلى بيتها...بكل بساطة كما خرجت منه، عندما أعطاها أبوها لأول خاطب... زفت بزغاريد وهرج ومرج... وعادت بورقة الطلاق... وذكرى صفعات قاسية... وطفلة عالقة بأطراف ثوبها... ووصمة عار على جبين أسرتها المصونة لكونها أول مطلقة في الغائلة...

راحت تجتر خيبتها في يأس... تعلمت النزيف في صمت... وأنا تعلمت التفاني في حبها... علقت بقلبي زهرة جميلة حزينة مغروسة في شغاف قلبي... اسقيها برذاذ حب ودمع، كلما رأيت الزهرة الصغيرة عطشى... حزينة ويائسة... عملت جاهدة لأواصل تعليمي، في وسط ما أنا تكبر الفتاة ويشتد طولها حتى تزف لأحضان رجل... كانت تريد لي حياة أفضل ومركزا مرموقا يحفظ لي كرامتي: ولا يجعلني تحت رحمة رجل ما... كانت تحلم أن أصبح دكتورة ويناديها الناس أم الدكتورة... تمكنت من الوصول فعلا بعد تضحياتها الجمة... لكنها تعثرت في منتصف الطريق... رحلت إلى الأبد... تركت الدكتورة وحيدة حزينة... تداخلت علي المسافات وضيعت الطريق... كرهت نجاحي... لم يعد له طعم بدونك فقد كنت قبلة عطائي... كم افتقدك يا أمي واحن إلى رائحة صدرك الدافئ في لحظات البرد والألم... انتبه فجأة لأبي... التقط في موجة ثرثرته :

- لقد كنت أتطلع بشغف لأخباركم أنت وأمك... انك تشبهينها لحد بعيد... لقد كانت امرأة رائعة ولكن...

أتابع انفراج شفتيه ولا أرى سوى يديه المذنبتين اللتين تهاوتا بضرب مبرح على جسد أمي المسكينة... فاضت دموعي في حرقة... توقف أبي عن الكلام مشدوها. جريت إلى غرفتي... صفعت بابها بغضب... ارتميت على سريري متهالكة... أخذت صورة أمي... احتضنتها... كتمت في صمت شهقات متقطعة... بدأت أنفاسي تنتظم... نمت صافية الكآبة بين أحضان أم الدكتورة.

عقيلة رابحي

* من مواليد 10 أكتوبر 1980 بالجزائر العاصمة.
* كاتبة وصحفية.
* تحمل شهادة ليسانس في إدارة الأعمال.
* تحمل شهادة تقني سامي في الإعلام الآلي.
* نشرت في مختلف الجرائد
* بحوزتها عدة أعمال قصصية غير منشورة.

نهاية مأساوية لزمن أسطورة

البارحة فقط سيدي العقيد صحوت من غيبوبتي حينما توقف شريط الذكريات عند تلك النقطة أين تسمرت في مكاني وبادلته النظرات بكل ذهول، كنت أتأمل ملامحه الشقراء وأسبح في مقلتيه العسليتين، لست أدري كيف ملكت تلك الشجاعة ولا تسألني عن المدة التي قضيتها وأنا مبهورة بجسده الضخم ونظراته الحادة. . . كنت أنا وصديقاتي نسير على حافة الطريق فجأة سمعنا وقع الحوافر يهز الأرض حولنا، تملكنا الرعب تجمدت كل واحدة منا في مكانها وأخذنا نترقب قدوم الموكب بفارغ الصبر، قلت في نفسي:

- ترى ماذا تحمل لنا هذه القافلة من أسرار ومفاجآت؟

لست أدري ماذا حدث بعد ذلك فلقد عادت الصورة الأولى بسبب خلل تقني إذا شاهدت إحدى الصديقات وهي تهمس للأخرى لابد وأنها قالت:

- تلك الفتاة المجنونة تسعى إلى حتفها وتجرنا معها بنظراتها المحدقة، فأجابتها الأخرى:

- احذري أن تمتد أصواتنا إلى مسمعه!

أعرف سيدي أنك متشوقا لمعرفة حكاية القافلة لا عليك فذاكرتي ما زالت تحتفظ بأشياء كثيرة. أتريد أن ترى آثار يد حمراء على حائط أبيض في حينا الذي يحتفظ بالكثير من الآثار التي تعود إلى عهد

واحد، خذ مثلا النفق العظيم الذي أوجد خصيصا لإخفاء ما يصطاد يوميا. آه. . . تحضرني الآن صورة الأشقر وهو يصفع أخي زهير عندما رسم هذا الأخير نجمة وهلالا بلون أحمر على مساحة من البياض والاخضرار ما زلت أذكر الانتفاضة الكبرى لقبعة أبي الزرقاء بعد عامين من الغياب عاد صاحب اليد الحمراء احتضن أمه معبرا عن اشتياقه لها، راحت تحضر له الشواء بيديها الناعمتين ريثما يتجول في حيه ويتسامر مع أصدقاءه. . . أراهن أن السبب الحقيقي وراء اختفاء الأشقر هو تمادي مسدسك الأسود. ما رأيك سيدي لو نجول معا في صخب الزمن الجديد أين يشدنا الحنين إلى ماض لم يحن بعد أو مستقبل مر علينا مرور الكرام نصافح كل من توسد التراب حتى نصل إلى أمنا. لقد أرغمتها الأعوام على تضميد جرحها ومقاومة أوجاعها فجعلتها تحذر من مغبة الذكريات. حين تتصاعد إلى أنفها رائحة الشواء الممزوجة برائحة ابنها :

على حين غرة يتعالى الصراخ والعويل تتعالى الزغاريد يهلع الجميع، تخرج الأم فتراهم يفرون والجدة المسكينة تعدو خلفهم.

كمال الروجي. . . اذكر يوم راقبته خلسة وهو يمر أمام بيتنا أخذت أحملق في عينيه وأهمس في ذاتي بأسوأ الكلمات عندما التقيته أنا وصديقاتي صهوة جواده سخر منا وقال بالحرف الواحد :

- إن جميع من يقطن العربية سيصبح تحت زعامتي حتى الفئران التي في بيوتكم. . . ثم أطلق ضحكة مدوية ومضى. . .

أخيرا تنفست الصعداء بعد أن نزلت من تلك الحافلة التي حملت كل الأجساد المرهقة، كنت أنظر إلى السماء وهي تتلبد تدريجيا بالسحب حتى اسودت زرقتها، ضاعفت من سرعتي، تصبب العرق من

جبيني، سمعت صوتا يناديني، أدرت رأسي فإذا بصديقتي سليمة تحاول اللحاق بي، غمرتني السعادة وأنا أراها مجددا، تسابقنا إلى بيت الجدة، وعندما وصلنا بدأ المطر ينزل بغزارة، طرقت الباب طرقا خفيفا، وضعت عيني على أحد الثقوب الموجودة في الباب فرأيت جدتي قادمة بخطوات متعثرة وسط برك المياه التي بدأت تتشكل في فناء الدار.

- من الطارق ؟

- هذا أنا يا جدتي افتحي

- مرحبا بكما يا ابنتاي تفضلا

عندما وصلنا إلى عتبة الباب أثرنا رعب القط الأسود الذي كان يبدو مستعدا للإمساك بفريسته، لقد فوتنا عليه الفرصة.

ثقل لساني وجف حلقي وأنا أجيب عن الأسئلة الروتينية لجدتي :

- كيف هي أحوالهم ؟

- بخير

- هل مازال الصداع يسكن رأسها وهل نسيت أخاك ؟

- وكيف تنسى الأم ابنها يا جدتي.

- وماذا عن الآخر ؟

- لم تصلنا عنه أية معلومات.

- مازال الخطر يحدق بكم أليس كذلك ؟

اهتديت إلى فكرة تخلصني من فضول جدتي ومن أسئلتها المملة

- شغلي التلفاز يا جدتي كي تتابعي معنا الحلقة الأخيرة من

مسلسل... صمت رهيب خيم على الغرفة، شدت أنظارنا إلى الصندوق العجيب، إنهم رجال البوليس.

- يسوقون صاحب العيون العسلية ويداه مكبلتان بالأغلال يحاول الإفلات منهم فلا يستطيع وهكذا يخمد إصراره فيتوقف عن المقاومة لكنه يتوسل إليهم لقبول طلبه الأخير.

خاطبه قائدهم بلهجة ساخرة :

- اطلب ما شئت يا علاء الدين

تقدم الشاب بخطوات متثاقلة رفع بصره إلى السماء وقال :

بلغوا سلامي إلى أمي التي افتقدتني منذ عشر سنوات، أعترف بكل جريمة ارتكبتها حتى أخي أنا الذي قتلته وتركته يتحسس دمه النازف بيده، وقبل أن يكمل الشاب كلامه اخترقت جسمه عشرون رصاصة. أحداث الحلقة المؤثرة جعلت الدموع تنهمر من عيني جدتي راحت تبكي وتقول اللعنة عليهم أصحاب القلوب القاسية وألف لعنة على وسامته، أما أنا وصديقتي سليمة فانفرنا ضاحكتين وأخذنا نهدئ من روعها ونقول "لا تقلقي يا جدتي العزيزة فإنهم يمثلون فقط".

فائزة مصطفى

* من مواليد الغرب الجزائري.
* تخرجت من كلية الإعلام والصحافة.
* عملت صحفية في صحيفة الخبر الأسبوعي ومجلة المثقف العربي.
* فازت بجائزة البحر الأبيض المتوسط بدرجة الامتياز سنة 2005.
* شاركت في عدة ملتقيات عربية ودولية في مصر ولبنان وفرنسا والبحرين والمغرب وتونس والعراق.
* نشرت نصوصها في العديد من المجلات الأجنبية والوطنية.
* أشرفت على العدد الثاني من مجلة "الكتاب" الصادرة عن المكتبة الوطنية.
* صدرت لها مجموعة من النصوص في كتاب خاص بورشات الكتابة الأدبية الشابة في الوطن العربي.
* نشرت نصوصها في أنطولوجيا الأدباء الشباب العربي.
* لها مجموعة قصصية مخطوطة عنوانها "لا".

عطر الكاليتوس

بدا الغيث يلامس وجه الأرض الملوح بشمس الصيف الحارقة، وتسرب إلى أنوفنا عطر أوراق "الكاليتوس" المبخر من أشجار باسقة تتحدى صفائح الأسمنت المنسوجة على أطلال منازل قديمة كانت هنا، ترسم للمكان زواياه وتسدل ظلالها على ماضيها... ذاك الحوش يجذبني نحو الزمن الجميل، وتشدني إليه أوراق الكاليتوس الغارقة فيها قدماي... أمسكت بحفنة منها، وارتشفت عطر الذكرى. هنا لعبت، ونقشنا أول الحروف التي تعلمناها على جذوع الشجر، خربشنا الحيطان، وملأنا الشارع ضجيجاً وعبثاً... وفي ذاك الركن الخشبي لدكان خالي "عمر"، أتت "وسيلة" ببصل و"فاطمة" بماء وملح. أنا كان يجب أن أتحايل على "الجانية" وأقسم لها أن جدتي من طلبت حبة طماطم... طبخنا في علبة صفيح وبدا الأكل الملئ بالغبار والرماد لذيذاً جداً... ولحد اليوم لا يعرفون أن علبة الصفيح تلك، أتيت لهم بها من صندوق القمامة! وأنا أسافر إليهم هزتني أميّ لندخل بيت الجيران. مازالوا يذكرونني، يحبونني منذ عشر سنوات!.

تغيرت حياة كل واحد مناً. هناك من تزوج، وهناك من ترملت. من مات ومن هاجر. ولكن ظلَّ لكل واحد مناً مكان في قلب الآخر... ونحن نرتشف القهوة بالمسمن بالعسل، نجتر مغامرات الماضي. همت في واقعي. كل تلك الصداقات وكل ما أحسبها روابط متينة بالأصدقاء في العمل والمدرسة، لن تتربع في قلبي بقوة وبراءة

أصدقاء طفولتي... مع أننا لم نعرف بعض ولم ندرك ما يربطنا، ولكن ظلَّ الحب يجمعنا، لم يزعزعه الفراق ولا الرحيل... تسليتُ لأول مرة بالاسترسال في الحديث. كان عندي الكثير لأحكي عنه، كما أن روحي أحبت المكان، فتنفست من أعماقي وارتحت... ضحكنا حتى دمعت عيوننا... تذكرنا قصة الشيخ "زروق" الذي لم تخنه شيخوخته لما طاردنا إلى خارج الحيّ، حين دخل الدكان وسمعني أهمس لصاحبتي: إنَّ زوجته أصغر منه بكثير...

ثم حكت لنا الخالة "يمينة" عن قصته العجيبة تلك. حينما استعان بالأرواح الشريرة كما أشيع، ليأتي بها من بيت زوجها ليلا حافية القدمين، بمجرد ما مرت عليه في صبيحة اليوم نفسه... كنت أتأمل في كل واحدة منهنَّ أرى إذا ما تغير لون شعرها أو ظهرت تجعيدة ما على وجهها. شكل الأولاد الذين خلقوا. كنت أستطيع أن أرقص وسطهم، أن أسكب فنجاني على الصينية وأضحك بأعلى صوت. أن أذهب إلى الحمام دون استئذان. لم تكن لجلستنا طقوس تحكمها، ولا في قلوبهم ضغينة ما... شعرت بالحنين لأهل حارتي، وتبا للذي أخذني منهم. كل ما حققته لا يضاهي ذرة سعادة وسط هؤلاء البسطاء الناجين من بطش المدينة، كالخرائد تشع نفوسهم عذرية ونقاء.

استعدت كذا حكاية من مذكرات الماضي. تنجذب عيناي بين اللحظة والأخرى نحو السور المقابل الذي يفصلنا عن منزل الطفولة، حيث ارتشفت الحنان والحب إلى غاية يوم وفاتها...

تعلقت عيناي بعيني خالتي "فاطمة" وهي بقهقهاتها تلج بالحديث لأميّ، وسافرت بهما لذكرى ذاك اليوم حيث عانقتني بشدة أمام مدخل بيتنا. كانت تصرخ في أذني الصغيرة :

- "... أمك ماتت، خلاص ماتت"...

- " ما معنى ماتت ؟؟ "...

كان ذاك اليوم الذي عرفت فيه أن جدتي لم تكن أميّ...

ولن تمسح عن ناظري صورة أخوالي وهم يحملون نعشها على أكتافهم، فارتميت على أرجلهم أتوسّل إليهم أن لا يأخذوها منيِّ... منذ ذاك الحين وأنا يتيمة، لم أحس بالسعادة قط وسط أبي وأميّ... لم يمر يوم إلا وتشاجرا فيه أو أنّباني...

- " مزيداً من القهوة ؟ "...

عدت إلى دائرة مجلسنا وأنا أتحسس إذا ما كشفت دمعة عن استيقاظ الجرح في أعماقي، الذي أحسبه لم يندمل ولو بيع المنزل الكبير، إلَّا أنه سيظل في ذاكرتي بزواياه وغرفه وبلاطه القرميديِّ، تتوسطه شجرة الليمون حيث كان جدّي يرتل القرآن. فيما الأرض تكسوها أسراب الحمام التي تحلق غادية عائدة كلما خرجنا إلى الحوش نتناول الشاي في الضحى... كم تسليت لما أمطر نفسي بفتات الخبز وهي تهاجمني، فتطاردني جدتي بوابل من السبِّ. ورغم ذلك أعيد الكرة ما إن أعرف أنّها منشغلة بالداخل ثم أنظف المكان بعدما أتأكد أن أعصابها هذه المرة لن تدفعها لتأنيبي فحسب...

- "أما زال الحمام يعود إلى منزلنا القديم..؟ ".

تفاجأ الجميع بسؤالي الخارج عن مواضيع حديثهم...

- " قليلاً من يتذكر المكان... ".

- "وماذا عن شجرة الليمون...؟ ".

- " ياه! لقد ماتت منذ عشر سنوات".

تملكتني رغبة جامحة في أن أكسر الباب الموصد بالحديد، أو أقفز من على الأسوار، يشدني الشوق لملامسة حيطان البيت المهشمة أو الدوران في غرفه، وغرفتي كانت لي ولجدتي. . . لكن المنزل لم يعد لنا..تنهدت أسفاً وحسرةً، وجُلت ببصري في حوش الجيران من خلف الستار الشفاف لغرفة مجلسنا. كان هناك صهريج ماء منذ عشر سنوات. كان حمزة يلف حوله مبتهجا لصراخي وهو يرميني بالماء، لم نكن ندري أنَّ تلك القطعة النقدية في قاع الصهريج تجذبه للعالم الآخر. منذ ذلك الحين وحمزة صغير لم يكبر بعد...مضت ساعاتان بسرعة البرق ولم يتبق إلَّا بضع لحظات لإقلاع الطائرة.

كانوا يبتعدون عنّي مودعين. وأنا أرقبهم بعيون دامعة من خلف زجاج السيارة، حتى بدا المطر غزيراً وبات فراقهم عزيزاً، لم آخذ منهم إلَّا رائحة التراب الممزوج بذبال أوراق الكاليتوس التي تتعلق بأنفاسي، توقظ في رائحة الذكرى. . .

فتيحة سبع

* من مواليد 17 مارس 1970 بمدغوسة ولاية تيارت.
* حاصلة على شهادة ليسانس في علم المكتبات.
* تؤمن بالكتابة كالتزام ومسؤولية.
* نشرت قصصها في مختلف الجرائد والمجلات.
* حضرت عدة ملتقيات وطنية.
* بدأت الكتابة في الثمانينات.
* لها عدة أعمال جاهزة للطبع.

وشم على صفحات الماء...

هناك...

بعيدا عن المدينة الغارقة وسط سحائب الفوضى والازدحام، الجبل باذخ يمتد باسطا ظله على مجموعة أكواخ مرصعة بشيات البساطة تذامرت منذ أمد بعيد فوق ربوة تطل على جدول تجري مياهه زلالا، تلتف حولها أجم كثيفة ألبستها زاهية الزهر يمتزج شذاها بمياه النهر الصافية مشكلة لوحة طبيعية يتحدر من وجنتيها جمال وحشي أخاذ يتسربل في هدوء ناعم على المكان، ينعش النفوس المكبلة بالعنت ويملؤها بهجة وحبورا... فتزداد رغبتك التصاقا بدشرتك... رحت تلاطفها... توليها الرعاية والحب... تبتدع من ردهتها الفسيحة شعلة الطموح مع كل يوم جديد تشره وتتوثب إلى الأفق معبأ بنبض الوفاء... ممتلئا بحب التربة... متلذذا رائحتها الطيبة المعجونة بدم أبيك ورفقائه الشهداء... يستيقظ الصباح مسربلا خيوطه النورانية على خرائط الطبيعة إشعاعات وهاجة تخترق الأكواخ... تلامس أهداب النيام تدغدغ أجسامهم، فينتفضون في إشراق... يتوزعون على جهات مختلفة من صعيد هذا المكان في حصاد قوتهم اليومي، أما أنت لا تستطيب لك حركة قبل أن توجه خطاك إلى النهر... تجلس أمامه ردحا من الوقت...

تتملاه بنظرات تبزغ حنينا وتشتعل شوقا، فأنت الوحيد الذي

تدرك معانيه في هرج القوم وتفهم أحاديثه، يخاطبه الأنا فيك وأنت على ضفافه تقرأ وشمه وتفك طلاسيمه وتستمع إلى تراتيله، يقول له: " مزيدا من البوح أيها النهر... تنفس في ذاتي، فأنا جزء من امتدادية الزمن الذي يحيط بك... أنا أنت وأنت أنا والسر يدب كالروح بيننا... أنت موهوس وأنا محبوس وليبقى ما بيني وبينك جنون لعشق مرهون، أقسم أنني لا أنقسم ولا أفشي هواجسك إلا في آخر المطاف " هذا السر الذي سكنك حديثه والتبستك صورته حتى سماك أهل الدشرة " بالنهراني المجنون "، ولأنك لا تريد الإصغاء إلا لسيمفونية الحكايا المنبعثة من أعماق النهر دفئا ولا تلحظ إلا خبايا الجبل وأسراره الباطنية تمعنا لم تأبه لصوت المداح الذي راح يتوزع صداه على سكان الدشرة قبل هنيهات من خروجك وهرع نحوه الجميع متذمرين في حلقة يلفها صمت رهيب يضج حزنا ارتسم على ملامحهم يشي بأن المكان عرضة لكارثة فضيعة، فغاص كل واحد منهم في بحر التخمين للاتفاق على خطة يستنجدون بها سرعان ما قطعت حبال تفكيرهم لامبالاتك بيد أنك اصطدمت بالعيون تتطلع إليك بنظرات حارقة أعقبتها كلمات صاعقة راحت تنقض عليك

مخترقة جدار سمعك:

- انظر... المعتوه كعادته لا يريد أن يبرح هذا المكان حتى في هذا اليوم...

- يسكنه عفريت النهر، فأخضعه لتقديسه !...

- تعلمون أن وجهة النهر أصبحت قبلته المقدسة، لا يروقه أي عمل قبل أن ينزل إليه... يقضي هنيهات يتأمله!...

- عرفناه يعشق أرضا يعتاش منها النعم والخيرات، فلماذا يسنلذ ربط علاقة مع نهر لا يغنيه من ضرر...؟

- لكن اليوم هو لتحديد مصير أهل الدشرة جميعا، ألا يدرك خطورة ما أعلنه المداح... ؟

- وماذا تنتظر من مجنون؟ !

- المسكين، النهراني... لذلك تناجى الجميع عن خبر جنونه... سيموت هنا...

- نسأل الله شفاؤه...

تشعر بسهام تنغرز حادة بأعماقك... تصرخ في صمت... تكظم الصدى، يتفجر النزيف عنيفا، اعتصرت ذاتك ألما... تفيض مآقيك بالعبرات التي خنقت في حنجرتك العبارات... نهضت في ذهول مسافرا بنظرك عبر صفحات الماء... تغوص عيناك في أعماق النهر... تشعر بتيار مغناطيسي يجذبهما بقوة...

تمعن التحديق... يبكي قلبك محترقا... تطلق أعماقك صهدها الملتهب داخلك نارا... تقف سادرا بين مخالب القلق تنهشك نهشا تنبجس ملامح والدك في لوحة ذاكرتك الحبلى بالحنين... تشعر بالدم شلالا ساخنا يندلق عبر أوردتك... تهيج خواطرك أمواجا هادرة... تنذ عفك تنهدات لاهبة محاولا أن تسمع الجميع حقيقة الحبل السري الذي يشدك إلى النهر، الحقيقة التي صنعت منك مجنون الدشرة وفصلتك عن أهلها... آه لو تدرون يا من تناسيتم جراح الماضي... تنفجر شفتاك بهذه الكلمات انفجارا مكتوما لا يتعدى أسوار سمعك ثم تتراجع راكضة إلى أغوار ذاتك تدق أبواب الماضي، فتطل توهجات الذكريات أمامك مشرقة... تلتحف حنينها وتمضي بخطاك المعهودة تتشوف إلى تربتك... ألفيت الأراضي خالية ترزح تحت صرخات الصمت دوى صداها على أعماق الطبيعة ألحانا كئيبة.

فضيلة ملكمي

* الاسـم الأدبـي: فضيلة الفاروق.
* متحصلة على شهادة الباكالوريا شعبة الرياضيات.
* درست سنتين في كلية الطب بجامعة باتنة (الجزائر).
* متحصلة على شهادة الليسانس في الادب من جامعة قسنطينة.
* متحصلة على شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.
* أعمـال منشـورة :

– لحظة لاختلاس الحب : قصص (دار الفارابي بيروت).

– مزاج مراهقة : رواية (دار الفارابي– بيروت).

– تاء الخجل:رواية(منشورات دار رياض الريس - بيروت)

* عملت في الصحافة المكتوبة والمسموعة في الجزائر.
* تعمل حاليا حيث تقيم في بيروت بالمجال الصحفي.

"مارسيل" أو "علي"

منذ عشر سنوات وهذه المدينة تلقنني دروسا في الوحدة والاغتراب، وتصر أن تجعل من عواطفي كرتها المفضلة للعب. أظن أني عرفت كل حيطان المدينة وعرفت أنها مؤلمة، وأن غير الحيطان هناك حديقة الأشواك التي يسكنها المثقفون، وشارع الحمرا الذي أحب، شارع طويل وجميل، ولا افهم لماذا أكن له كل هذه المشاعر الجياشة مع انه مجرد شارع، ربما الجزء المهم من حديقة الأشواك تلك. المقهى الذي على اليمين، والذي لا يسمح فيه بالتدخين هو مقهاه المفضل، وليكن "مقهى الأمريكان" أصبحت أحب الأمريكان من اجله. كنت أمر فقط اقطع الشارع مشيا من أوله إلى آخره واسترق النظر إلى المقاهي على جوانبه، وابحث عن وجهه اعرفه لأسلم عليه لتخف حدة ذلك الشعور المؤلم في داخلي أنني امرأة وحيدة بدون حبيب، بدون صديق، بدون رفيق، بدون عائلة، بدون ضجيج الحب الذي يجعلني اسمع صوت الحياة أظن أن الموت سكن في أذني باكرا قبل أن يجتاح باقي حواسي في يوم ما.

كنت أراه وحيدا، ليس وحيدا تماما، أوراقه أمامه دائما، وجريدة " السفير" وهاتفه ومفاتيحه. . . وقلم !

عرفت " بذكائي الخارق" انه لا يدخن وربما لهذا السبب أحببته، ثم بدأت أحب أصابعه ولا أدري كيف تطورت الأمور

فأصبحت أحب ذقنه ولحيته، ثم عرفت أن عواطفي دخلت منطقة الخطر... حين قدمت له نفسي ظل صامتا، وكان صمته يقول جملة واحدة لا غير" لست الرجل الذي تبحثين عنه" ومع هذا بعد لحظات من الصمت قال أن اسمه " مارسيل" ليكن " مارسيل"... " مارسيل"... هل يمكنني أن أغير الواقع ؟

قال بعد أسئلتي التي جعلته يكاد يكفر :

- لا أضع صليبا في عنقي، ولا ادخل الكنيسة، وحين ارغب في الصلاة احضن العود واعزف العزف الهادئ كالصلاة تماما.

فرضنا أنني لم اقتنع بكلامه - وهذا ما حدث فعلا - إذن لماذا صدقته ؟

أظن - والله اعلم - أننا حين نصدق سخافات شخص ما فهذا يعني أننا وقعنا في حبه.

كانت سعادتي لا توصف، وكانت عشر دقائق معه تشحنني بفرح يدوم أسبوعا.

أكثر من أسبوع... شهر...

الوقت كان يمر بسرعة، ومع هذا لم اعرف عنه غير القليل وسخافاته الجميلة، سخافات بلا عدد من بينها انه قال لي أنني صديقته رقم واحد !

لنضع نقطة هنا، ونبدأ من جديد :

بيروت تشبه الفنجان الذي تلقي عليه البصارة نظرها فترى فيه الكون كله، حتى التفاصيل تراها، أما أنا فقد تأكدت أني أمية فعلا، واني مثلما اقرأ الجرائد قرأت بيروت، اكتفيت بالعناوين فقط وتجاهلت التفاصيل.

صديقتي "نانسي" قالت لي وأجنحة رأسها ترفرف بقوة: "ولي عليك... هايدا (علي) مين قالك عنو انو اسموا (مارسيل)؟".

لحظتها فقط أصبحت كجار جحا ومحتارة الصدق جحا أم الحمار؟

- غير معقول (قلت لها) اسمه "مارسيل" وفي المعمودية اسمه "بطرس".

ولكنها أقسمت أن اسمه "علي" وضحكت ساخرة: "وكمان بتعرفي اسموا بالمعمودية؟".

هو قال لي ذلك، قال أنه مسيحي بالوراثة وأن عمته جوسلين "عرابته" هي التي اختارت له اسم "بطرس".

أردت أن أحلل الأمور واستوعب ما يحدث فسألتها بصدق:

- هل يمكن أن يكون ابن شوقي خير الله؟

لم تجب، هزت رأسها بحزن مثل أي خاسر في مباراة رياضية وقالت:

- اعرفه منذ عشر سنوات، واسمه علي وهو مسلم أبا عن جد... خلصنا بقى!

- طيب... كل شيء يتغير في لبنان، ننام على شيء ونصحو على شيء، فلماذا تريدينه أن يظل "علي"؟

عشر سنوات وهو "علي"... صار الوقت ليصبح "مارسيل".

لا فائدة!

ملت مني وغادرت...

وأنا كالعادة عدت للبحث عنه في زواياه المعتادة.

- هل أنت ابن شوقي خير الله ؟

فتح عينيه على الآخر مندهشا وأجاب :

- كان يمكن أن يكون أبي.

- شو يعني ؟

- أمي تزوجت غيره !

- إذن أنت مارسيل ولست علي ؟

هو لم يقل شيئا، عيناه قالتا بصريح العبارة : "حرام! خالصة بالمرة! "، ثم قال مستغربا :

- لماذا يهمك الأمر أن أكون مارسيل أوعلي أو ابن شوقي خير الله؟

- لأني احبك جدا. . .

- SO.

قال "ساو" باللغة الانجليزية وباللبناني يعني "الخبرية ما بتهمني"

حاولت أن أفهمه أني جادة، وأني سأبدو غبية أمام صديقتي "نانسي" إن أحببته على أساس أنه "مارسيل" وهو في الحقيقة "علي" . . . هناك كذبة ما في لفيف ما يحدث، لكنه لم يهتم، ضحك ساخرا وقال لي : اغلب الطرقات مغلقة في بيروت بسبب الحوار الوطني "الداون تاون" فارغة من الناس، كيف يغلقون الطرق ويفرغون وسط المدينة من الناس ليقوموا بحوار

من غير انتباه قلت له :

- علي... خلينا بموضوعنا.

وكأنه استيقظ من النوم في تلك اللحظة، نفض رأسه وقال :

- أي موضوع ؟

يا الهي، تأكدت تماما انه رجل متعب، يحرق الأعصاب، رجل له علاقة متينة بالفن... انه لا يعرف معنى الحب بالمرة !

- أريد أن أعرف من أنت بالضبط "مارسيل" أو "علي" أريد أن اعرف هويتك، أن اعرف لمن ينبض قلبي، وعلى من ابني آمالا للمستقبل، أريد أن أعرف موقعي عندك، هل أنا ما تقوله "صديقتك" ؟ أو ما تقوله عيناك "وحدة بلا مخ" ؟

لم يجب تماما، قال لي وبعض القسوة في عينيه :

- سنحكي بالموضوع، لكن ليس الآن، أنا متعب، و"مكركب" وأمر بظروف صعبة...

كاد أن يقول شيئا آخر، ولكن شخصا مر بالقرب، بدا صديقا له، سلم عليه بحرارة وقال له :

- كيفك "جاد" ؟

هل أمطرت في تلك اللحظة ؟ لا أدري، سمعت رعدا أو قصفا أو شيئا يشبه انفجارا ثم لم أجد أحدا بقربي، وبحثت عنه... كان مغادرا، ناديته : جاد ؟

استدار وأجاب بهدوء مخيف : خليكي على "مارسيل" أو "علي" !

فطيمة بريهوم

* من مواليد 01 أفريل 1970 القرارم قوقة -ميلة-.
* متحصلة على شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها من جامعة قسنطينة.
* مارست الكتابة القصصية والشعر منذ 1989.
* من اعمالها : مجموعة قصصية "بيت النار"1999.
* مجموعة قصصية "الزائر الآخر"2002.
* مجموعة قصصية "الملف العاطفي لآدم لم يعرف الجنة" 2005.
* نشرت في العديد الجرائد والمجلات.

الصورة

- تستقبل حياتها كما كانت قبله؟

لكنّه دخلها، ومن يومها لم تعد نفسها. ولم تعد هي نفس المرأة، وقد تعلمت أن تتخطى تلك الإرتعاشة وتسميها لهفة.

وتشخص الدفء الذي تفتقده الآن بعد رحيله، لتلمس عجزها عن فهم الشق الكبير الذي شرخ صدرها عندما لم تستقبل زبوناتها، وقد ابتدأ شقا. . . ثم استحال خواء يأكل البشر والفساتين، والصديقات، والوقت.يقضم قطعة من كم فستان، ويحلي ببعض الأزرار تراه ولا تحرك ساكنا حين تجد أشكالا خاطتها بلا بريق لمستها. فكل الحياة تتوقف وهو يزدردها!

لذلك لم تقاوم لما ألحت أمها أن تزور (لآلا[1] تفاحة)، فلا بد أن حسدا أصابها، أو سحرا دبر لها. فالذين لا يخافون الله كثيرون!

مجرد الحديث عنه يعيد لها ما كان، فلن تنكر سعادتها والجارة ترسم تفاصيله عبر أوراق البوكر: الأسمر، صاحب السيارة، والمنصب العالي. . .

- كثيرات جئن في حالات أسوء من حالتك بابنتي. وهن الآن يشكرنني، ولا ينسينني بالهدايا! فمن أين لها بصورة تجمعهما؟

(1) لآلا : عبارة احترام لامرأة أكثر سنا أو ذات مقام عال.

توعدت (لآلا تفاحة) رجوعه بها، وإلا ستعتزل العرافة.

لو فقط تطور الإنسان كفاية ليلتقط داخله صور الذين يسكنونه؟.تبحث في خزانتها، وهي تعلم أنها أحرقت كل ما كان بعد حمى الإهانة التي خلفها الفراق، وفي حقائبها القديمة، وتتأمل صور العارضين في المجلات علها تقع على شكل يشبههما.

- ألا ينفع الدم؟

- ما بك يا بنتي؟ الدم مجرد ماء.أما الصورة ففم وعينان وأنف وطول. تذكري لعل صورة هنا أو هناك !

تقلب غرفتها مرة أخرى، وهي تطارد صورة تقدر بها (لا لاتفاحة) أن تعيده.

لا تجدها فتلوم نفسها على فوضاها التي حرمتها من رصد كل ما كان يحدث، ناسية ما حولها. تسأل صديقاتها عن صورها عندهن أملا هاربا، لتستكمل وصفة (لالاتفاحة) التي تبدأ بعد إنهائها البخور الذي أعدته لها

وقسمته إلى ما تغتسل به، وما تضعه في صدارتها جهة القلب، وما تتركه تحت وسادتها تحرقه للنجوم ليلا عندما تنقطع حركة الناس ليلة الخميس من كل قمر جديد !وهي تبني أملها ورديا مزهرا لا تصدق ورقة تسليم صورة تسقط من أحد ألبوماتها صورة لم تهتم بإعادتها بعد أن مزق الفراق أمانيها الجميلة. فهل تملك صورة منسية معجزة إعادة الراحلين؟.في معمل الفوتوغرافي تل صور مكدس بعضها فوق بعض: حكايا تملأ المعمل، حدائق تضم أشجارها قبلات الأحباب، وقاعات فخمة تلبس فيها خواتم الخطوبة، أو لحظات فرح يشهد على الصفاء.آلاف الوجوه تقص ما لا يمكن للكلام أن يحيط به

وكيف لصورة عاشت في بحر الصقيع أن تذوب بها (لآلا تفاحة) الهجر وهي تشعل قلب صاحبها بنيران شمعة طوال الليل ؛ ليذوب كما تذوب هي حبا وشوقا إليك؟ هكذا هامسها اليأس وهي تفرز ركام الصور أمامها الذي استحال بعضه إلى كائنات صفراء، غامضة القسمات.تشمئز من بشاعتها. ألم يكن أحسن لو أخذت الدم، فكل الصور داخل القلب تجمعهما. وكل ذرات الأكسجين الذي تبادلاه، يستر صورة يلاصقها فيها.

ويطلع شكلها يقطع ما تحدث به نفسها فيتقاطر الصمت المذهل الذي يشلها. تتعرف على وجهها. يلزمها كل الوقت والتأني لتستوثق بعد كل الانتظار. إنما تبدده ضحكا يهز المكان. يذهل الفوتوغرافي، يضحك قليلا عندما تصله العدوى. ثم يسأل وهي لا تتوقف، يأخذ وجهه لون الجد، متبرما، مستخفا، متسائلا، ليلزم الحياد وهي لاتتوقف عن الضحك عن صورة تجمعهما تقدر بها (لآلا تفاحة) على إرجاعه، وتغيير وجهة حياتها.صورة لا تراها في دمها! ولا ينفع مكانها الدم لأنه لا يشبه العينين ولا الأنف ولا الفم. فضوء الشمس محا شكله ولم يبق إلا على قامتها وعينيها، وأنفها، وفمها داخل نبات حوله تطور الإنسان إلى ورق تطبع عليه بعض الصور.

كريمة ناوي الإبراهيمي

* الملقبة باسم " الموهبة السمراء "، من مواليد ولاية البرج.
* خريجة معهد الآداب واللغة العربية بجامعة قسنطينة.
* متحصلة على ماجستير في الأدب.
* نشرت قصصها لعدة جرائد ومجلات.
* تحصلت على جائزة الامتياز لنادي مرسيليا.
* أستاذة جامعية.

المرآة التي تزوجت باريس...!

"مرفوعة تلك المرآة التي كثيرا ما جعلتنا نرى الأشياء بوضوح"

ستمطر...

كم أرغب في أن تمطر بجنون وتحدث سيلا يمتد فيغرقني وإذا أنا جثة بلا روح...

وكم ارغب في أن تمتد النيران من كل جانب فتحرقني وتحرق كل شيء... كم ارغب في أن يحترق هذا العالم...!

لا أدري كم من مرة فكرت في هذا ورغبت فيه، ولا ادري كم من مرة حاولت أن أجرب الموت بطريقتي... اذكر أنني تناولت يوما كمية قديمة من الأدوية، والتي لم تكن موصوفة لي، لولا أن أنقذني الطبيب، وحين استعدت وعيي قال لي: الموت أيضا ككل الأشياء قد نبحث عنه لكننا لا نصل إليه...!

واذكر أنني كرهت التحديق بالمرآة يوما فهويت عليها بيدي ورحت اقطع شرايين يدي بزجاجها المتناثر حولي وأنا أتلذذ بمنظر الدم يتقاطر ويلوث ثيابي، ومرة أخرى أنقذني الطبيب... ولم أمت... فأدركت بعدها انه يجب أن أعيش، ولم يعد الموت يغريني بالبحث عنه، بقدر ما ضاقت الأنفاس بصدري وتمددت بي الأحلام المخنوقة التي عرفت أنها ستظل مجرد أحلام منذ تلك اللحظة التي

أوقفت فيها عن الدراسة... يومها تحولت إلى امرأة يملاها الحقد والنفور من كل شيء...!

ستمطر...

اعرف أنها ستمطر هذه الليلة وبغزارة... وكعادتي سأنتحي زاوية وابكي... ابكي خوفا المتنامي كطحالب تسد أعماقي، ابكي فشلي الذي يترصد ني دوما " أنت فاشلة دوما " هذا ما كانت تردده لي أمي... سأبكي حتى تجف الدموع وأواصل موتي المتكرر كل يوم... الألم شيء موحش، ومرارة الأشياء قد تدفعنا لارتكاب الحماقات التي نعجز عن تفاديها...! لكن أشيائي كلها تموت...! وأعي أنها تموت... فما من شيء يوقف موت أشيائي وما من شيء يوقف هذا الإعصار الذي يجتاحني فيردي كل أشيائي حطاما يتلذذ الآخرون بمشاهدته... ! وعدت للمرآة من جديد أنثر عليها نظراتي وأبحث في ثناياها عن وجهي الضائع... امرأة بلا وجه تحدق في المرآة...! غاب وجهي في ملوحة الأيام منذ أن بدأت أفقد أشيائي وافقد معها الرغبة في أن أتلون للمرآة...! النظر في المرآة يعيدني في كل مرة لحقيقة المرأة بلا وجه، وأتذكر جملة أمي كلما رأتني أتأمل وجهي في المرآة "لمرايا ما أتزين الشادي".

وأصرخ في أعماقي، لماذا أصر على أن أتفقد ملامحي في مرآة لا يمكنها تزييني...؟ لماذا أصر على أن أتذكر أنني لم أحظ بشيء طيلة هذا العمر المتسرب مني... ؟

أصرخ... ومرة أخرى أهشم المرآة... النظر فيها صار يذكرني بأمي، كلما ارتسم وجهي في المرآة، يغيب ليخلفه وجه أمي، وهي تردد لي "لمرايا ما أتزين الشادي"

وأصرخ من القلب أن توقفي عن هذه الحرائق التي يتعالى دخانها فيملأ فمي، وإذا أنا أشتعل ولا احد يطفئني... توقف يا هذا الحزن الذي يكبر كل يوم ليجعلني غريبة الأطوار... مجنونة لم يجرؤوا على إقناع الطبيب بضرورة توقيع شهادة جنوني فقط حتى أواصل مهامي البيتية التي عهدت بها إلي أمي، أمي...! كم كرهتها...! شعور ما يؤكد لي أنها ما أحبتني أبدا، وأنها ما أحبت أحدا أيضا... ويوم أخبرت زميلاتي بأني أكره أمي تعجبن مني ثم قاطعنني...

ستمطر...

أجل ستندفع نحوي بقوة، وتعلو وسأشرب وأشرب... ثم أنفجر وينتهي الأمر، يا لوجعي الكبير، ويا لهذا العمر الذي انسحب منه ربيعه مخلفا الريح الشتوية الهائجة فتقهقه في أعماقي المعتمة...!

وأبكي... لكن قلب أمي لا يلين...! أبكي ويتواصل رنين الدمع الجارح في القلب وقلبي يلبس سوادا ظل بعدها يلون كلّ أيامي وتمرد الصمت الساكن بدواخلي معلنا انتمائي لحرائق لا تخمد وتوالت عواصفي تجتاح دماري لحظة بلحظة وتمنحني أحلاما لا تنتهي... أيعقل أن تشعر امرأة مثلي برغبة في الحلم... ؟ مرارا تساءلت... والجواب ذاته يتكرر وبقسوة درتك حلما...! فلا توقفي هذا الزاحف بأعماقك آه... ما فائدة الحلم في وطن أفقدنا الرغبة في أن

تكون... !وما فائدة الحلم في وطن تناسينا فيه كل أيامنا...!

ودأبت أحلم رغم مرارة الحلم في عيني...! امرأة أخرى سكنتني منذ أن وعيت بأن الأشياء قد تموت...! وأنّه لا أحد يمنحنا الحياة إلا إذا آمنا به...!

كان لابد أن أحلم بأشياء أكثر جمالا تعيدني للفرح من جيد... وفي الكتابة كنت أستطيع أن أرسم تلك العوالم التي تتراءى لي والتي يعج بها خيالي المحلق دوما... لكني كنت أمزق ما أكتب خوفا من أن تعرف أمي بما أفكر... كنت أفكر برجل يحبني جدا... اعتقدته سيأتي ليخرجني من ذلك البيت... كتبت له ذات مرة في أوراقي "سأنتظر دائما وسأحلم... فلا تجرح أحلامي... دع الأيام تنبت وردا في عيني...!"

ووقعت الورقة في يد أمي وصفعتني... وبسبب الرجل الموهوم الذي يسكن خيالي توالت الصفعات وتوالت محاولاتي في إثارة أمي... كنت أتعمد الكتابة لرجل أنا صنعته لكي تفقد أمي صوابها وتتوعدني بالقتل... ووجدت ذلك في المرآة التي كنت أراها عونا لي... كنت أترك عمل البيت وأقف أمامها اغني وأتزين لرجل لم يوجد أبدا... وإذا بأمي تثور، وإذا بالمرآة تتطاير شظاياها تحت قدميها وهي تتوعد بأنها لن تزوجني... بل من هو هذا الذي سيتزوجك... سأختاره لك أنا... لن يتغير فيك شيء ولو قضيت عمرك كله أمام المرآة...!؟

كلماتها تقتل آخر ومضات الفرح في عيني وتحيلني إلى مائدة الغربة داخل ذاك البيت... ولكني كنت أتلذذ وأنا أراها على تلك الحالة... لكن الرجل الموهوم لم يأت... ولم يأت رجل يرغب في... منذ أن أوقفت عن الدراسة انتهت كل أشيائي ولم أعد أملك سوى تلك الأحلام المجنونة التي يتفنن خيالي في تشكيلها... كنت أتصور نفسي سندريلا، الجميلة الضعيفة التي يأتي الأمير لينقذها ويسكنها قصرا جميلا... وكم من مرة جلست إلى المرآة وغصت في تقاسيم هذا الوجه الحزين وتصورت نفسي مسافرة إلى بلدان بعيدة،

ألبس أحدث موضاتها... وإذا بشعري المجعد مسرح بأحدث تسريحة...

والسيارة التي أقودها من آخر طراز... كنت أهرب من تعاستي تلك إلى أحلام أشيدها في خيالي ولا أحد يستطيع أن يسلبني إياها... لم أعرف الفرح يوما ولا عرفت الحب...! كل ما عرفته منذ أن بدأت أعي هي تلك الأشياء التي لا أملك، حتى نفسي... لا أملك الحق في أن أحب... أو أقرر أو حتى أموت... لا أذكر أن أمي قد أحسنت إلي بشيء... حتى اسمي كان يحزنني، عافية، ولكل من كان يسمعه، يرد " يا لطيف...!" فالعافية في لهجتنا تعني النار... وليتني امتلأت نارا مشتعلة تأكل كل شيء... لقد كنت هادئة على الدوام... هدوئي كان القرار الوحيد الذي اتخذته في حياتي بعدما أدركت أن ثورتي لن تغير شيئا من أنظمة أمي أجبرني الموت، وبعد كل محاولات الانتحار، أعيش... وتفتح بداخلي مساحات أخرى للتغيرات... وانتظرت أن تتبدل الأشياء... أن تتحقق كل التصورات التي ملأت بها ذاكرتي ومنحتني إياها المرآة بكل بساطة... وتنوعت الأحلام لكنها انحصرت في رجل يأتي دون مقدمات ويحملني إلى دنيا بعيدة ترسل فيها كل الأشياء... موسيقى، وتزهر فيها الفصول ألوانا بهية... واستمرت الأحلام كئيبة متشابهة المذاق واستمر معها انتظاري الجاف لأشياء لم تعد الثقة في إمكان حدوثها ممكنة...!

وإذا الأحلام تستقيل من ذاكرتي والفرح يعلن انسحابه الكامل مما تبقى من تلك الذاكرة المزدحمة بالضجر والتعاسة... وبدأت أنسى أنني أنثى، ورحت أحاول إعادة تشكيل ما تبقى مني وفق أطر أخرى وأحلام أخرى... فكرت في أن أزهد وأتنسك لأربح الآخرة،

بعدما خسرت الدنيا، وفكرت في أن أزهد وأتنسك لأربح الآخرة، بعدما خسرت الدنيا، وأحلام أخرى... فكرت في أن أقوم بأي عمل تطوعي لكنني تذكرت أمي وأني ممنوعة من مغادرة هذا البيت وهذه القرية المنسية التي أعيش بها... ولم أعد أحلم... كما لم أعد أفكر... قررت ألا أنظر في المرآة من جديد لأوقف خيالي السابح... فقط وحدها الذاكرة تحن لأشياء جميلة وحالمة... وأمطرت الأشياء من حولي ألما وبردا يضيق بهما قلبي... واتسعت فوهات جروحي وبت بلا شيء... وبلا أنا وفجأة وقفت والدتي أمامي تطلب مني أن أفكر بهذا الرجل الذي تقدمت والدته لخطبتي... قرار أمي كانت قد اتخذته وجاءت فقط لتوهم الجميع أنها تستشيرني... قالت لي وهي تقدم لي ذاك العقد، الثقيل، من الذهب ماذا تريدن أكثر من هذا... ؟ هذا هو الرجل الذي سيسعدك... ستلبسين ما تشائين، وتذهبين أينما تشائين... هل هناك فتاة اليوم ترفض شابا يقيم بفرنسا...؟

وانتشلتني الكلمة الأخيرة من صمتي وكأني لم ألتقط سوى كلمة فرنسا، شابا يقيم بفرنسا...؟

وعادت الأحلام المهاجرة التي ركنت منها الكثير ونسيت فيها الكثير... عادت السيارة الآخر طراز وباريس، وألبسة باريس وجمالها و... وعدت من جديد أحلم، وعدت من جديد أحدق في المرآة بعينين مفتوحتين أكثر... أتلمس وجهي الداكن السمرة وشعري المجعد وعيني الضيقتين... كل هذا سيتغير يا عافية...! باريس قادرة على خلق الإنسان من جديد...!

قلت في نفسي... وللمرة الأولى بدأ وجهي الأول يغيب في

المرآة، واذا بالمرآة تستبدله بوجه أجمل لم أره من قبل... شعر أملس وبشرة ناعمة وعينان واسعتان...!

رأيت أنا أخرى... كانت المرآة تخفيها وهاهي باريس، تعيدها...!مخطئة يا أمي فهاهي المرآة قد خذلتك وزينتني رغم إيمانك بأنها " ما أتزين الشادي...!".

الأمر بالنسبة لأمي كان صفقة، وكنت أنا الطرف الأهم فيها، فبموافقتي ستزداد حظوظ أمي في المال وفي ذهب وألبسة أكثر يمكنها تجهيز أختي الصغرى ككل الفتيات. كنت أعرف عائلة هذا الخطيب التي غادرت القرية منذ الثورة إلى فرنسا، وكل ما أخبروني أن الشاب معاق... لم يهمن الأمر ولم أطلب حتى رؤيته... قبلت دون نقاش ودون تفكير... كل ما كان يجول في ذاكرتي لحظتها أن أرحل رفقته إلى باريس... فكرت بأننا سنقضي شهرا بأحد الشواطئ ونرحل بعدها إلى باريس.

وانتقلت إلى بيت زوجي في صمت... ولم يثرني ذلك، شوقي إلى باريس، كان كافيا لأتنازل عن كل الأشياء... ودخلت غرفتي رفقة حماتي، وقابلتني كتلة لحم ضعيفة مكومة في كرسي نقال... وجاءني صوتها ليوقظني من دهشتي : هذا هو زوجك...! انه مسؤوليتك منذ اليوم... وخرجت...

وحدقت في عينيه... انه كطفل... بل هو طفل لا قوة له... لا يمكنه أن يفعل شيئا، لا يستطيع حتى أن يحرك يديه... مسؤوليتي به هي عقوبتي... إنها أقسى من عبودية أمي...

ومع الأيام... صرت مجرد خادمة لهذا الذي يدعونه زوجي... مهمتي تنحصر في حمله وأكله و... وكلما سألته عن سفرنا يقول لي: أمي هي التي تقرر.

عرفت بعدها أن أمه قد قررت قبل أن تتقدم لتخطبني له أن تعثر له عن زوجة تخدمه وأن لا يعود إلى باريس أبدا.

وقررت أن أبقى في بيت هذا الزوج على أن أعود إلى سلطة أمي... وحينها، وفي هذه المرة حدقت في المرآة... ولكني لم أر إلا وجهي الذي ألفته منذ زمن لم يتغير فيه شيء فقط بعض الشعيرات البيضاء التي بدأت تلوح في شعري المجعد.

لطيفــة حرباوي

* تاريخ ومكان الازدياد: 1970/09/07 ببسكرة.
* 1995: ليسانس فلسفة جامعة بوزريعة الجزائر.
* 1994:كتابة مقالات في عدة جرائد وطنية.
* موظفة بمديرية الثقافة بسكرة.
* مديرة مركز التنمية البشرية بسكرة.
* منشطة حصة ذوقيات في إذاعة الزيبان.

أشيــاء لــك

لم يعد لديك مزاج للمزاح ولا مزاج للبكاء جردتنا من فروق اللغة والجنس والعصر لتلخص الوجود بالحوادث المارة بنا. سأرسم لك بيتا من أهدابي وهى تطفح بالدموع سأعتزل الغناء وأنا ألحن آخر قصائد الوجع لطيور البجع. تتعانق المدن على جبينك، تحتفل الكلمات الضالة في صدرك المهزوز وأنت تخفى ما فعله بك السعال والهزال. عندما ينزل إليك السقف في خجل وأنت في حالة تصالح مع الأمكنة والسماوات تقذفني السنوات التي لا تعود إلى شواطئي المنفى اغتسل بالملح وأنا أحلى العمر المارد بالهجاء. هل مازلت بحاجة؟ إلى فصادة معنوية لنحي معا سهرات مع الموتى وكأن جبران يقول لك مرة أخرى في فمي حجر صلد الكلمة موجودة في قلبي مجنحة وحية ولبد من قولها لتزيل بوقعها ما أوجدته ثرثرتي من ذنوب. تلتقي الألفاظ المقطعة في الضباب تشق طريقك إليها في صمت وعناد تجمعها لتتجمع قوى إكتئابك عميقة ومرهفة وأنت وحيد في هده الدنيا التي لا وطن لها. عند الشفق تلتقي الأرواح وتتجمهر كأنها تتداول في إنشاء عوالم جديدة وأنت كما أنت تنتظر الوجوه الأليفة وتفتح نوافذ البصيرة ثم تتقمص صور المتصافين. ما أضيق غرفتك بل ما أضيق الحياة عندما لا تتحملك لم تهزمك الجدران الثقيلة ولا لحظات التعارف والنسيان كيف لك أن تملك نفاق البشر وأنت لا تمتلك عفشا وعرشا مازال لديك عشا وقلم لا يغش أدخلني من بوابتك الخلفية

أجلسني وراء الوجوه المجعدة علني أقول لك الذي لا يهمك وجدت خريطة الكنز فلنسرق مراكب الوقت المصلوب ولنبحث عن مدينتك الفجائية لنأكل معا الكبة والفلافل ثم نهجرها وأنت تعيد صياغة الزواوة أيها السهيل من أقعدك بعيدا عن أعراس الشمس وكلل تنهيداتك بالغدر. تبا لهؤلاء الذين لا يرون الريش وهو يتساقط من جناحيك ولا يلمحون قلبك الذي أغلقته على الفراغ والوحشة. أحاول دون إذن منك أن اعتصر ثمار عمرك كدت أن انهار أنهدر فاستنار ذهني وعدت بدوني أقص عليك حكا يا أقوام البرزخ وأنا اصف لك أفراحهم المجردة من الجسديان والمدسوسات وعن حياتهم التي لم يعد تمزقها المقاومة والنزاع.

كيف أفسر لك غاية الألم؟ كيف أحنطك بالسخافات؟ وأنا لا أعرف ما هو لون دفتر مدخراتك أتركني أكرس لك بعض الدقائق السخية لنتصوف معا ونعترف بخطايا الزمن دون أن يسمعنا احد حتى لا نسجل في الأوراق الرسمية بأننا نشوش على الوقت الذي هو ضدي وضدك. قد نموت ولا احد يعرف بأننا متنا فالأحياء أيها السهيل لا يعنيهم فنائنا في شيء فالشهيق والزفير والتأوه المزمن لن يحركهم من علوهم فلنقتسم رغيف اللحيضات الرخيصة عندهم دون أن نفترق ودون أن نردم الأسماء المشطوبة والمقهورة معا سنفرغ الأجساد من محتواها ونحن نحمل بيوتنا على ظهورنا دون تعب ونحن ندون القبور الممسوحة في الأرض على أوراقنا الممنوعة. يقلقني ألا أراه مرة أخرى تواعدنا ككل مرة على كسر العادة والزمن هل يمكنني أن أتخيلك وأنت ممدد تحت عجلة كبيرة لم ترحمك ككلهم أبا إلياس لماذا تختم حكا يا الهامش بعيدا عن أعين المرفهين؟ عندما حاولت أن اجفف دموعي الفقيرة وأنا محاصرة بجدران دار المسنين بسيدي موسى أحسست بان العمر قد تقدم بي كثيرا ولمحتك كعصفور النافذة

نقتلع قلبي لتمسح به زجاج المنسين هكذا ارجع إليك مكفن بالعذابات وبجسمي المبنج لأبني لك بيتا من الورق المقوى ولأبصم لك على شيك مزور لأقنعك بان لي رصيد في بنك خارج الجغرافيا والتاريخ. ما أحلكها من أيام تلك التي لم نتذوق فيها طعم الإنسان ولم نلتحف فيها الوجدان إننا هكذا نطرح من أعمارنا الشوق للجمال والنعيم في كنف الزهد والإبداع. كم عمرك هذه السنة كم شمعة أطفأت من اجلهم؟ علمتهم كيف يحبون ويتقدون بالصدق وعلموك كيف تموت دون أن تزعج أحد. أريد أن اخزن لك ما طاب ولذ من الكلام أريد أن أحقنك بالفرح القاتم وأنا أحاور معك عصر الاسمنت الخالص. أيها السهيل في مساحات البياض يمكننا أن نفضفض على الطريقة الدمشقية أو على الطريقة العاصمية ونحن نحترق قبل الأوان نتزين بالرماد ونفترس التوحش برقتنا القاتلة وعفتنا الزائدة. هل يعنى لك قصر علاء الدين شيئا؟ هل علينا أن نوهم أنفسنا في الليالي المريطة بان النجوم تتغزل بنا ونحن حفاة كالسلحفاة تصغر أشيائنا وتتقلص بداخلنا فعالمنا بقزم أمثالنا ويفرض علينا الانتحار. مازال هناك وقت لنقوم ببعض الدروس الخصوصية وأجرنا على الله سندرب عيون الفارين منا كيف تلتهم كرامة المبدع وكيف تزوده بالذل وهو لا ينحني إلا عندما يكتب أناه على سطر الحزن الملون بالشقاء. هل تريد تمرة واحدة تزودك بالكبرياء أم انك لا تشتاق إلى أكل ما هو حلو لأنك تعلم بان المر هو حكمة الوجود فقل لهم بان أهل الجبان لا تعني لهم العراجين المعلقة في الفضاء أي شيء أيها السهيل سنفتح صناديق الصدقات الجارية ربما سيكون لنا نصيب فيها أو ربما سيقال بأننا لا نملك ما يسد الرمق وعلينا أن نحصل على القوت قبل أن نموت من الجوع اعرف بأنك لا تجوع ككل البشر واعرف بأنك تغامر بالأوقات الغريزية من اجل فكرة تخلدك كعقل تفتق على الرسالات السامية لن

نأكل شيئا ولن نمد أيدينا مازال عندنا الكثير من الورق والأملهل علينا أن نقترف الجرم نفسه ليقال بأننا أبرياء من الكتابة هل علينا أن نخاطر ونحن نتسلق نفس الكوابيس ليقال بأننا لاشيء لدي شعور بان الموت هي أحسن طريقة للنجاة وبان حياتنا هي أسوا طريقة لكسب الوجع علينا أن نرتد قبل أن يحين الأجل أيها السهيل لن تعود فصول القطاف ولن يعتذر منا أحد إننا ككل الذين مروا من هنا لم يتذكروهم إلا عندما أرادوا أن يذكروا الناس بأنفسهم وهم يتمسحون بالتوابيت وبالنعوش المعذبة تحت أقدامهم.

لا أحب أن أكون سخيفا أريد أن امتلأ برحلات الزهد والمسميات التي اختلف حولها القوالون والمذنبون فالجرأة عندنا أن نحترم حواسنا وأشلاء الآخرين وبأننا نستطيع أن نتحمل ضعفنا وعجزنا وبان نقول لسنا ملائكة والخطيئة الأصل هي عندما تنعى الضمير وتجوعه وتنسى بان للكتابة قلوع لا يحتمي بها إلا متعفف ناطق بالفضيلة فاعذرينا أيتها المدن المائلة علينا أن نؤثث قلوبنا الواسعة بقيم الإنسان المنقرض ونحن نفتح مجالات للكآبة صد قينا أيتها التائهة في عالم القصارى.

أننا لن نموت من الجوع ولا من البكاء ولكننا قد نموت من الضحك أو القرف وهناك من يموتون من الترف. مازلت أحاول أن اخترقك وأنا افتح فوهة في العيون اللحوحة لا رسم لك وجها على مقاسك لن يكلفني الأمر كثيرا كي امحوا تلك التقاسيم الكئيبة وأمنحك أكاليل الغار لنشرح صدورا تشبه القفار أيها السهيل سأكرر معك نفس اللعبة التركيبية ربما سنشكل بيتا كبيرا وعائلة وأحلام جاهزة للموت. اللعب بالغد يورطنا يجعلنا أكثر حماقة علينا ألا نحترس وان نغامر بالشيء الوحيد الذي نمتلكه أعمارنا الزهيدة.

ما أروع أن نجن وان نبقى على سجيتنا نفتش عن متاهات جديدة في ذاكرتنا الحديدية مازلت أحلم من أجلك ومن أجلي وأنا أعجن الحروف وأخفيها في حلقي حتى تعتقد بأنني الموناليزا بشحمها ولحمها جاءت عبر آلة الزمن لتفشى لك أسرارا خطيرة تهدد وجودك في هذا القبو ا وتمنحك فرصة جيدة لتبتسم بالطريقة السحرية نفسها دون أن تكون الدونجوان أيها السهيل علينا ألا نفترق علينا أن نخرج من المغارة وننحت أشياء أريدها أن تكون لك وحدك لا أريدك أن تدخن أنفاسك تعالى إلى حيث تتجلى الأرواح المهاجرة إليك ستنتصر عندما يعود الوعي إلينا عبر جسورك لا تدخن ما تبقى من العمر وتنفسني حتى لا تختنق.

لويزا جبالي

* من مواليد: 2 جويلية 1981 بقسنطينة.
* روائية وشاعرة وقاصة
* تعد لشهادة الليسانس بكلية الحقوق العلاقات الدولية بجامعة قسنطينة.
* لها رواية بعنوان "ظلال وتيه" رشحت للطبع خلال.
* نتائج مسابقة مالك حداد.
* لها مخطوطات عديدة منها: مجموعة شعرية "شراشف الشفق"، رواية قيد الإنجاز "رسائل إلى امرأة تدعى البحر"، مجموعة قصصية "الزمن الهارب".

حكاية رواها القمر...

كما في الحكايات القديمة، هناك حيث يختلط الغبار بالضوء المنكسر من شمس وحيدة، ثمّ تهب الريح، ويبزغ قمر منشطر، وتسيل من عينيك نشوة. . .كما لو أنّك أبدا تقطن قلب قصة تشبه قصة "علي بابا"، أو قصة علاء الدين ومصباحه السحري، كما في "ألف ليلة وليلة" حيث تسرقك الصور المنبعثة من أوراق الكتاب، ودائما يحتل القمر المكان المميز. . .

كان يجلس دائما عند حافة الشرفة الفارغة، في رأسه سؤال يتيم:

"هل يقصدون أنَّ ذلك القرص المشع الدافئ، قليل من الحجارة والوحل وبعضٌ من الحفر والصقيع ؟!!".

لم يكن أميًا ولم يكن أيضًا من عصر مغاير، كان فقط يعجز عن إلصاق الحكايات المصاحبة للبدر إلى الحجارة والوحل. . .

كان شاعرا. . . حمل حقائبه واتجه نحو الجبال، كان يخاف الغارات التي تصيب مقدساته الخاصة، يومها كان يجلس قبالة التلفزيون، وتقابله لوحة للرسام الألماني "كاسبار دافيد فريديريش" Caspar David Friedrich رسم فيها البحر وأسماها "بحر البلطيق تحت ضوء القمر"، كان ينظر إلى ذلك القارب الذي يتهيّأ لك لما تراه أنّه رجل ضئيل أمام الطبيعة ضاع في مواجهة الموج. . .

كان جالسا أمام التلفزيون يفكر، عندما أردوا قمره قتيلا أمامه، كان يجلس وفجأة رأى رجلا ببذلة غريبة، يتجوّل فوق أرض قاحلة وموحشة، رأى رجلا ببذلة غريبة، ورأى أرضا وغبارا. . .رأى وكان كأنه لا ينظر، ثمّ جاء صوت المعلق عن الشريط الوثائقي: (حلم الإنسان الأوّل قد حققه "يوري غاغارين" بعدما بعث السوفيات أوّل قمر صناعي سنة 1958 ثم المركبة التي حملت "يوري" ومكث فيها 108 دقائق، ثم جاءت مركبة "أبولو11" الأمريكية وعليها "أرمسترونغ" وكان أوّل من داست قدماه سطح القمر)

ومات القمر. . .

لم يصدق أن هذا الشيء الكئيب هو ذاته الذي يوقد بؤس لياليه فرحا وغبطة!!!

كان يعرف ذلك الرجل المسمى "يوري"، ويعرف "أرمسترونغ" كما كان يعرف "توماس أديسون" الذي استبدل ضوء الليل الشحيح بضوء المصباح، لكنه كان يتجاهلهم جميعا. . .

إننا نتجاهل الحقيقة دائما لمّا يتعلق الأمر باعتقاد راسخ. . .

كان كالذي شاهد جنازة ما لوجه تخيّل أنّه يعرفه، اتجه نحو الكتب التي كان ينكب عليها ليلا، أخذ يقلّب الأساطير التي كان يعرفهاثمّ يتخيّل جدّته وهي تخبره أنّ القمر رغيف خبز كبير، عجنته امرأة من ماء مقدّس، ثمّ ولما عمّ الظلام الكون، ابتلعه فم الليل ومات قبل أن يهضمه، وبقي الرغيف هناك وبقيت الجدات دائما تسردن الحكاية، والفقراء يبتلعون الريق ويأكلون خيالهم كلّما جاعوا!!! ثمّ يرى وجهه مليئا بالبثور وقد شوّهت المراهقة نصف وسامته، ينظر إلى ثقب في السماء وينتظر أن تطل الجنية التي ستحبّه كما هو!!!

ثمّ يتذكر نفسه صغيرا، يرتعد كلما اكتمل البدر، ويغطي رأسه ملتفا حول نفسه تحت الغطاء كي لا يطلع غول القصص المسائية، يلتهمُ أصابعه وأنفه لأنّه كذب أمس... كان يسمع نفسه يردد بذات البلاهة: " ولكن من علّق ذلك المصباح فوق يا ماما ؟!!

وكانت تجيبه كأنها تذكرت شيئا ما: " لم يعد مصباحا يا حبيبي لقد صنعوا لنا النيون"ثمّ يعاود مباغتتها: " ولكن ما هو النيون يا ماما ؟!!

فتتمتم بكلام لا يفهمه ثمّ تذهب... ويبقى ينظر إلى القمر وقد زاد إيمانه أنّه مصباحه الوحيد والخاص...

ينتقل بين مختلف مراحل عمره المبعثر، يجد أن للقمر صورة في كل ذكرى، يرى نفسه في الجامعة، وقد قرر أن يدرس الفلسفة فلم يستقبله بلد غير روسيا، يرى مجلداته ذات الأطراف المتآكلة، كلها تقول أنّ القمر كان عين إله، يرسمونه على طريقتهم يأخذ شكل رجل بوجه طائر عند الفراعنة، ويدعى الإله "**هوروس**" Horus ويأخذ أشكالا أخرى في ثقافات أخرى، ويبقى الأكثر وحشية وندرة وجمالا، تماما كعين بومة تبرق وسط غابة نائية، تحجبها أحيانا بعض الأوراق التي يشبه شكلها شكل السحاب، وتحمل الحكمة المخلوطة بالصمت السري الضاج... يتضرعون إليه ليلا ثمّ يقدمون عند ركبتيه القرابين والأضحيات، كي تبقى عينه الواحدة تحرسهم دائما... يسقط وتتجمد ركبتاه، كيف يخبرهم أنّ القمر جزء من الله، يمنح الأحلام والقصائد والحب، ثمّ يخيف الأطفال الذين يسلّون حياتهم ببعض الأكاذيب البريئة، ويحنو عليهم خلسة، يمسح خدودهم بضوء شاحب ويغفر لهم إذا ما تبوّلوا... كيف يخبرهم أنّه قضمه هناك في الغربة يوم ضاقت به الدنيا وحرمه العوز من الأكل، كيف يخبرهم أنّه

تمدد ليلتها فوق البلاط، ثمّ ودون عناء أكل القمر، وهو يردد حكاية الجدة، وامتلأ حدّ الإغماء ولم يعد يحس بالجوع بعدها أبدا، ولمّا فتح عينيه ورفع رأسه كان القمر مدقوقا فوقه!!!

كيف يحيلهم إلى القمر كي يسألوه إن كان قد سلّم لها رسائله إليها، وهو - ودون عناء - يخبرها عن شوقه لشعرها المنسدل وعيونها المبهورة، تراها سمعته وهو يعترف أنّه أحبها حدّ الجنون العميق والالتهاب الدائم ؟!!

تراه أخبرها أنّه لم يكن ينام ليلا بل يكلمها عبره في المدى الفارغ، كأنّه يحدثها في الهواتف العادية،

هل أخبرها القمر؟!!!

كان وقتها قد عاد من البلد المثلج، وجدها تلبس الفستان الأبيض، وتحمل إكليلا من الياسمين فيما تتأبط ذراع رجل لم يكن قد رآه قبلا، قريبها قال وهو يحاول أن يبرر موقفها أنّ زوجها صفقة نادرة، لا يمكنها إغفالها، هي حركت رأسها كأنّها تعرف الحكاية، كأنها تقول أنّها آسفة، أنّها سمعته لما اعترف وبكى، لا أحد غيره وغير القمر يعرف أنه بكى وهو يعترف، كأنّها أخبرته أنّها تخيلت أنها سمعته يخبرها عن عودته من روسيا محملا بشهادة وخاتم عرس، لكنّه أطال الغياب، وهي ملت من سماع أغنية:

Marjolaine. Toi si jolie
Marjolaine, le printemps parti
Marjolaine, j étais solda
Mais au jour d huit je reviendrais a toi[1]

(مارجولين أنت الأجمل

---

(1) أغنية لداليدا.

مارجولين ذهب الربيع

مارجولين كنت جنديا

لكنني عائد إليكِ اليوم...)

وكانت أختها كلما لمحتها أمام المسجلة، تمر أمامها هازة رأسها كأنّها تقول:

"لكنّه ليس جنديا، ولن يعود إليك أبدا..." وكانت تكمل وأنا "ليلى" ولن أكون يوما مارجولان!!! نعم تزوجت، وكان اسمها "ليلى" وكل الشعر العربي يحكي عن "ليلى" لذلك وجد أنّه من السهل عليه أن يحبّها ويحلم... كان ينظر إليها أيام الثانوية، كأنه "قيس" هذا الزمان الذي سيملؤها شِعرا يخلّد اسمها ثانية، كيف نسيت أنها ليلى ولا يمكنها أن تتزوج غير شاعر سحره القمر والليل، يناديها كل مساء: "أمطري يا حبيبتي وامسحي قلبي المتوحد والحزين، أمطري زخات حنان تمسح برد الجبال الروسية، والمدن التي لم تنجب نساؤها وجهًا يشبهك، أمطري فالقمر ينقل ملامحك كلّما تفرست به، ويجود بقبلة دافئة تذيب صقيع القلب الغريب، أمطري، أمطري، وتمطر السماء بسخاء كبير!!! آه يا حبيبتي، ضاعت الرسائل التي امتلأ بها الشاطئ الرمادي، وانفتحت القوارير الملونة وتطايرت الكلمات..." كان يعاود رفع رأسه نحو القمر، ويجلس في نفس الجهة المقابلة للزاوية الفارغة في شرفة غرفته، قام وأحس بالفراغ الكامل... مشى قليلا نحو باب الغرفة، تذكر عمره الذي ضيّعه يبحث عن نافذة جديدة للأماني الميتة، استلقى فوق سريره الذي لم يرتبه منذ فترة بعيدة، أمسك بالقليل من الإيمان المتبقي له،

أحس وجه أمه كبيرا بحجم السماء، تذكر أنّ "الهندوس"

يعتبرون القمر أحد الجنات وأنّ أرواح موتاهم الطيبين تقطنه دوما إلى حين عودتها إلى الأرض، لمع وجه أمّه،

تحسر لأنّ القمر حفنة تراب وطي تذكر وعود السياحة الجديدة: "ستكون هناك مركبات للجميع كي يزوروا القمر، سيكون هناك منتجع جميل، يكفي لإنفاق الملايين" تذكر علماء الاجتماع وهم يحتفون بأرض جديدة ننقل إليها فائض السكان. . .عرف أنه لم يعد هنالك من يصدق الهندوس وهم يرددون أنّ هنالك علاقة بين القمر و"السوما" [3]، مشروب الآلهة، علم أيضا أنه لا أحد سيعتقد أنّ "سان" إله القمر الباب ولا أحد سيصدق الياباني العجوز الذي سيتحدث عن إله القمر "تسوكي يومي" [4] العين اليمنى لإله السماء "إزاناجي" [5]. . .

لا أحد سيصدق أحدا بعد اليوم، الكل صار يعرف أنّ القمر كومة حجارة وقحط، لا ماء ولا ضوء، الكل صار يعرف أن القمر كذبة كونية أزلية، وأمي لم تعد تنتظر كي تنزل إلى الأرض عندما يسمح الوقت بذلك.لقد قتلوا خيالنا يا عزيزتي، ثمَّ أطفأوا السماء. . .وأنت يا ليلى أحببت بعدك كثيرا، لكنني لم أخبر القمر عنهن، كنت وحدك الحكاية التي نتقاسمها. . .ولم تغني لي أنثى غيرك أغنية فيروز التي نحبها:

"نحنا والقمر جيران، بيتهُ خلف تلالنا

بيطلع من قبالنا، يسمع الألحان

(3) La mer Baltique sous la lumière de la lune.

(4) Tsuki_ yomi.

(5) Izanagi.

نحنا والقمر جيران، عارف مواعيدنا

وتارك بقرميدنا، أجمل الألوان

وياما سهرنا معه بليل الهنا مع النهدات

وياما على مطلعو أخدنا الهوى غوى حكايات

نحنا والقمر جيران، لما طلّ وزارنا

ع قناطر دارنا، رجرج المرجان"

وتعلو موسيقى الجاز ويصدح رأسي بسيمفونية ضوء القمر

دائما يرتبط القمر عندنا بروايات الحب وأغاني الحنين، وكلما ضاق النفس في وطني، نظرنا عميقا إلى السماء!!! حمل سترة الجلد، فتح الباب الخارجي للشقة خرج، كان الوحيد الذي لا زال يحاول التصديق، وذات السؤال يطلع من عينيه كلما رفعهما نحو شاسعة الليل: "ولكن هل يقصدون أنّ ذلك القرص المشع الدافئ، قليل من الحجارة والوحل وبعضٌ من الحفر والصقيع؟!!! ".

مسعودة لعريط

* الاسم الأدبي: غيوم.
* ولدت في يوم 08أكتوبر، 1970 بعين قشرة ولاية سكيكدة.
* تشتغل الآن أستاذة بجامعة تيزي وزو.
* بدأت مغامرة الكتابة في سن المراهقة.
* نشرت أول نص شعري في جريدة أضواء سنة 1987.
* تأثرت بغادة السمان وأحبت الشعراء العرب المعاصرين.
* نشرت نصوصها في عدت جرائد ومجلات.
* تمارس الفن التشكيلي كهواية.
* متحصلة على شهادة الماجيستير، ومن أعمالها المنشورة:

– المنهج الموضوعاتي بين النظرية والتطبيق سنة 2000 عن دار الينابيع بسوريا.

– قصص الأطفال في الجزائر –دراسة موضوعاتية– دار هومة الجزائر 2003.

– مرايا الجسد، دار هومة، الجزائر، 2004، وهي عبارة عن مجموعة شعرية.



الغريق

أريد أن أتمدد تحت المطر... 'المدينة في الخارج باردة والناس في الشارع وفي المقاهي...وخلف المكاتب الفخمة... وفي الثكنات وفي المساجد وفي القصور، أتصور أن بعضهم نحت من حجر شفاف وبعضهم صنع من خشب، وبعضهم من بلاستيك... وبعضهم يهيمون في الخيال يبحثون عن الانسجام لأنهم وحدهم أدركوا الاختلال، يكلمون أ نفسهم التي صارت متعددة ويحاورون الحجر والرمل والبحر تحت شرفات طرقات العاصمة، يمسحون الكتابة ويكتبون كتابة أخرى' ضاقت بهم قوانين العالم الديمقراطي المتحضر، ضاقت بهم أثوابهم فتجردوا منها وصارت الدنيا ملطخة بالدماء...فتوقفوا عن غسل أجسادهم وصاروا عرايا عند مناجاتهم للبحر الهائج وصار الناس يقولون إنهم مجانين، هل صنعوا مثلي من دموع، أتفرج عليهم وعلي كل صباح في مرآة الحمام وأنا متجردة من كل لباس... أتفرج عليهم... إلى حد العدم، فأنسى في أي موضوع أنا أتفرج.

الساعة الثامنة صباح 'لا أضحك' لا أبكي، واقفة في الحمام أتفرج...في الحقيقة أنالا أرغب في الخروج من البيت في هذا اليوم.عدت إلى فراشي ونمت

استيقظت غدا في الساعة الواحدة صباحا أفتح التلفاز، يطالعني

وجه خديجة بن قنة الذي ظل جميلا رغم ارتدائها الحجاب، في أخبار الجزيرة، ثم أجساد وأشلاء في تفجيرات بلندن، وأخرى بالجزائر، وأخرى بمصر.. .وتشييع جنازة شاب فلسطيني في الخامسة عشر من العمر، استشهد اثر سقوط صاروخ على بيته... وسبعون شخص يعتقلون في العراق للاشتباه بهم... شعرت أن الجثث والجرحى والمتألمين يتفرجون علي ككل يوم وفي كل نشرة أخبار، بطريقة لا واعية، ظغطت على زر "التليكموند" ليبدو جسد نانسي عجرم من فضائية عربية وهي تغني:أه ونص...، جسد عربي فاتن كأنه حي، وإيقاعات شرقية تغري بالرقص، أحاول تقليد المطربة وهي تتلوى ببطء، يتحرك جسدي أو نصف، أتفرج على جسدي أونصفه... أجده ثقيلا 'أجده يبكي... أجده يرغب في النوم، أطفأ التلفزيون، وأعود إلى فراشي أحتضن الوسادة وأحاول البحث عن حلم، أو عن ضوء أزرق أو بنفسجي، فلا أرى إلا أطياف أشلاء حمراء تحوم حولي، وتملأ فضاء غرفتي...'في المنام أراني بجانب زهيه المجنونة التي لم تغادر بيتها بالحجرالكبيرالمحادي للبحر، منذ عشرة سنين، وحسان القسنطيني الرسام الرائع الذي جن اثر مجزرة بن طرحة الفظيعة فصار يمزج ألوانه بدماء جسده'أصابعه ويداه وذراعاه... وشفاهه... تخربت من أثر الوخز والجرح... ظل ينزف فوق لوحاته إلى أن جف ومات مثل غصن شجرة قطعت جذورها. والهادي الذي عاد إلى بيته في عطلة الأسبوع من الجامعة، ليرى أمعاءه تخرج من بطنه اثر الرصاص الذي اخترقه وهو يرى أمه تذبح أمامه، قال لي مرة أنه ليس مجنونا، وأن الذي ينقصه هو بعض الحنان وبعض الأمان، بعد أن فقد كل شيء، قال لي أنه يحب الكتابة عند أقدام البحر، عندما يصير هائجا، وأن في أعماقه غليان يشبه ذلك الغضب، قال لي أنه يريد أن ينفجر، ويغرق حتى العمق،

وقال لي أني أشبه الغيوم وأنه يحب الغيوم وسيبقى معها. . .ولكنه ذات يوم ممطر وعاصف وحزين، كنت أرقبة من بعيد، وبسرعة واعية، يدخل. . . البحر، ويتقدّم برجليه غير عابئ إلى أين يتّجه. غرق الهادي وهو يضحك ويرسل بأوراقه إلى موج البحر، انقضت كل أوراقه ولم يتلقى إلا أصواتا صاخبة من البحر، لم يبقى له إلا أن يرسل إليه كل الجسد. كان صديقي المجنون(كما يلقبه الزملاء) هادئا في القسم، وخجولا وممزق الحذاء في أيام البرد والثلج، لم تكن تثيره الفتيات رغم افتزازهن له، كان مولعا فقط بجرائده وكتبه وسيجارته، وكان ملاذه البحر. . . أراه هناك ممددا في فضاء ازرق كالملاك' يناجي الغيوم والقمر، أمد يدي إليه فلا تصل، أناديه بصوت مرتفع فلا يسمعني، أناديه فلا يعود. . .أراه ولا يراني، أشم رائحة ثيابه وجسده وسيجارته وقد امتزجت برائحة الدم والبحر. أبكي' أضحك. . . أهذي: ليتها تمطر في الأرض يا صديقي الهادي. . . ليتها تمطر في كل مكان، ترتفع درجة الحرارة في فراشي وفي جسدي. . .أريد أن أتمدد تحت المطر.

في: 07/ 08/ 2005

نجاة ومان

* من مواليد 15 جوان 1970 "ببسكرة".
* متحصلة على ليسانس هندسة مدنية.
* متحصلة على ليسانس أدب فرنسي.
* تشتغل موظفة بمخبر التحاليل الطبية.
* بدأت الكتابة في سنة 1997.
* نشرت مجموعة نصوص أدبية بعنوان "طبعا إليك".
* تحت الطبع مجموعة شعرية بعنوان "راقني".

مدائن من نور...

على رتبة من توارد وانبعاث...، شدّ فيها الفجر طيفا من ألياف السنين، فغيم الوسن ضبابا على الملأ، تخترقه في خجل بعض حبيبات من صبح زهيد الشفق... وكأني في حلة ربيع مدينتي المترامية على هضاب أملي وفضاء وجدي...، يحفني سرب من الأصدقاء... ذاك احمد وعلي وزينب وآمنة...، وماجدة وخالد وحسن... كنا نستذكر شقاوة أمس بعيد وتعثرات أحلام وأقدام والسفر لا يزال بنا طويل... وعند لحظة انفلاق الغيم، بادرتنا الشمس مهللة.

- "أيا صحبة الغدير مرحى..."، فاغتبطنا... وتبادلنا الحديث جملة وفصلا... نحاكي الشمس كنديم على الوفاء لكل واحد منا...، في إحداثيات بعده وغربته...، ربما دون سفر، كصحبة زمن وردي لا يزال نابضا فينا ولا يردى...

وما هي إلا ثوان حتى قرر جميعنا الرحيل شرقا، لحظات، كنت خلالها قد التفتت نحو اليمين، فإذا بأقحوانة عند حافة المجرى، تعاني الضمأ وجفاف الثرى لاعتلاء منبتها نسبيا ومجرى الغدير...، فاهتممت بتمهيد لها مسرى للماء لا يمكنها بعده أن تعاني حرقة العطش وما غادرت إلا وقد امتلأ مدارها رطوبة وانتعاش...

بعدها انتبهت لرفاقي فكانوا قد ابتعدوا عني ميلا... بينما كنت

أنا أؤمن الارتواء للأقحوانة... راعني رحيلهم المفاجئ

والجماعي...، ولاحت بين ناظري وحشة الفراق والغياب من جديد...، فصحت:

- ما بالكم...؟ إلى أين أنتم ذاهبون...؟ فقالوا جماعة وبصوت يحمل رسائل الشوق ونواصي الفرح...:

" نحو تلال الشروق نحن نمضي...، قيل أن بها تقبع مدائننا من نور...!".

- نظرت للأقحوانة وكنت أراها على بعد خطوات وقد ارتوت، وفي ابتسامة رضا، قلت في نفسي: الآن أعهدك للشمس...، وكان قطب الضياء قد سمع كلماتي إذ أومأ لي بالإيجاب. أليست هي ذات الشمس التي نستودعها تلقائيا كل ما نزرع من أخضر وكل ما نأمل من صبح ودفء وحياة...

أسرعت الخطى لتدارك سفر صحبتي...، وفي ارتباكي ذاك احتفظت يميني بذاك الدفتر، أوراق أدون عليها عادة بعض يوميات زمني... كنا نمشي وكأننا نعبر الأوطان ساعة الفجر وأهلها في سبات نائمون...، نسمع خرير الوديان وأنين التعساء من القلوب...، يتمازج بآذابنا حفيف أوراق الحقول وسجلات المظالم وكتابات الآمال والأحلام دونما ردود...

كانت الجبال في صمتها المعهود تمنح الجوار والإرساء لكل عابر شريد، كأنها ألوية من خلد وأوسمة من علياء لكل زمن من عمر الأرض...، أما البحار فكانت هادئة الموج شفافة البساط، كأنها ترتل قصائدا للشروق...، والبحارة بين مد الحياة وجزر السواد، تتهادى قواربهم وأصداء الهيلا هيلا...، كتناغم حبيبات الزبد

وتراقص القمر عبر الفضاء في حين الكل في عالمه. . .، وكل في مداره يدور. . .

ولما بلغنا أعالي الأرض وتجلت لنا زرقة السماء دنوا وصفاءا، وجدنا مدائننا من روض وقصور يغمرها النور. . . شوارعا وحقولا، وأطفالا بين ذا وذاك تحيا في مرح وحبور. . . كتب عند مدخل أول مدينة، الحق ضوء وضياء. . .، ومشينا بين شوارعها فلم نجد مظلوما يستصرخ ولا مستضعفا يستغيث. . . وعند باب مدينة أخرى نقشت عبارة العدل تاج الأمن والأمان. . .، حيث استشعرنا بين أزقتها وروابيها حميمية التآلف وتجاوز اهتمام الوالي وأمال ضعيف السلطان. . . تقدمنا أكثر، فإذا بنا وعناقيد الكروم لمدينة الكرام. . .، التي أكثر ما ميزها أنه لم تكن بها ظلمة برغم جولتنا الليلية. . .، وكأن ضياء نفوس أهلها قد اخترق عتمة اعتيادية غياب شمس النهار. . . ومدن أخرى وعبارات عديدة أخرى، تعكس كل منها حكمة وبلاغة أهالي مدائن النور. . .، توحي جميعها بالسكينة والطموح الجدي للعمل الأفضل والارتقاء الأعلى. والجميل فيها أنها واقعا نابضا ومعاشا وليست شعارات خشبية ولواءات مزيفة، عديدة العدد وفي نفس الآن غائبة جملة وفردا.

خطوة خطوة. . . تقدمنا أكثر، فلاحت لنا رابية من صخر أبيض وفيروز، تحفها هالات من ورد شفاف كأنها أقطاب أهلة تتهادى وأشرعة سندس وهاج. . . واشتد فضولنا أكثر، فتابعنا الخطى حتى شكلت تنجم السماء ما يقرأ: مروج الشهداء. . .، أرض ضلالها غمائم من درر ماس. . .، ودونما وعي توقفنا جميعا وقد انتابنا شعور جارف بالقداسة والرهبة. . . أجل. . .! فقد حق للشهيد رياض الفردوس والعليين من الجنان. . .

عند تلك الزاوية من قداسة الوجود، انتابني أمواج الذهول يتبعها جزر التضاد بين واقع رغيد وعدم يحفه السواد من كل صوب ومن كل قبيل... زاوية من إسقاط متداول المعالم بسيط الإحداثيات مستحيل التعيين!

فتساءلت...، ما بال الزمن المدون على صفحات دفتري يعمه السواد القاتم كليل موحش الرداء، كئيب الصحبة... دامي العبرات...؟!.

ولم الأحلام الإنسانية الحاضرة دوما في قلوبنا هي أبدا غائبة في واقعنا...؟!!

راجعت في حزن ما تحمله أوراقي ما يشحنها من وقائع أسى واستتراف دمع ودماء... ولاسيما ما يكابده عالم الأطفال من قتل وحرمان وتشريد ومتاجرة سافلة، بطرق شنيعة مختلفة، متواطئة جميعها ومذاهب العدوانية الشرسة وتعاليم الشر الدنيء.

هم جماهير من براعم...، فتية لأغصان ندية من ورد وريحان...، مشاريع أحلام وحملة رسائل العمران... يقاضيها الألم ويتوسد على جباهها اليتم والشتات بين الصباح والمساء ملايين المرات والمرات...

محمد وإيمان...، شبل ورضيع هما من بين آلاف قوافل فتية الشهداء...، أسراب وأسراب من عذب الزهر ودرر العمر من أطفال فلسطين الذين يستقبلون الموت بصدور مفتوحة كل ساعة وكل حين، ويمتشقون حجارة كانت بالأمس منازلا لهم...، يضربون بها مناجيقا من حيث الاسلحة وصلب الحديد...، وكلّهم ايمان ويقين بأن الوطن على مرمى الحجر... وإن طال العهد فالجنّة عنوان لا تحيد...

أطفال الرافدين. . .، وبعد ويلات حرب عدوانية شرسة. . .، هم لا يزالون دون غذاء. . .، ودون دواء. . .، ودون هواء نقي، محاصرون بأغلال يوصدها الظلم والطغيان. . .، مكبّلوا الفرح والآمال بين ألم وحرقة، وتناثر الحلم وهو لا يزال وليد. . .

ولا يغيب عن الاذن هديل الملائكة وهي تصلي على أرواح العامرية. . .، إذا آوى الصغار بالملجأ ليلا يحتمون. . .، في طهر وبراءة عن لهيب المدافع يبتعدون. . .، حتى غدر الغدر بالطائر الميمون حرقا. . .، وقد تفنى الاجساد بينما الارواح فهي لحقّ خالد تعود وللظالم ولو بعد حين يوم موعود. . .

ودونما وعي منّي، كانت قد سقطت من دفتري ورقة ما انتبهت لها في لحظتها تلك، في حين تواردت وهفهفات نسائم تلك المدائن، مدينة مدينة، شارعا شارعا. . .، زهرة ومجرى غدير. . . وأنا لا أزال أتابع فوارق مآسي عالمي وحبور مدائن النّور، حتّى أعلن الحادي نهاية الرحلة وبداية العودة والرجوع. . . وبينما نحن في طريقنا عائدون، سمعنا صوت حارس الدّيار عاليا ينادي :

- ألا أيّها القوم الزائرون والعائدون. . .، احملوا معكم هذا المكتوب. . . !

تقدمنا رويدا رويدا. . .، فإذا بالمكتوب هو صفحة تناثرت من دفتري. . . وقد بلّلتها الدموع. . .، دموع أهل مدائن النور. . . !

فبادرت اعترافا. . . :

- عذرا. . . فأنا صاحبة هذا المكتوب، وقد سقط منّي سهوا دونما قصد وما كان بنيتي إثارة كلّ هاته الغيوم فالدّموع. . .، وإنّما قد زرع النّور بقلبي أملا فوددت منحه لملايين القلوب. . . حتّى سقطت

منّي جبال من ألم لا تزال تواصل النّزق وعنيف النّزيف أوردة وبحورا... وما علمت أنّ من سواد الزّمن وعتمه أيّامه ما لا يغيّره غزير النّور ولا براكين الحبور...، إنّما النّور مبعثه ائتلاف القلوب من ذاتها نحو ذاتها...، وتجييش النّفوس طيبة والتقاء حول أصل مبعثها تمكينا لهويتها وتجسيدا لكينونتها من جوهر للوجود من خلق ومشروع لحسن العمار واستحقاق مصاف صفو الخلود...

وإنّنا سنكتب أحرفا...، نسقيها نسغا من الوريد...، حتّى نبنيها يوما بيوم...، وعمرا بعمر...، على موعد لقاء أزمنة الصبح ومدائن الشروق الغامر نورا للعالمين...

نجـاة زعيـتر

* من مواليد : 1967/12/11 الميلية - جيجل.
* اشتغلت بجريدة الشرق الجزائري ثلاث سنوات.
* شاركت في عدة ملتقيات جهوية ووطنية.
* نشرت قصصها في عدة صحف ومجلات.
* تحصلت على جائزة القصة الأولى ضمن مهرجان عيد الجسور من تنظيم مديرية الثقافة لولاية قسنطينة، والجائزة الثالثة للقصة التي نظمتها لجنة الحفلات لمدينة سطيف.
* عضو إتحاد الكتاب الجزائريين.
* عضو جمعية أصوات المدينة.
* من أعمالها المطبوعة : "رائحة الموت" سنة 2004.

ما يشبه الحبل

تتكاثر الفراغات على مقربة مني، تحاول اختراقي، تتملقني، اشعر بها ذاتا مسيجة صمتا وخضوعا، تغافلني وتتخذ أشكالا مختلفة، كثيرة، بعضها يشبهني، بعضها يشبهك، بعضها الآخر يشبه أمي، والكثير منها يشبه وجوها لم استطع تحديد ملامحها.

لماذا اشعر الليلة أنني قابلة للاختراق، حتى أن هذه الفراغات الهشة بإمكانها الاستيلاء؟ تصر على حصاري، ترفعني إلى أعلى، تجعلني أطير معها إلى حيث لا أعلم، ثم تعود تتسلل إلى داخلي، تقفز فيه تعبث بمبانيه، تهدم وتشيد، تتحد، تصير فراغا ضخما يحتويني.

ماذا حدث؟

لاشيء، فقط تمنيت منذ لحظات أن لا أقول شيئا، كلمة واحدة منه وتنهار الأبنية، تتداعى الجبال، وقد تنبت أشواك على صدري.

ماذا أيضا؟

لو تتخلى السماء عن قطعة من الأرض فتسحب عنها غطاءها.

ترى كيف هي الأرض العارية من سماءها؟

ودون أن أخطط لأية جملة أو موضوع، قلت الكثير، تلفظت برقيق الكلام وحتى تافهه.

كيف أوقف هذياني ؟

لم اعرف، ولم يطلب هو مني ذلك ولا قطعة الموسلين الخضراء أوحت لي بما افعل.

انتصب صمته وقحا كالموت، وأنا ألاحق جملا استهلكتها فتهرب مني ضجرا، أحاول أن أختبئ، انشغل بمسح غبار إحدى الطاولات، أعيد ترتيب كتبي، أتلهى بغسل جواربه، امسك بها طويلا، ادعكها بالصابون، أعيد العملية مرات ومرات، أحاول أن أقيم معها حديثا مشتركا، صامتة هي وطيعة، تشبهني في بعض حالاتي، تستجيب للمسات ارمي بها في الحوض وأعود إليه، متربصا بشفتي كمن ينتظر حكما.

ضيق، ضيق، افتح النافذة، أتذكر أنه لا يحب النوافذ المشرعة، لكنه الآن لا يحتج.

أعود إلى جواربه، ارمي بها في الحوض ثم ارجع لأغلق النافذة.

لماذا لا يقول شيئا ؟

تذكرت أنني تمنيت منذ لحظات أن لا ينطق أبدا، وانه لو فعل قد تختل كل الموازين

حاولت اللجوء مرة أخرى إلى حوض الماء، انعكس وجهي صامتا في المرآة.

شيء غامض امسك بي من ياقة ثوبي، جمع قبضته حول عنقي، حاولت التخلص، راح يهزني بعنف، رمى بي، دحرجني، صرت فتاتا متباعد الحدود، مد يده مرة أخرى محاولا إعادة بنائي من جديد كنت أتفرج عليه، شكل بناء جميلا، طبعا ثم حرر عنقي، واستمر يربت على كتفي واثقا انه أنهى مهمة صعبة.

خفت أن يعود فيمسك مرة أخرى بعنقي، ابتعدت، كان يبتسم كأنه لم يكن منذ قليل قاسي اليد، متحجر القلب، صامت الملامح، فجأة تلاشى، جريت لألحق به، كنت واثقة أنني قادرة على صفعه أو ربما قتله، لكنه عاد فارغا هشا كما بدأ فلم تقدر أصابعي على القبض عليه.

عدت إلى البناء المهشم، كان لا يزال معلقا من أعلى عنقه إلى حيث لا ادري، أردت أن أرى هذه اليد المتحركة بثبات ماكر، الممسكة بطرف الحبل، لكنني تعثرت.

يقولون أن النهر كثيرا ما يعود ليشرب من نبعه، يتعرى من أحجاره، يبكي متاعب الدرب، وخيانة الأصحاب، ثم يعود يجمع مياهه، يحضن أحجاره، ليواصل الرحلة قويا، قاسيا وممتدا.

ارفع راسي، أرى الحبل يتأرجح، كان أطراف أصابع تمسك به، أو هكذا خيل لي. . . المتحرك عنيف، قوي، يحوم حولي بثقة، يغمرني، يجمع شعري في قبضته، ثابتة في مكاني أعي جيدا منتهاه، أترصد حركاته، انتظرها وقد اسببها، ثم أعود أبررها وقد أقاومها وابكي قدومها في غير أوانها.

لكن لماذا اشعر اليوم إنني لا أجرؤعلى اقتحام هذا الصمت وحدي ؟

امشي ببطء، أتعامل مع الأبواب بكثير من الحذر، انفرج على الصور المتلفزة، وأتسلى بقراءة ما تقوله الشفاه.

تمتد يدي إلى قطعة الموسلين الخضراء تعبث بها، كثيرا ما كنت أواجه الصمت بتعمد إصدار أصوات وجلبة، لكنني اليوم لا أجرؤ، بدا لي خائفا مهيبا، كأنه جدار يهيئ صلبي عليه.

بالغت في اتقانه، عاد الحبل يتدلى، رفعت رأسي مرة أخرى، رأيت يدا مشعرة تتلهى بتحريكه يمنة ويسرة، بينما جواربه في الحوض واثقة تضحك من ثباتي وصبري.

ابتسمت وأنا أتذكر هفواته الصغيرة، ابتسامته الماكرة، ارميها بقطعة الصابون تتشكل حولها دوائر وفراغات، تولد كثيرة الأحجام مختلة الأشكال، لكنها لا تخترقها، ليتها تتحد في شكل أضخم فتطيرها وتريحني من النظر إليها.

الحبل يتدلى، يتأرجح، يتلوى، يتسلى بقذفي يمنة ويسرة، يطول ويقصر، أراه شفافا، يجري بداخله سائل بلون الدم، يضيق ويتسع، مشدودة إليه من عنقي وبعض أطرافي.

تصلني أصوات كثيرة وغريبة في آن واحد :

ما كان لها أن تعاند الحبل.

قطعة الموسلين الخضراء ترصدني، تتعقب صمتي، تطيرها خطواتي المرتبكة، تعود ترقبني من إحدى الزوايا، أتخيل نظراتها الخضراء تتربص بفتحة صدري، أين كانت مضغوطة بيد العجوز "حدة " التي توهم فيها بعضهم البركة، فصدقت وراحت تحيك الكثير من الأساطير عن ورع جدها واستجابة الله لدعواته وابتهالاته.

غضبت كثيرا عندما ذكرتها بمرضها المزمن وعجز بركتها.

لم ألم ربما هي عين الشر والحسد قالت العجوز

" غريمتك بعيدة وقريبة، تمكنت من احد أثوابك، مزقته ودفنته في أرض لم تطأها قدم، هو يحبك، وهي تحبه، تغلبك بالسحر والأولاد، تغلبينها بالحب.

الحبل يتدلى، رقيقا، شائكا، قطعة الموسلين الخضراء ظلت عالقة بالأرض، تطيرها نسائم الليل وأقدامي المسرعة.

لماذا لا يقول شيئا؟

لماذا يختبئ من الحبل؟

كان يعرف أن قلبي الضعيف لا يحتمل فرحة إعطاء الحياة لروح أخرى، لكنه أصر أن لا مكان للآخر في حياتنا العامرة.

لماذا يعاقبني ويترك الحبل؟

وهل حقا يغلب السحر الحب؟

رفعت رأسي ابحث عنه، وعندما حاولت الإمساك به، ابتعد، تراقص ثم اشتعل فتيل نار، خفت منه، هربت إلى الخلف، ثم إلى الأمام، ثم لا أدري، ربما تطايرت قطعا متفرقة.

استقبلني وجهه عائما في ظلمة الصمت، لم أجرؤ على اختراقه، لكنني تعرفت عليه، ربما كان يشبه الحبل، شائكا، مشتعلا ومشدودا هو الآخر حيث لا أعلم...

قسنطينة صيف 1999

نعيمـة معـمري

* كاتبة قصة من مواليد 1969 بالجزائر العاصمة.
* خريجة معهد الآداب.
* نشرت عدة نصوص بالمجلات والجرائد.
* بحوزتها أعمال قصصية مخطوطة.

رمــاد الوقــت

تمطر، تمطر ككل شتاء من كل عمر، تمطر وتوجعني هذه المدينة المقفلة على الفــرح النائمة بعيون مفتوحة متعبة منهكة، تتأهب للموت، تموت قليلا ثم تحيا، تبهرني هذه الحياة.

مطر يفاجئ المدينة وينتابني ذلك الإحساس الطفو لي بالمرح وبالرقص تحت المطر.

وحدي بقيت احتل الأرصفة والطرقات، انساب عبر حبات المطر الشرسة أفيض بهجة وأسعد مع حفنة من الحلازين السعيدة والديدان الصغيرة التي خرجت للتو.

تراها خرجت لتحتفل بموسم المطر على طريقتها ؟

واحسدها . . . احسد قدرتها على التعفر بالتراب، بالوحل.

آه، تراه الحنين الأبدي للأرض (الرحم الأول الحاني)، من داخلي لم يبرحني بعد صوت الطفلة التي كنتها، الطفلة ذات العشر سنوات والتي غافلتني ذات وقت وكبرت منذ أكثــر من عشرين سنة، كبرت لكن ظلت قابعة في داخلي تقرا في كتابها المدرسي :

Paul Eluard Il Pleut Dans Mon Coeur.Comme Il Pleut Sur La Ville

في العمق تتحطم أشياء ورواسب لينصت القلب لإيقاع الطفولة، المطر، الوطن.

واركض، اركض، من أين تنفجر قدرتي على الركض هكذا ؟،

من أين تنبع بداخلي هـذه الرغبة الشديدة في الركض أم تراها الرغبة الشديدة في الخلاص؟

ويقتلني انه في هذا الوطن تحولنا جميعا إلى كائنات بائسة لا تفكر إلا بالخلاص.

أي خلاص؟ واينه؟

هل البحر هو الخلاص؟ الموت؟ أم هذا البقاء البائس؟

تمطر، تمطر ككل شتاء من كل عمر تمطر.

وأتدفق عبر الأزقة والطرقات المبتلة بحكايا المارة الحذرة بالاحجيات القاسية وبقايا كوابيس على وجوه لا تزال نائمة.

وتتدفق النهارات البائسة، تأتي، تفيض بقسوة الليل ورعبه.

ويتعدى الجميع على نقاء الصباح وصفائه بقراءة الجرائد.هذه العادة القاتلة.

في كل صباح كنا نستيقظ لنعد موتانا على صفحات الجرائد وفي كل مساء كنا ننتظر موتنا القادم المحتوم.

الموت هذه الآلة التي كانت تحصدنا بجنون دونما رحمة دونما حق.

واهرب من الجميع، من الجرائد، من الوجوه، من المدينة، اركض. . . اركض لأسقط في فوضى الجدران، في جرأتها.

الجدران المعلقة على ألف جرح والتي كانت تقول أسرارها. . . موتها بكل تحد.

واتعب يبدو لي انه هنا في وطن الجحيم، هو في وطن المسلخ لم يعد يحق لإنسان أن يصنع سعادته.

إذ كيف نصنع سعادتنا في وطن يضج بكل هذه الجثث المقتولة بعناية وتبريرات مسبقة سخيفة؟

المدهش حقا انه ورغم كل هذا الجحيم كانت تشرق. . .كل يوم.

تمطر وتتبعني كل أمكنة البيت. . .الشوارع. . . المدن كلها علب هندسية مرسومة بإتقان لكنهـا فارغة قاتمة تجتر موتنا. . .تهيئ موتنا المباغت توهم بالاستقرار لكنها في الحقيقة عاجزة عن لم شقائنا الدائم.

وتكبر رغبتي في الركض مرة أخرى.

كيف حولتني هذه المدينة إلى كائن مهوس بالجنون والركض في كل الاتجاهات.

في الحقيقة لقد أصبحت أؤمن أن الحياة اصح وأنقى في هذا التماهي. . . الانطلاق الانسيـاب، وهذا الركض.

واركض. . .اركض، وعند بوابة المدرسة المستيقظة في الذاكرة أقف.المدرسة لا تزال تنتصب هنا بين أشجار الصنوبر وأعشاب الخبيز في العلى والأزهار البرية ورائحة الصنوبر، ها أنا أشمها لا تزال تعبق بالمكان .

والساعة تكاد تقترب من الخامسة مساءا، والطفلة ذات العشر سنوات أظنها لا تزال هنا

تنتظرني منذ أكثر من عشرين سنة وهي جالسة في الصف هادئة خجولة بعيون كبيرة تحبل بالدهشة بالأسئلة المقموعة المعلقة وبذاك القلب الذي يبرعم فيه الوطن وينضج. . . (عليك مني السلام).

رنين الجرس صراخ الصبية هاهم يتدفقون كشلال ضوء، يركضون

يصرخون يلعبون ويتراشقون بالحصى، يلتقطون الحلازين الصغيرة من بين الأعشاب يداعبونها ثم يلقونها على الأرض يدوسونها بفرح بريء. . . شرير.

هاهم الآن بالطباشير يرسمون خطوطا كبيرة تشبه قرص الشمس أو قوس قزح. . . أنها خطوط تغري بالقفز. . . الزحلقة، والتحليق.

فجأة يبتلعهم الغروب. . . ها هي قهقهاتهم النائية تتناهى إلى مسامعي وها أنا وحدي أبقى في فراغ المكان مخيبة مشدوهة. . . ممتدة يدي إلى اللاشيء.

والطفلة لم تأت ولن تأتي لكني متأكدة أنها هنا في مكان ما إني اسمعها تردد أغنية الوطن. . . (عليك مني السلام).

وكان الغروب. . . وصادف أن اندلع الحريق.

يما. . . عمر ابن الدار الكبيرة في فراشه نائما يهلوس يتصبب عرقا ويصرخ. . . يما. . . يما. . . النار

والتهم الحريق كل شيء. . . الغلة. . . الحصاد. . . أكواخ الفلاحين. . . المدن. . . القرى. . . الحقول.

اندلع الحريق وظلت حكايا عمي الكومندار لا تنتهي وتظل متجلية أمامه مبهمة تارة وقاسية مرة أخرى.قال لا يهم يا ولدي أن تفهم الآن أن المهم أكثر أن تسجل على لوح القلب وتعرف بان هذا الوطن لنا وأن دروب الرجال شاقة ووعرة.

يبكي عمر. . . يبكي كثيرا شيء ما ينضج بداخله لا يستطيع تحديد ماهيته.

لكنه شيء يتمكن منه شيء يشبه ميلاد الأوطان.

ويستمر الحريق، العسكريون الفرنسيون ببدلاتهم العسكرية وحزماتهم الغليظة وجوههم القاسية يحصدون الشوارع بحثا عن الثوار ويقتحمون الدار الكبيرة.

ومن قبو احد السجون المظلمة المتعفنة كان يرتفع صراخ وأنين وصمود رجل الثورة حميد سراج ومعه ترتفع زغاريد النسوة تحيا الجزائر.

ويستمر الحريق وعمر لا يزال من فراشه يصرخ ويتصبب عرقا ورعبا وماكينة الخياطة تشتغل لا تتوقف تتحدي... تتحدى الموت تتحدى الحرب.

يغافل الحريق الوقت وينزلق عبر عجلة الزمن... انه حريق من نوع آخر انه جنون... هوس... هوس.. .هوس... هوس... هوس...

ولا احد يصدق

أية حمم تقذف بهذا الجحيم؟ أية ارض تبتلع كل هذه الحمم.؟

كل شيء كان يحترق وكالعادة حاولت وسائل الإعلام أن تنقل لنا أخبارا عن الحريق لكن حين اطل إسماعيل الولد الكبير بملامحه الطفولية وابتسامته المعهودة امتد الحريق إلى مبنى التلفزيون وهاجم إسماعيل داخل الأستوديو وعلى مرأى من الجميع حاول إسماعيل أن يركض نحو خلاصه لكن الحريق تمكن منه هاهو يحترق ويتحول من كائن الحياة والنور إلى كائن من موت ورماد ما أبشع الموت.

وبعده حاصر الحريق مبنى التلفزيون... الجرائد.. .الأفكار... والنظريات.. .مقرات الأحزاب خبزة الزوالي.. .حيطان الأولاد الأشقياء وحتى الرجل الذي خرج ذات زمن نحو مقبرة منسية بحثا عن

العظام ليرد لها الاعتبار احترق وهو في طريقه إلى المقبرة.

هاهو الوطن قد تحول إلى أعمدة دخان تتقيا رائحة الجثث المفحمة العفنة.

وقيل في الأساطير الأولى إن عجوزا مرت من هنا وظلت تهرول وتتمتم في سرها بان هذا الوطن قدره الحريق.

عليك مني السلام...

وكانت حكايا الوطن ولم ننتبه يومها أن المسالة مسالة سلم وسلام.

إيه السلام هذا الحلم الذي سنظل نطارده فوق خرابنا وموتنا ويومها مات الرئيس.

وبدا الإحساس بالدوار المروحية فوق رؤوسنا ظلت تلفتنا وتلقي علينا ببطاقات الصبر...يومها

تعلمت وتيقنت أن الصبر ينزل من السماء تماما كما كانت دوما تقول جدتي.

مات الرئيس وشهدنا القيامة الحشود... الصراخ...العويل.

في الحقيقة قد نشهد القيامة في أية لحظة من لحظات العمر.

وسمعتهم في ردهات المدرسة يتحدثون بصوت منخفض يشبه صوت علي بابا واللصوص الأربعين وهم داخل المغارة يتقاسمون الكنز ولأول مرة اشعر بالرعب يتحدثون عن ضرورة الاستقرار السلم والجيل الذي يجب أن يزرع داخل المخبر وعرفت أننا فقدنا الوطن... إننا في الحقيقة داخل مخبر بارد وعشرات من الرجال العلم منكبون علينا بانهماك يفتحون رؤوسنا الصغيرة يوجهون خطواتنا

وكان ما كان كنا في النهار نلف وندور... نركض ونهلوس... نلتصق بالجدران نحتمي بها كثيرا وفي الليل نتقيأ يومياتنا وخيبتنا دوائر مربعات جريئة معلقة على الجدران.

وها أدور حول نفسي جسدي الآن أشعله جسدي الذي يقطر بالإغراء كل حركة فيه هي غواية...

انساب على هذه الموسيقى الصاخبة انتهينا جميعا داخل هذه الدائرة أجسادا تدور حول نفسها حول بعضها البعض ترتطم ببعضها البعض وتتسلق الهذيان... تدور وتضحك وتنسى، أنا وغزالي يا لآلة أنا وغزالي في الجبل نلقط في النوار.

إيه يا لآلة شيخة الشيوخ أيتها العجوز الجميلة أين هو الجبل اكتشف فجأة أننا وطن محروم من جباله من جماله هل هناك وطن بدون جبال؟

وكان الجبل يوما ما رمزنا.

إيه يا لآلة أين هو الجبل؟

حين يأوي إليه عاشقان في حذر وخوف يتبادلان القبل ويدركون أنهم في وطن يشير إليهم بأصابع الاتهام وطن يهوي عليهم بعصا كبيرة وطن يقول لهم لا حق لديهم في الحب وانــه يتعين عليهم اللعب بطريقة أخرى... العيش في الحرمان والاحترام.

سنتحدى هذا الوطن المقفل علينا بالحب وبنوتات الموسيقى

وفي سيارة أجرة رحت ألف المدينة بحثا عن مقهى السنفونيا، ها هي شوارعنا تتهيأ للحياة...للموسيقى وفي تلك اللحظة كان العالم بأسره ينجز قاموسا للحزن الموحد كان العالم يبكي تماثيل كابول الجميلة المبهرة إبداع لا مثيل له، كان ينهار يتهيأ للحزن أمام مرأى

الجميع وكان العالم بأسره يشير إلى توقيت كابول... كاندهار.

كانت عملية اغتيال تبث على المباشر، واحتميت بالموسيقى في مقهى السنفونيا.

وجه الصديق يعلوه تعب... حزن ولم اعد أجهد نفسي في التوغل في قراءة ملامح الوجه كان دوما يكبر بداخلي الحنين إلى الوجوه التي تنساب وها وجهك يقتحمني تصب العصير في كاسات تراقص أشعة الشمس يوم اقتحمتني عرفت معنى العطش ومغزى الماء.

ظل صوتك ينساب مع رنة الموسيقى وشوشة ظلت أتحسس وقعها..كانت لوحدها كافية لإثارتي لم اصدق أن الوشوشة ممكن أن تكون عنيفة لقد هزتني... أيقظت كل مسامات الجسد النائم والروح الهائمة وفي الهواء كنت أشمك كان لك مذاق ورائحة وفي عتبة ثغرك كنت أهيم بتلك اللذة النائمة التي كانت تقطر بصفاء آه إني اسمع ووشوشتك كانت تشبه نداء قمري لحمامته

معا أدركنا لغتنا يومها يوم يولد الحب دائما حيث لا ننتظر لا نتمنى وكم كان جميلا كان عنيفا وفضوليا

معا انحدرت من جنون الوطن الدائم هربت من تخدير السياسة لنا.

معك انزلقت إلى عام الطفولة عالم أليس الحالمة بين الأحراش والأعشاب بالجمال... الشمس الحب... لم أكن اعرف من قبل انه بداخلي كانت تنام تلك الطفلة الصغيرة السعيدة بعالمها.

وكانت من قبل قد شوهتنا السياسة وتزاحمنا في هذيان وقلق دائمين نلتقط أبجدية لهذا الوطن المنزلق عبر متاهات الجنون النازف من حيث لا ندري.

أليس كم كانت بداخلي صغيرة لكن أحلامها كانت جد قصيرة واستيقظت. . .

واستيقظت على نهارات أخرى قاسية وعرفت انه عبثا وعنوة كنت أروض أنوثتي على

فراشك كنت أنثى فاشلة بداخلي كان ينام كل بؤس العالم وشقاؤه نحن لا نستبدل وطنا بسرير أو ببيت.

ها هي كل محاولات الصلح مع الحياة تتوج بالفشل أو بالحقيقة عرفت أن في هذا الوطن، الوقت لا يشير إلا إلى الموت، اكتشفت انه لا يمكن تعليق الغسيل إنجاب الأطفال. . . سماع

الموسيقى انزلاق أنثى وانسيابها في سرير رجل دون وطن. . . أمن.

ومرة أخرى كانت السياسة تلك الأفعى التي تحاصرنا وتمتصنا على مهل. . . تتسلل إلينا.

واستيقظت رغبتي في الركض مرة أخرى يا الله هذا الكائن الشريد المهوس بالركض والجنون يحتلني سيفسد حياتي.

في ذالك الصباح القاسي تجمعت النسوة في ساحة الحرية مطالبات بمعرفة مصير أبنائهـن وهو حق من حقوق الإنسان كان التجمع جد كبير كالعادة طوقته الشرطة لا يمكن لأي تظاهرة أن تخرج عن الخط المرسوم لها، من حقك أن تطالب بحقك لكن ليس بالطريقـة التي تزعج الآخرين في التمتع بحقهم في الهدوء والراحة. . . الحياة، لكن للأسف تحولت التظاهرة إلى احتجاج رسمي عن الحياة في وطن لا يقدم لأبنائه سوى الموت المعلن رسميا على صفحات الجرائد واستعملت الشرطة القنابل المسيلة للدموع

لتفريق الجموع صراخ الجماهير بالهتافات وهاهو الرصاص سيد الموقف.

وركضنا جميعا في كل الاتجاهات وها أنا انتهي إلى احد الشوارع اصرخ مع بعض النسوة اللاتي كن حاملات صور أبنائهن وخلفنا كان لا يزال احد الشرطة يلوح بهراوته ويصرخ يا بنات لحرام.

ركضت مع الآلاف بكل إحساسي بهن وانتمائي إليهن وفي طريقي إلى الموت ضيعت درب العودة إلى البيت إلى بيتنا في تلك اللحظة نسيت كل شيء يتعلق بالحياة وحين صادفتك في احد الشوارع ولم أتعرف عليك كنت منهمكة في الصراخ نسيت كل شيء يتعلق بالحياة وحين صادفتك في احد الشوارع ولم أتعرف عليك كنت منهمكة في الصراخ الاحتجاج الإدانة،

والركض كنت منهمكة في البحث عن الحقيقة عن الخلاص ولم يعد وجهك يعني لي شيئا كان وجهك في تلك اللحظة يشبه باقي الملايين المعذبة المتعبة الذاهبـة إلى الموت براحة ويقين لم يكن لدي الوقت الكافي كي ابحث في ذاكرتي عن وجهك عـــن اسمك عن الإطار الذي قد جمعنا ذات يوم.

في الحقيقة وفي كل الأحوال لم اعد أعي أي شيء... كل ما كنت أعيه أنني كنت أهرب منك نحو وطن يهرب مني ومنا ينفلت يتفتت أمام أعيننا كالسراب وأنها كانت لا تزال تمطر ككل شتاء من كل عمر وان المطر كان ينزلق يتسلل من تحت ثيابي يغسل شعري المتكوم على مساحة وجهي المتعب البائس.

وإني لم أزل اركض في المدينة الموجعة المقفلة عن الفرح متجهة نحو منعطف ما لطريـق لا تزال طويلة.

نوال جبالي

* من مواليد 06 جانفي 1983 بقسنطينة.
* نشرت نصوصها في مختلف الجرائد والمجلات.
* صدرت لها مجموعة قصصية "الخريف امرأة" 2001.
* حازت عام 2003 على جائزة البحر الأبيض المتوسط.
* شاركت في عدة ملتقيات أدبية
* طالبة بكلية علم النفس بجامعة قسنطينة
* من أعمالها تحت الطبع: "روحك بمحاذاة الوحشة..".

الصراخ في قلب العتمة

أفتح عينيّ...

أسمع صراخي وذعري: (**أين أنا؟ أين أنا؟!**)عبثا أحاول الحراك، أعي أنني مقيدة إلى سرير في غرفة ما ولا أعي غير هذا شيئا، رأسي ثقيل ثقيل وأستميت لأخلّص جسدي من قيوده، أسمع أنفاسي تتلاحق...أصرخ أكثر:(**أين أنا؟أين أنا؟هل من أحد؟!**)، ثم أبكي...تدخل امرأة بلا وجه ترتدي زيّ ممرضة، تتجاهل أسئلتي، تحقنني في ذراعي وأنا أترجاها

ألّا تفعل، وأن تقول لي أي شيء لأفهم...لأفهم...تعاملني كجثة وتغادر كأنها لا تسمع صراخي...أنتحب...وتبدأ حواسي بالتبعثر والتغييم، يبتعد صوتي عن مسامعي وأغرق في محيطات العدم المظلم، أنحدر إلى القاع الداكن بالتدريج، بالتدريج...تغتصبني الكوابيس، أغوص إلى الوراء بسرعة سكين الغدر، أنزلق خلف الوجود بعنف.

(الوقت خريف، كان عليّ أن أقطع كل هذه المسافات لأدرك أنه تاريخ الزمن الجميل، أبدو سعيدة لكنني غير راضية في العمق...تركض "نوال" فرحة إليّ بيدها جريدة، تعانقني بحرارة وبصوت ضاج تهتف:

- مبروك يا عزيزتي، لقد حققت الكثير في هذا العمر الصغير،

إنك معجزة يا "نُهاد" أنظري ماذا كتبوا عنك في صحيفة الشروق اليومي: "ظاهرة الأدب الجزائري..."، لا تقولي أنك لست سعيدة بعد كل هذا؟!

- في الحقيقة أنا سعيدة فقط بسعادة أهلي بي، حين أرى ضحكة أمي ينتابني الرضى، غير هذا أنا لست راضية عن نفسي، كان عليّ أن أنشر شيئا أجدى من هذا، كتابان لم أضع فيهما شيئامن فكري، من جنوني وإبداعي، إنّ هذا يؤرقني ويزعجني

- أوه "نهاد" افتخري بنفسك وكفي عن التشاؤم والتواضع المبالغ فيه، لقد استضافك التلفزيون والإذاعة وأنت حديث الساحة الثقافية اليوم، افتخري واغتبطي فبدايتك ناجحةوفكري كيف ستكونين غدا؟!

- علميني ذلك وأقنعيني بجدواه...)

أفتح عينيّ...

الوقت صباح، تأتيني الأصوات من الخارج، أسمع صراخا وضحكا وشجارا وضجيجا،

أصرخ(أين أنا؟) ليدركني أحد، لازلت مقيدة ولا أعرف لماذا، أصرخ متذمرة: (أخرجوني من هذا الجحيم).

يدخل رجل ضخم يتجه نحو سريري ومعه ممرضة تحمل صينية معدنية مربعة عليها طعام الإفطار، أبادرهما بالصراخ: "لماذا أنا هنا؟ وأين أنا ؟ ولماذا؟ "

بصوت خشن ولامبالي يرد: " سأفك القيود من يديك لتأكلي، ابقي هادئة أحسن لك حتى لانضطر إلى تخديرك مرة أخرى"

- ولكن أجبني فقط أين أنا؟

- ألا تعرفين حقا ؟ أنت في مكانك الصحيح. . .

- أنا لست مريضة. . .

(تضحك الممرضة): نعرف ذلك، أنت مجنونة فقط. . .

(أصمت. . . وأفهم. . .برعب أعي الذي أنا فيه. . .)

يقول وهو يطلق سراح يديّ : هكذا نريدك، هادئة وفقط، ابقي هكذا أيتها الجميلة، تناولي وجبتك بسرعة سنعود لتقييدك بعد قليل.يخرجان. . .

ما هذا الذي أنا فيه وكيف وصلت إلى هنا ؟! أيعقل هذا؟!

لا . . .أخرجوني من آتون العذاب هذا . . .أخرجوني من هنا. . .

أنظر إلى صينية الطعام بغضب، أضربها إلى الأرض وأصرخ :لا أريد أن آكل بعد اليوم، في داخلي جوع إنساني. . . للحب. . . للحنان. . . للتفهم. . . في داخلي جوع للإنسان ولن تقدر كل مطاعم العالم المحتشدة على إطفائه لا أريد أن آكل. . . أنا جائعة للحرية والعدالة، أخرجوني من هنا. . .

يدخل ذات الرجل يرمقني باحتقار:

- ماذا فعلت أيتها اللعينة، أنت وحش عنيف لايمكن إقناعك إلّا بالقوة. . .

- ماذا تفعل، أتركني. . .

- سأقيدك بالتأكيد ولا تكوني حمقاء، ستزورك أخصائية بعد لحظات تريد أن تتحدث معك، كوني مهذبة في حضرتها وإلّا . . .

- لا أريد أن أكلم أحدا، أريد الخروج من هنا...

يصفعني ويخرج...

- سافل... حقير، متوحش... ستندمون على هذا... آه... تبا...

تحتشد الغصات في صدري، في حلقي، في قلبي، تتضايق روحي في قيودها الأرضية والسرمدية، تعتصرني اللاجدوى تصلبني بسلاسل العجز وأبكي...

تدخل امرأة، لا أنظر إليها، أتابع بكائي كأنني آخر تعاسة في جحيم الأرض، تقرب كرسيا إلى سريري وتجلس عليه، تتأملني:

- لم البكاء يا ابنتي؟

(كلمة ابنتي رغم برودها جعلتني أبكي أكثر، ينبت وجه أمي داخل دموعي...)

-....

- قولي لي لِمَ تبكين لأساعدك؟

- أنا أحيا فقط.

- ألا تعرفين طريقة أخرى غير هاته الطريقة البائسة؟!

- إن تعلمت فالفضل لكم...

- ما اسمك؟

- اسمي غربة.

- حسب ما أذكر، فالمدوّن لديّ اسم آخر!

- ماذا تريدين أن تعرفي إذن؟!

- كم عمرك؟

- قبل أن أعرفكم أم بعد هذا؟

- إنك متاهة حقيقية!

- أليس اختصاصك المهني يحتم عليك تقصي المتاهات؟

- حسنا. . . سنتحدث مباشرة، لماذا تحاولين أذية نفسك؟

(بغضب أسود أنظر إليها، في عينيها لؤم منتصر، بذل أتمنى لو كانت مقيدة في مكاني، أتنهد دون أن أرتاح. . .)

- ألا تعرفين لماذا أنت هنا؟

- قولي لي أنت؟

- لقد حاولت الانتحار، عثر عليك رجال الشرطة في شقة مع مجموعة من الشبان والشابات وكنت فاقدة لوعيك إثر جرعات كبيرة من المخدرات والكحول وكنت على أرضية الحمام تغرقين في دمائك. . .

-. . . . . .

- لقد كان صوت الضجيج والموسيقى الصاخبة في الليل ما جعل أحد الجيران يبلغ عنكم، لو لا ذلك لم يكن أحد ليتفطن لموتك الأكيد، لقد نقلت مباشرة إلى المستشفى، وبعد الإسعاف والعناية أفقت بعد ثلاثة أيام واتضح أنك تحت تأثير صدمة وقررت إدارة المستشفى إحالتك فورا إلى هنا في هذا المصح العقلي، وهذا بعد محاولة انتحارك وبعد أن كتب الطبيب الشرعي في تقريره أنه عثر على آثار جراح مندملة على جسدك اتضح أنك السبب فيها.

- ما شأنكم بي؟

- أنت خطر عنيف على نفسك ومجتمعك علينا اعتقالك.

- لم أؤذ أحدا من قبل ولست مجنونة، أخرجوني من هنا.

- لست أنت من يقرر هذا.

- أريد أن أخرج. . .

- ولماذا تريدين الخروج مادمت لا ترغبين في الحياة؟!

- إن هذا الذي أنا فيه هو الحياة التي لا أرغب فيها الأكثر.

- نحن نريد مصلحتك ونحن من يقررها لك بالطريقة التي تناسب حالتك.

- لماذا لا تجلبون إلى هنا المجانين الحقيقيين الذين يقررون لنا بؤسنا ومذلتنا وجحيمنا، لماذا لا تصطادون أولئك الذين يخططون لنحرنا، ويقامرون بأرواحنا ويثملون بأحلامنا ويعومون في برك من دمائنا على امتداد هذا الوطن، لماذا تتحالفون علينا، تسوقوننا في سقطاتنا الواحد تلو الآخر وقد ترعرعنا معكم في ميتم واحد، ألا تذكروننا. . .ألا . . . (أنتحب).

- حالتك خطيرة يبدو أن إقامتك ستطول هنا أيتها الأديبة المتفلسفة (قالتها باستهزاء وضحكت)

أصرخ فيها : أنت جثة بائسة تتوهم الحياة، أنت نكرة داخل مواكب القطيع، إنك مثلهم تضعين أمثالي داخل القيود لتتوهمي حريتك، أخرجيني من هنا أريد أن أخرج. . .أريد أن أغادر من هنا أطلقوا سراحي، أخرجوني. . . هذه مؤامرة. . .

تتأملني هازئة، أصرخ. . .أصرخ وأشتم برودها وحيادها وخيانتها، أصارع بقوة وأصرخ، أنجح في إفلات ذراعيّ من القيود،

أقترب منها وأحاول أن أضربها، تدفع الكرسي إلى الخلف بسرعة، تنهض مرتعبة تتجه إلى الباب وهي تصرخ طالبة المساعدة.

يدخل الرجل الضخم ومعه ممرضة يركضان صوبي يثبتانني بعنف وتخرج الممرضة حقنة تضغط على ذراعي بقوة وتحقنني بها، أصارع قليلا وهما يقيدانني ثم يجثم الثقل على جسدي، أسمعهما يحدثان المرأة المرتجفة: هل أنت بخير سيدتي؟

- أجل، لكنها خطيرة ومتوحشة، يجب أن تـ......

يبتعد الصوت.. .يقترب عمقي، ألتحم به، وننهار معا، نهوي ببطء...ببطء.. .داخل الظلام الكثيف ببطء، داخل برد العتمة باستمرار... باستمرار، ببطء واستمرار، نغرق... أغرق، في الظلام اللزج أغرق، أغيب وأنطفئ...

أفتح عينيّ...

إنه الليل... أعود إلى هذا السرير الزنزانة...إنه الليل... أستيقظ مذعورة، إنه الليل...وثمة برد أسود يسري في ذاتي يركض فيها بجنون...إنه الليل...ويأتيني صراخ المعتقلين داخل أحزانهم وانكساراتهم، إنه الليل...ويأتيني صراخ قبيلة معذبي الأرض بكل مايبعثه في حجرات الروح النازفة من رعب ووحشة، إنه الليل... يصرخون...يعولون...ويخترقني هذا الصراخ الذي يذكره قلبي دون أن أفهم، كأنه رفيق ميتم قديم...إنه الليل... ينتحبون بصراخهم، وينزف شريان مقطوع داخل وجعي الرهيب، تتكاثف الأصوات في اتجاهها إليّ..، أصوات عواء بشريّ، أصوات نحيب موحش، أصوات همهمات تعيسة، صوت تحطم مرايا، ضحكات ممزقة... مرعبة... منكسرة...صراخ موحش موحش... أنين محزن وصداه

في أعمق ثقب في القلب... أضيف صوتي...أغني ببردي، بكآبتي، بوحشتي، أنتحب داخل غنائي الجنائزي...

أصوات المطر تفاجئ صوتي تشاركني برماديتها غنائي، الريح تقرع النافذة بالمطر وبالأسيد الأسود الذي بكته "باندورا" حين فتحت صندوق الآثام...الكلمات زرقاء...الليل دمعة زرقاء باردة، أنا أيضا جثة زرقاء باردة...إنه الليل... عيناي مفتوحتان تتعلقان في الفراغ العلوي، تخترقان السقف والكوابيس المحلقة فوقي، زائغتان...نائيتان كعيون القتلى...أخالني جثة مدهوشة، ألّحن أنيني على إيقاع قلبي المرتعب، أخالني منتشرة في براري المدافن التي تجلدها الأمطار الوحشية ولازلت حية، عائدة من الحياة واليها... أخالني مصباحا مكسورا داخل قبو كوابيس موصد بالغبار والنسيان والخوف...إنه الليل...تدخل الصرخات إلى روحي عبر أبواب الظلام، تتحرك كديدان جهنمية وتفور من ثقوبي المظلمة المتعفنة التي تؤدي إلى هذا العالم... أنظر خلفي إلى داخل رأسي، ينمو الضجيج، تتناسل أضواء خافتة، تتلون، تتراقص، تتلوى، تصمد، تنطفئ، تتوهج، تخلق وجهي في فوضاها، أرى المكان، وأرى ما كان، أعود إلى هذيان الذاكرة في قلب الوحدة المرتجفة:

(الأضواء خافتة داخل علبة معدنية مسعورة باكتظاظ رعاياها، محمومة بهذيانهم وجنونهم، باردة بشحوبهم، بوحشتهم، بوحدتهم داخل هذا الزحام الليلي، مجنونة برقصهم، بصراخهم، باحتجاجهم السريالي المرعب داخل وحشة الروح وجوعها الصارخ...

أراني على طاولة البرد أتسول النسيان والنسيان، وجوه الرفاق والرفيقات تتبدل حسب تبدل ديكور المكان، وأنا لا زلت وحيدة بينهم مخمورة كالعادة، غريبة كالعادة، أغرق داخل كؤوس الوحشة ودخان

الوحشة وأسئلة الوحشة وضحكات الوحشة. . .يتسارع تواجدي في مكان واحد متغير، أراني داخل تشرد الليل الذي طالما احتوى ضياعي، منتشرة بتعاستي على مدى خطوة متسكعة مسافرة مع الريح. . .

أنظر إلى مشاهد أعرفها. . .الأضواء ترتعش، تندلق بألوانها الصارخة عليّ ويبدو العرق على وجهي شيفرة للحقيقة بكل أبعادها. . .أحمر بلون نزف جراحي الغائرة، أزرق بلون برد روحي المشروخة، أصفر بلون سأمي ولا جدواي، بنفسجي بلون أوهامي وهذياني، أخضر بلون أحلامي وشهواتي، رمادي بلون ضياعي وحيرتي، ثم الليل بلون يأسي وانطفائي. . .

أراني مختبئة في صدر رجل، شيء في حزن عينيه يعني لتعبي وتوحدي الكثير، أتشبث به بكل مالي من جوع في ذاتي إلى الدفء والحنان، وربما كنت أحبه حقا، أبدو ثملة، يضمني إليه ويهمس في أعماقي، وأحاول أن أصدق أنها ليلة أبدية وأقبّله. . . الوجوه كثيرة، الأضواء مثيرة، صوت الموسيقى صاخب، الحركة كثيفة، ورغم هذا لا أرى سوانا. . .أراقصه على امتداد الليل وأروي لأحضانه هذياني الدامع المرتجف، وأتمنى عميقا أن نتحجر ليكون الخلاص دافئا وغير فرديّ. . .

تتغير المشاهد. . .أراني مع مجموعة من الرفاق أضحك وتبدو ضحكتي اختزال لتاريخ الحزن، يناولونني الكأس تلو الأخرى، نضحك للنكت الفارغة، يدعونني للرقص، لا أرفض، يحركني الجنون واللّاوجهة، واكتظاظ مؤلم داخل رأسي. . . أحاول أن أحزر المكان بذاكرتي، ربما في ليلة رأس السنة في تونس، ربما ذات خريف في ليل مارسيليا، ربما ذات صيف قرب الشاطئ في ديسكوهات وهران

أو العاصمة أو عنابة، ربما ذات وحشة داخل بلدة "إيكس أون بروفونس" الفرنسية، ربما ذات ربيع في ليالي عمان. . .أو ربما. . .تبقى المشاهد تبتعد وتقترب، يتغير كل شيء إلا ذلك الصراخ وأنا. . .بجنوني، ووحشتي، ودماري، وضياعي. . .

تقترب مني صديقة تجلس معي، تصيح في وجهي ضاحكة:

(يا ذئبة الليالي!)،

أضحك وأقول لها: أنا ذئبة الحكاية الملقبة سابقا بـ "ليلى"، تحولتُ إلى ذئب بعدما انتحر المسكين منهم، والحكاية شاءت أن تكون كلها مجرد ليالٍ وفقط، لذلك أنت محقة. . .نضحك معا. . .تناولني سيجارة"ماريخوانا" وتقول: أطفئي سيجارتك وجربيها. . .

أضحك أكثر:

- هل تؤدي إلى غير ما أنا فيه؟

- جربيها فقط إنها تؤدي والسلام. . .

أضحك وأضحك وأضحك وأنا أشعلها. . .

تقول: ناوليني إياها، هاتها، أكثر من هكذا ضحك ستؤدي بك إلى سكتة ضاحكة. . .

- دعيها لي إذن علني أسكت من ضحكي. . .

تسألني: - لطالما تبادر إلى ذهني سؤال محير: لماذا تكتبين؟

- حتى لا أموت، والأكثر من ذلك حتى لا أجن.

- وما جدوى ذلك ما دمت لا تنالي مكافأة مادية أو معنوية من هذا الوطن؟!

- أنا لا أكتب طمعا في تقدير الوطن وجوائزه، أنا أكتب لأنني لا أعرف كيف أتخلص من جنون الأبجدية، أنا أكتب كذاك الذي ينزف ولا يستطيع التنكر لجراحه، أنا أكتب ليكون الضوء حليف الحياة والكلمات، أنا أكتب لأنني لا أجيد غير هذا ولأنه ثمة ما يدفعني للكتابة.

- وكيف تستمرين دون دعم ماليّ ؟!

- المبدع الحقيقي يرفض أن يبيع ذاته لأحد، وأنا أرفض أن أبيع روحي لشياطين الدولة الجديدة، والدعم الحقيقي لي هو حريتي والحرية التي أرجوها للإنسان هنا وفي كل مكان، والعدالة والكرامة والسلام الداخلي

والخارجي، وأتعرفين؟. . .إن أكثر ما أحترمه منذ قدمت إلى هذه الحياة ووعيتها هو المبدع العربي لأنّ لا دعم يجعله يستمر كما تقولين ولا طمع يغنيه عن حقيقته ورغم ذلك وبسببه أيضا هو يتابع سفره داخل الإبداع ويموت كتابة وعشقا، واستمراره دليل على أصالته وعافيته وإبداعه، وهاجسه الوحيد هو تجاوز ذاته وواقعه وزمنه نحو الأفضل والأعمق والأبقى، أما المال فلست مضطرة حتى أجنيه لأن أكون ببغاءً مكرساً، أو حنجرة فصيحة في المزاد العلني، لست مضطرة أن أعود كما في عصر الظلمات مجرد مهرجة متسولة في بلاط السلطان، أستطيع أن أعمل في أي مهنة وأحتفظ برأسي وكرامتي. . .

- مناقشتك صعبة فأنت تنتمين إلى حزب المثقفين. . .

- لا يا عزيزتي أنا لا أنتمي لغير حزب الإنسان والحياة. . .

- قولي لي يا غريبة الأطوار لماذا تجوبين عوالم الليل ولا تخافين السمعة السيئة وسط المثقفين وفي المجتمع فمركزك حساس

وأيّ تقوّل عليك ستتلقاه وسائل الإعلام وتفشيه وستُحارَبين به على مدى طويل في وسط غير متفهم كهذا خاصة وأنت أنثى؟!

- لم أنذر العفة منذ البداية ولم أدّعي الفضيلة يوما، ولا عيب لدي أن أعيش حياتي كأي شاب، حرة ومسؤولة عن حريتي هاته، ثم أنا أكره النفاق الذي يمارسه بعض المثقفين، يقضون لياليهم غارقين

فيما سيسمونه صباح الغد بالرذيلة التي يحلو لهم أن يلصقوها على عشاق الوجه العاري الرافضين للأقنعة أمثالي، ثم يدّعون الصدق والشرف والفضيلة!! ثم أنا مخلصة ووفية لإنسانيتي لذلك أعيشها بصدق في الأماكن العظيمة وفي الأماكن الرخيصة، لأكون مبدعة حقيقية عليّ أن أكون إنسانة حقيقية وليس عيبا أن أجرب وأخطئ ثم أختار طريقي...

- قومي لنرقص ها قد أتى "جاد" التفتي إليه إنه يحييك...

أرى نفسي... أحضن أوراقي... كثير من الأوراق، وأرمي بكتلتي في منابع الجنون الليلي،

أمضي بتعاستي ذهابا وإيابا... ذهابا وإيابا داخل عروق الليل الهائجة المضطربة على امتداد المدى الداكن، ذهابا وإيابا، أتعب... أنشرخ... ولا أتوقف، وكلما غرقتُ في دماري وصيغ نسياني الواهية،

ازددت وعيا بمأزقي ووجع ذاكرتي...

إنه الليل...

أسمع "جاد" يخاطبني ثملا : ما الذي تكتبينه؟ غريب أمرك يا نهاد تختارين مكانا كهذا لجنونك الغامض؟! أنظري الكل ثمل ورغم ذلك تجلبين انتباههم بجلستك الغرائبية هاته!!

فتاة جميلة مثلك تنتحر داخل وحدتها وأوهامها بالكتابة، منذ عدت إلى هذا الجنون وأنت تذبلين، أفيقي لنفسك وعيشي حياتك داخل مباهج النسيان. . .هيا هنا المكان للنسيان، هنا الوقت للنسيان، هنا الحياة والموت. . . الحب والكره للنسيان، العالم شاسع الحياة هاربة ونحن مجرد عابرين. . .إذن عيشي قبل أن ينتخبك الندم دارا لخلوده. . .

- أوه جاد أنت تعرف أنني حاولت أن أهجر هذا وفشلت، وأنت تعرف أن تعاستي حين لا أكتب أعمق من تعاستي الآن، هذه حقيقتي وطبيعتي هذا قدري وجدواي، الكتابة درعي من الجنون والموت. . .

- حتى هنا ترتكبين الوعي والتذكر!! آه من غرابة أطوارك. . . قومي للرقص ستجنّين عن قريب إن لم تقبلي بالضياع معي، معي وحدي. . .

"جاد" يقنعني بالسوء والتيه كموقف كليّ ونهائي، وأنا أرفضه حتى لا أضمحل وأقبل به حتى لا أضمحل أيضا، أقترب منه وأبتعد، أراقصه وأراقص الوجود داخل كلمة، داخل حركة، داخل أمنية، ثم. . .أستأنف ضياعي معه وبدونه، بعيدا عنه وبقربه، والطقس يوما بعد آخر يتجمد. . . يتجمد كل شيء ووحدها دموعي لا تتجمد. . .أراني دائما أسلك طريقا واحدة مليئة بالضباب والحيرة، مليئة بالغرباء والغصات والكلمات العابرة، أراني دائما أمشي على هذه الدرب أحاول أن أكون كالآخرين وأن أفرح بفستان جديد بتنورة قصيرة ومثيرة، بتسريحة فاتنة، أحاول أن ألهى بـ"الفيديو كليبات" الفاضحة التي تبثها المحطات الفضائية ليل نهار، أحاول أن أتسلى بألعاب الفيديو، وبالثرثرة على "النات" والدخول في حوارات فارغة

على الهاتف النقال مع أي غريب، أحاول أن أسعد بالأعياد بالهدايا ببطاقات دعوى تخص إحدى الحفلات، أحاول أن أكون سوية في نظر العصر والآخرين وأن أتوهم أن اليوم أجمل من أمس، وغدا أروع منهما، أحاول أن أكون كالآخرين أن أضحك دائما أن أبتسم دائما أن أبدي وأقول أنني بخير دائما ثم حين يخلو المكان فجأة أبكي في الزوايا المعتمة وأروي هذياني لظلي مثلما أريد ثم أعترف أنني بائسة وشقية وكل شيء فردي، الحزن... الفرح... الألم... الارتجاف... الجرح... الجوع... الحياة والموت... لا أحد يستطيع أن يفهمك، لا أحد يقدر على مشاركتك حقا برد هذه الحياة، كل واحد يشرد في الزحام تشرنقه الوحدة والوحشة والبرد، تحميه الأقنعة الصدئة بضحكاتها المكسورة المنسية ككل الديكورات اللامقصودة، أحاول أن أعثر على أي خلاص فردي كما يفعل الجميع، لكنني حين أجده أمعن في تمزيقه وأرميه بعيدا وأواصل البحث عن سواه لأفعل له ذات الشيء...، أراني دائما على هذه الدرب أتوقف أحيانا لأفهم، ولأرتاح لكنني لا أفتأ أواصل السير وحيدة... متعبة وحائرة...

أراني دائما على نفس الطريق التي تقود دوما إلى المدافن حيث قبر أمي، أنحني عليه... أرسل تنهداتي إلى عمقه وأسقيه بدموعي ووحشتي، أنتظرها أن تخرج لترتب ذاتي وبكائي ويطول انتظاري... وأواصل سيري، أضاجع الملصقات الحائطية في ضياعي، أعانق المعلبات والآلات والدمى، أحتوي الأيدي الميتة والأشباح الباردة، أحضن الأقنعة المتجمدة، وأواصل بحثي عن وجود إنساني عن صدق بشري عن رعشة بشرية عن علاقة مجانية عن حب مجاني، وأجدني دوما أنتهي إلى ذات القبر...

في فرنسا...

كانت الحفلة في الليل بعد التكريم الأدبي، كانت الموسيقى والأضواء تشاغب على حزني، نظرت إلى الفائزات، بلانكا...أنا ماريا...ميريانا...روسيستا...ديتيلينا...مادلين...، في عيونهن سعادة لا أعرفها، تلك السعادة التي يغرسها فينا عيش عادل وكريم في الوطن، غدا سيعدن فرحات راضيات لأنهن مثلن وطناسيقدّر لهن هذا بدءا من باب المطار وإلى الأبد...

كنت الأصغر والأتعس...، تقترب مني "أنابيل": كفي عن الشرب أنظري إلى نفسك تبدين مأتما، الأجدر أن تفرحي لقد فزت بالمركز الأول على مستوى كل دول حوض البحر المتوسط وأنت أصغرهن!! لقد تفوقت عليهن جميعا أنظري كيف يرمقنك بنظرات الإعجاب والاحترام والتقدير، وكلهن يتمنين لو كنّ مكانك!

ألتفت إلى " ميشال": ميشال...هل تقبلين أن تكوني أمي؟

تضحك بحنان: كلا... لدي أربعة أولاد لا أستطيع ذلك، اتركي هذه الكأس أنت ثملة...

تمسح دموعي، تعانقني، ينبت لي المزيد من الدموع...)

يدخل الصباح إليّ... تدخل الممرضة، تخاطبني: كوني مهذبة سأخرجك إلى الفناء فلا تثيري المشاكل مع النزلاء...

أستسلم لها وهي تلبسني قميص المجانين الأبيض، تربط يديّ إلى جسدي، وتسوقني معها إلى الخارج، ما الفرق لطالما كنت مقيدة ومسجونة بطريقة ما، العيش قيد والحياة سجن كبير، تتركني هناك...

أتأمل الجميع، أنظر إلى عينيهم هناك قاسم مشترك بين كل العيون...ذلك الانكسار المحزن الداكن... أتذكر صراخهم الذي يهاجم وحشتي في الليل ويجثم بإصرار على قلبي...

أقترب من مجموعة منهم، أحييهم، يبتسمون لي، يرحبون بي يشرّعون لي قلوبهم، أشعر بالدفء معهم، أضحك من عمقي لبراءتهم المدهشة، لبساطتهم وصدقهم، أستأنس لإنسانيتهم وطفولتهم، أرتاح لصفائهم، يموت اغترابي بينهم، منذ زمن لم تسكن ذاتي إلى وجود بشري هكذا. . .، مع الوقت عايشتهم، عرفت حكاياتهم، أحببتهم، وأنصفتهم، إنهم يشبهونني في رفضي للعلاقات الباردة، يشبهونني منذ اختاروا عالمهم الداخلي إلى الأبد، وأنا لطالما كنت حائرة بين عالمين. . . عالم الآخرين المليء بالأكاذيب والنفاق والفراغ والوحشة، وعالمي المليء بالوحدة والضياع والحيرة. . . عرفت حكاياتهم وفهمت حكايتي. . . وعرفت جهل الناس وقسوتهم وضيق صدورهم. . .

قصص كثيرة، أحداث محزنة، حالات غريبة، ولو تعرى المجتمع لكانوا الأنقى والأجمل، أراهم بعين القلب ما دام "العقلاء" هنا لا يرون الإنسان بداخلهم، يتفرسون في عذاباتهم ولا يرون غير مجرد تشخيصات وضعوها: "التأخر العقلي"، وها هو "فؤاد" طفل أبدي في منطقي لا يستطيع أن يكبر ليصير لئيما كالكبار، "انفصام الشخصية". . . "زهرة" فتاة منطوية على ذاتها ترفض التحدث إلى كل من لا تراه في عالمها، وأنا سعيدة كونها رأتني بوضوح لقد قالت لي بسلوكها أنني حقيقية، وحين يستفزونها تتوحش. . .تثور بعنف وتحاول تمزيق شرورهم ثم لا أدري لماذا حين يقيدونها ويسيئون إليها تصرخ باسمي وباسم" فؤاد" فأنزوي معه ونبكي. . .

"الوسواس القهري" وتجلس" دنيا" و"غريب" مرتبكين قرب هذه العبارة، "إدمان"، "انحراف" ولا أرى أحدا بالضبط. . .أرى الشارع فقط لأن هذا التشخيص هو وجهه العصري الجديد فلماذا إذاً

يعتقلون بضعة أشخاص ويتجاهلون الوباء؟؟!. . . "شذوذ جنسي" "مراد وسلمى" يقال أنهما شاذان، أبتسم وأنا أتذكر مغنيا معروفا تدعو أغانيه للشذوذ وتخص الشواذ وحدهم وهو الآن أكثر مطربي "الراي" رواجا، أتذكر أيضا بعض الشواذ الذين عرفتهم هنا وهناك وفي كل مكان في العالم حيث يطالبون بحقوقهم ككل الفئات الأخرى ويجدون من يؤيدهم ويصغي إليهم، وأفكر أنهم نتيجة صحية للعلاقات الباردة اللاإنسانية بين الجنسين، إنهم صرخة احتجاج على إفلاس الوجود من الحب العميق. . . ، "الاختلال العقلي والنفسي" أقرأ هذه العبارة في عيني "معتز" وهو يحدثني بشغف عن نظريات متطورة ومعقدة أسسها بنفسه تجاوز فيها تخلف عصرنا، ثقافته أغزر مما يدّعيه أساتذة الجامعات، إنه يعشق التكنولوجيا ويؤمن أنه مخترع وعبقري وأراه كذلك رغم أن مصيره كان هنا على يد أهل جهلاء لو كان في بلد متحضر لقدروه وساعدوه على زرع الضوء في ظلام العالم، حالات كثيرة معظمها يوجعني الغوص فيها، (ذهان هوسي اكتئابي، عصاب، ذهان هذائي، فقدان الذاكرة، رهاب، هلوسة، هوس، نرجسية، عصاب الصدمة، هستيريا، سوداوية، عدوانية، غواية، اكتئاب، سادية. . .)،

مشكلتهم أنهم ولدوا في المكان الخطأ. . .في المحيط الخطأ، أي في العصر الخطأ. . .

في مكتب الأخصائي النفساني أجلس، يخاطبني بهدوء:

- لقد عثرنا على الأقراص الدوائية التي من المفروض أن تتناوليها كما ينص القانون هنا،

لا تنكري، لماذا؟

- لن أنكر فأنا لست بحاجة إليها.

- كيف قدّرت أنك لا تحتاجين إليها؟!

- إنها تجعلني ثقيلة، تجعلني كدمى يربطونها بحبال ويحركونها كيفما شاءوا، إنها تجعلني أفتح عينيّ وأنظر إلى العالم عبر زنزانة، تجعل الحواجز تحتشد في حواسي، إنني كلما تعاطيتها أخطو خطوة إلى الخلف لأبصر الأشياء، إنها تجبرني على الإقامة داخل غيبوبة، فما الذي فعلتموه لي إذاً ما دمتم انتشلتموني من تخدير غير مشروع إلى آخر إجباري؟؟!

- هذه الحبوب تساعدك على الهدوء والراحة ورفضك لها يزيد حالتك تعقيدا و. . .

- تقصد أنها تساعدكم أنتم على الهدوء والراحة ورفضي لها يزيد متاعبكم تعقيدا فوعيي مسؤولية ثقيلة عليكم!!

- عنادك لا يقهر!!، دعينا من هذا الآن ولنتحدث، هل لديك أصدقاء؟

- أجل والبحث عنهم وعن الحقيقة سيبقى كل ما يشغلني.

- كيف ينظرون إليك، أقصد كيف أنت بالنسبة لهم؟

- "علي" يراني آخر امرأة في حياته، غجريته المضيئة في ليل قلبه، مرفأه وضياعه، قصيدته الأبدية، طفلته التي لن تكبر. . .، "سماح" تراني فتاة العراء، نبضاً ضاجاً في مطلق ميت، وحين يأخذني العذاب إلى الليالي الآثمة وأبكي لها تناديني بحنان "يا طفلتي" وبعدها تهدهد يأسي لأنام، "نوال" تراني عبقرية ومجنونة وصديقتها الوحيدة وهي تغار إن أنا صادقت غيرها، "سمية" تراني إنسانة، إنسانة حقيقية وفقط، إنها تؤمن بصفائي وتصغي إلى جراحي

وتحتوي عذاباتي بحنان كاهن متفهم كريم القلب نقي الروح، "إبراهيم" يراني معلمته المتغطرسة وهو يناديني هكذا، يراني مذهلة فريدة وجبارة، "أحمد" يراني امرأة غامضة، "جاد" يؤمن أنني امرأته وغريبته ومعذبته، "إسمهان" تراني طفلة آثمة، تراني مجرمة بريئة، تركيبة إنسانية مكثفة تهذر ضوءها في ظلام فاحش، هي مترددة دوما في تحديد حقيقتي، "حفيظة" تراني متصابية، متهورة وطيبة، "عماد" يراني معجزة، "نجود" تراني طفلة أبدية، طفلة الله الأخيرة إنني فصيلة مباركة ومنقرضة بالنسبة إليها ومهما فعلتُ تعجز عن الغضب مني، "سليم" يراني فنانة حتى النخاع، مبدعة ومرهفة إنني كما يقول القصيدة التي لن يسأم من إعادة كتابتها، "جوزيف" يراني امرأة ساحرة داخل حلمه المستحيل، و" أنابيل" و" بلانكا" ترياني جميلة ومتمردة ونابضة... "منى" تراني طفلة مجنونة ومزاجية و...

- لماذا دوما طفلة؟!

- إسألهم... (أضحك)...

- قرأت ما تكتبين، إنك...

(أقاطعه): ناولني سيجارة من فضلك.

ينظر إلي مستغربا ويضحك: خذي أيتها المجنونة، هذا لكونك أنت فقط ولكون ما تكتبينه يعجبني، وحاذري أن يراك أحد...

السبت...

إنه الليل... وأصواتهم تتسلق صدري، تنفذ عبر ثقوبه ولا أنام...

الاثنين...

إنه الليل... المصح صرخة متضخمة في شريان السكون المصغي، يأتيني وجه حبيبي،

يحنو على ارتماءتي الموحشة، يطفئ بردي، يهمي حناناً على قلبي ويتجول داخل جرحي يمحو الوجع منه، يتلوني قصيدة غرائبية في شوارع الوجود...

أصرخ له: (" علي" لازمني، أخلد معي كظلي، سأنفق بعيدة عنك...) الخميس...

آخر الليل... أصغي إلى أنيني، أصغي إلى نبضي، ينبض القلب بانحراف... بانحراف مشبوب، أصغي إلى أعماقي... وأخاطب الأحباب عبر انشراخي:

" علي"، تعال إلى بؤسي... اخترقني عاصفة من العيد واقطف فرحي المزمن التأجيل وأضئ به خطانا، تعال واحملني إلى غابات الجنون العذب، طيّرني في مراجيح الرياح وخذني طويلا حيث نسينا أن نذهب، قبّلني عميقا لتنسى شفاهي الحكايا الموجعة... ضاجعني على أحذية المشردين وخذني نذرا إليك... "علي" ويتطرف القلب إليك حين تزرقّ الحياة وتغمد تعاستها على جسدي، أهربُ إلى ذاكرتي وأنظرُ في مراياها كيف أنك حررتني بشفاهك ذات مساء من يتمي وغربتي وألمي، تعال... لا النوم ولا الأرق يطفئان طنين وحشتي من دونك، تعال... أنت آخر دياري... "نجود"... هرمت طفولتي منذ أبعدوني عنك، وقريبا ستستحيل كل ضحكاتي الممكنة، قريبا ستنفجر قنبلة موقوتة داخل قلبي، ستنسف كل شيء حتى أنا، وتبقين أنت وأشجار الوطن في إيمان عينيك، وتبقى جراحي وكل تلك الدموع الحارة على نقاء حكايتنا... " سماح"... ألو... من تحت البلاطة المثقلة بالصقيع لهذا القبر الموحش أناجيك، ألو...

احتضرت طويلا ولم أمت بعد، ثم أفتقدك منذ اغتصبتني العزلة، منذ عصب الظلام عيني، منذ ابتلعني رحم جليدي... اكتبي لي، وانسي كل عناويني التي تقع خارج مهب الأحزان... "سمية"، أذكرك في البدء والنهاية، وأعتذر عن كل الكلمات التي خبأتها لك طويلا دون أن أقولها لك، تكبرين في قلب أرقي، تنهضين من رمادي تبعثين قلبي من جديد وتصرخين فيّ عبر دموعي أن أصمد... وها أنا صامدة أمام كل ما يجمعنا... "نوال"... "أحمد"... "جاد"... "أصدقائي"... لا زلت ضائعة وسأبقى، وأينما كان لخطواتي نصيب أضيئوا ليل عينيّ، دمروا وحدتي وتبعثروا بسخاء في وجودي حتى يغترب اغترابي،

أريدكم... أريدكم مرفأي الأبدي، بوصلتي حين أشرد في داكن التيه، أريدكم قدرتي على الحب والحياة... أريدكم لأصدق أنني لم أنقرض بعد... أمي... ها أنت آخر الضحكات، أصدق القصائد، أعمق الحكايا وأنقى الكلمات، ها أنت وحدك الحب المجاني، قنديلي وشمسي، أبهى أسراري وأقدس تعاويذي، ها أنت نبع طفولتي وأبدية نقائي... الأحد... الجمعة... الأربعاء، السبت، الثلاثاء، الخميس... إنه النهار... إنه الليل... إنه الغروب... إنه الفجر... إنه آخر الليل... إسمهان... يا إسمهان، غدا سيُزج بي ثانية إلى العالم الخارجيّ، فلتعبر صرختي أحشاء الكون إليك أنت التي طالما رويت وبحت لك أنّ وجودي وعفويتي وطفولتي وصدقي قصيدة جارحة في عالم الكبار، أنت التي تبنيت حزني وأطفأت الغربة والقسوة من عذابي وزرعت زهر الحنان في تشردي حين صرت طفلة اللّا أحد، أنت التي حاربت هلاكي ومزقت وحشتي وشتائي، إسمهان... ومرة أخرى أقول: ذات يوم سوف لن يتدفق من الابتسامة كل هذا الألم، ذات يوم سينطفئ الوجع من ذاتي وسوف لن

أكون مضطرة للغرق داخل روتيني الأبله تعيسة وممزقة، سأكون قوية وسأحاول ألا أتلعثم، سأحاول ألا أصمت...ألا أبهت، ألا أهمد، ألا أنطفئ، سأحاول أن أحاول أبدا ما دام حنانك يقتل إخفاقي... أعدك، سأشرد سرمديا صوب غابات الضوء وستستيقظ خطواتي دوما وتزهر بك في براري الأمل، وسأجد خلاصا جماعيا أسكنه ويحضنني مع أمثالك، وسيموت البرد عندها، غدا سأتبعثر نابضة طليقة وسأكتب على دفاتر الأفق بدماء روحك التي أنعشتِ بها جثتي: " نقاؤنا لا يحتاج إلى لغة تشبه كذب الآخرين "...، إسمهان... غدا سأعود دون أن أنسى أنّ لك عيون شاعر حقيقية حين وثقت بي وأحببتني وحين راهنت على قلبي في المطلق، حين أخذت قلبي إلى دروب الأمل ورتقت ثقوبه، إسمهان... غدا سأعود دون أن أنسى أنني صرخت عميقا عبرك: " وداعا أيها التشرد الآثم... ".

نورة سعدي

* من مواليد مدينة قالمة عام 1956.
* مارست الإبداع نثرا وشعرا.
* أستاذة اللّغة العربية وآدابها.
* عملت بالإذاعة الوطنية من أواخر السّبعينات إلى عام 1989م.
* صدر لها ديوان شعر : "جزيرة حلم" عام 1983.
* نشرت :"أقبية المدينة الهاربة "، قصص، "وأصابع أيلول"، قصص.

صفعة الثأر!

كلّ شيئ كان قد تقرّر منذ اللّحظة التي حـــدجني فيها الرّجل الأصهب ذو العينين الزّرقاوين والجسد النّحيف بتلك النّظرة ذات الدّلالات العميقة ذلك الرّجل الّذي حيّاني رغم كلّ شيئ بأدب جمّ من خلال ابتسامة صفراء تنمّ عن حقد دفين حينذاك فقط أدركت فداحة خطأي لكنّ الرّصاصة كانت قد غادرت بيت النّار ولم يعد في الإمكان تدارك الموقف فما أن سلّمنا موظّف الاستقبال مفتاح الغرفة حتّى قال لي زوجي مؤنّبا :ما كان ينبغي لك قطّ أن تتفوّهي بتلك الجملة قلت :مجرّد زلّة لسان ولن تحتاج إلى كبير عناء لتنسى!ربّما قال زوجي متأفّفا ثمّ مدّ يده إلى الحقيبة وشرع في تثبيت الثياب فوق المشجب أمّا أنا فقد نسيت الموضوع برمّته وتنفّست الصّعداء بمجرّد أن ألقيت بجسدي المنهك فوق السّرير وسمحت لبصري أن يسرح في بهاء الحجرة الفاخرة الغارقة في ظلالها الورديّة ورحت أسترجع تفاصيل الرّحلة الممتعة التي قطعناها بالقطار من العاصمة روما إلى مدينة نابولي العتيدة وأتلذذ باسترداد لمشاهد من المناظر الطّبيعيّة التي تشرّبت سحرها الباهر عبر نافذة القطار تغمرني السّعادة وتملؤني التساؤلات عمّا ستكون عليه السّاعات القليلة القادمة إلى أن تماهت الأشياء والموجودات في مرآة بصري وأقلعت عبر إغفاءة قصيرة لذيذة خارج أسوار المكان والزّمان غير عابئة بالرّجل الجالس أمامي الذي ما لبث أن أفقت على صوته الدّافئ يستحثني على النّهوض : ريم ألم

يئن الأوان بعد أن تستيقظي يا ريم؟ بلى قلت في نبرة يشوبها النّعاس ثم قفزت من فوق الفراش وألقيت نظرة خاطفة على هندامي وفي غضون دقائق قليلة غادرنا نزل "كازنوفا" الكائن بزقاق ضيّق وأطلقنا العنان لأقدامنا تضرب في كلّ الاتجاهات إلى أن استرعى انتباهنا مطعم يقدّم أشهر الأكلات الإيطاليّة فقال لي عمر هل ترغبين في دخوله؟ حبّذا لو نفعل قلت، إنّي ومنذ الصّباح لم أشرب سوى أكواب من العصير. في ركن قصيّ منه انتبذنا لنا مكانا أمام طاولة مستديرة مغطّاة بسماط مورّد أنيق وفي ظرف دقائق معدودة وافانا النّادل وقدّم لنا قائمة بالأطعمة والمشروبات المتوفّرة لديهم، ألقى عمر نظرة خاطفة على القائمة وكذلك فعلت وبعد لحظات قليلة فوجئت بالنّادل يسألني : بم أخدم سيّدتي؟ "بيتزا نابوليتانا" قلت شاكرة فضله ثمّ دنا من زوجي وطرح عليه السّؤال ذاته فطلب أكلة بحريّة وسلطة خسّ وزجاجة ماء معدني سجّل النّادل اختيارنا وبعد فترة قصيرة عاد محمّلا بالأطباق ذات الرّوائح المعتّقة وعلى موسيقى مطربهم الشّهير "ماريو روفيقو "الّذي يدلّلونه "بماريو روفي " المنبعثة من المسجّلة المنتصبة فوق المشرب شرعنا بعد البسملة في تذوّق ما قدّم لنا من طيّبات وفيما كنت ألتهم البيتزا بنهم مدّ عمر يده إلى صحني وقال لي ممازحا هل تسمحين بتذوّق قطعة ممّا لديك بكلّ سرور قلت، ازدرد عمر القطعة الموشّاة بالطّماطم والجبن والزّيتون وأعشاب عطريّة لا أعرف لها اسما وفيما كان يلوك تلك المضغة من الطّعام سمعته يتمتم هازّا رأسه في إعجاب :لذيذ، ممتع، لذيذ ثمّ اعتدل في جلسته ونظر إليّ في حزم وقال كما لو أنه يهمّ بإطلاعي على أمر خطير لو سمحت افتحي عينيك جيّدا وتأمّلي اللّوحة الّتي تزيّن الجدار

ما الأمر قلت : قال ركّزي جيّدا وستفهمين لا محالة دقّقت النّظر في الجدار المزركش بورق أنيق وما أن رأيت ما لم أكن أرغب في رؤيته حتّى صرخت ربّاه كيف لم ألحظ ذلك ساعة دخولي المطعم ؟

ابتسم عمر بأريحيّة ثمّ أردف :أحمد اللّه أنّك لم تشاهدي اللّوحة الّتي بها نجمة داوود وإلّا كنت سبّبت لنا حرجا نحن في غنى عنه! واصلت تناول الطّعام ولم أشأ أن أعلّق بكلمة واحدة على الموضوع فقد أدركت أنّ زوجي إنّما فعل ذلك ليستفزّني ويذكّرني بحادثة الفندق التي لا أرغب أن أتذكرها البتّة ولماّ أنهينا طعامنا ونلنا كفايتنا منه نقدنا النّادل اللّيرات التي تلزمه وغادرنا المطعم يدا في يد، كانت الشّمس على أهبة المغيب في تلك الأثناء اكفهرّ الجوّ وانخفضت درجة الحرارة وتساقطت أمطار خفيفة فلذنا بأوّل متجر صادفنا بهرتني الأضواء والألوان وابتسامات العاملين والعاملات بالمحلّ الكبير واستهواني فستان من الحرير والشّفوف فانتزعته من مكانه ثمّ دلفت به إلى غرفة صغيرة جانبيّة مخصّصة للنّساء وجرّبته فإذا به على مقاسي وما أن رآني عمر حتّى هتف :رائع، رائع، وقبل أن أعود أدراجي إلى الغرفة لارتداء طقمي القديم سمعت العجوز الّذي حيّاني ببشاشة ساعة دخولي إلى المحلّ يقول لي مبتسما :بلّا، بلّا "بكسر الباء وتشديد اللّام " أي جميلة، جميلة!ملأني إطراؤه زهوا فتشجّعت على شراء الفستان رغم سعره الثمين، بعدما توقّف انهمار المطر غادرنا المحلّ ورحنا نذرع الشّارع الفسيح جيئة وذهابا إلى أن هدّنا الإعياء فقررنا أن نلتحق بالفندق لننعم بالرّاحة والهدوء وفي قاعة الاستقبال وقعت عيناي من جديد على ذاك الشّيء الّذي أثار حفيظتي قبل ساعات من الآن فكدت أن أخرج عن طوري وأن أتلفّظ بالجملة إيّاها، تلك الجملة التي لم ترق يومئذ لموظّف لاستقبال إلّا أنّني تماسكت في النّهاية وسارعت إلى الحمّام وتحت رذاذ الماء الدّافئ وزبد الصّابون أحسست

أنّني خفيفة كالفراشة فقرّرت أن أنسى كلّ ما من شأنه أن ينغّص عليّ أيّام عطلتي فإنّما جئت هذه البلاد للسّياحة والاكتشاف لا لاتّخاذ المواقف والخوض في السّياسة هكذا انتهرت نفسي فيما كنت أجفّف شعري المبلّل أمام المرآة، وما أن ارتديت قميص النّوم ووضعت رأسي على الوسادة حتّى عاودني الألم والشّعور بالتّقزّز وفتحت في فكري شاشة من نوع خاصّ، شاشة لا تبثّ سوى الرّعب والمهانة والدّمار فوبّخت نفسي :ألا تبّا لك يا "ريم " كيف تبيتين في حضرة من ينفّذون أبشع الجرائم في أهلك بفلسطين ؟

ثمّ أكملت : القردة الخاسئون!

لعنة اللّه عليهم وعلى كلّ من يسير على نهجهم إنّهم مبثوثون كالطّاعون في كلّ مكان من العالم يمسكون بزمام القرارات ويحتكرون معظم الفعاليات الاقتصاديّة الّتي تتحكّم في أقوات النّاس ويسيطرون بوحشيّة على وسائل الإعلام العالميّة ولا همّ لهم سوى القضاء على الإسلام والمسلمين وسالت مدامعي فيما كنت أستعيد قوافل الشّهداء من فتيان وفتيات رحلوا في مقتبل العمر وتساءلت بمرارة :هل يعقل أن تدخل الانتفاضة عامها الثاني دون أن يتكرّم من بأيديهم زمام الأمور بسوى الخطب الثقيلة المدجّجة بالكلمات الفارغة الرنّانة التي لا تغني ولا تسمن من جوع ورغم شراسة الألم نمت، نمت نوما متقطّعا تتخلّله الكوابيس كدأبي كلّ ليلة مذ دخلت هذا الفندق.انقضت الأيّام التي أمضيناها في إيطاليا بسرعة فائقة فحزمنا حقائبنا وغادرنا الغرفة ولمّا بلغنا مدخل البهو الفسيح التقت عيناي بتينك العينين الشفّافتين اللّتين لن أنسى ما حييت لؤمهما، تبادلنا تحيّة الصّباح ثمّ أعطينا الرّجل النّقود ومفتاح الغرفة على أمل أن يسلّمنا جوازات السّفر لكنّه لم يفعل، أزعجنا صمته وإيحاءات وجهه التي كانت تقول في لهجة لا نفقه منها الشيئ الكثير :هيّا اخرجا من هنا ماذا تنتظران كي تنصرفا،

جمّدتنا الدّهشة وتساءلنا عن سرّ هذا الانقلاب والتغيّر المفاجئ الّذي طرأ على سلوك هذا الرّجل الّذي أبى أن يثلج صدورنا بكلمة واحدة وبعد أن ضاق زوجي ذرعا بصمته المخاتل قال له في غضب عارم لو سمحت اعطنا الجوازات!

قال الرّجل الأصهب في نفاق خسيس لحظة ثمّ وضع سبّابته على الهاتف لإيهامنا أنّه سيجري اتّصالا هاتفيّا وبلهجة لا ندري إن كانت إيطالية ممزوجة بلكنة عبرية أم عبريّة مشوبة بعجمة إيطاليّة سمعناه يقول لذلك الرّفيق المختلق :ألبزبورتو دلرجوس!

أي أين جوازات السّفر التي تخصّ هذين الجزائريين ثمّ ما لبث أن انعطف باتجاه رواق جانبي، بعد لحظات من تواريه عن أنظارنا عاد محمّلا بمظروف أبيض أومأ إلى زوجي أن تعال فلبّى ثمّ فتح الظرف وناوله جوازا واحدا ففهمت أنّه الجواز الّذي يخصّ زوجي فغلت مراجل خوفي وكدت أنهار من شدّة الفزع وقلت في حزن :أين يمكن أن يكون جواز سفري الآن؟

وفيما كنت أحرق آخر أوراق الصّبر في مسرح اللّامعقول الّذي دخلته دون إرادة منّي ناداني الرّجل الأصهب فأسرعت إليه وما أن أصبحنا وجها لوجه حتّى صفعني ثانية بتينك العينين الزّرقاوين اللّتين ضمّتا كلّ ما يوجد في النّفوس الشرّيرة من لؤم وحقد ومكر وخديعة وفيما هو يسلّمني جواز سفري سمعته يقول في تشفّ لا مثيل له :أخيرا لقد ذقت وبال أمرك أيّتها اللّعينة! أجل، لقد سامنا كلّ ذاك الهوان لمجرّد أنّني قلت لزوجي يوم أن دخلت الفندق في المرّة الأولى ما أن وقعت عيناي على اليافطة التي كتب عليها بالبنط العريض الخطوط الجوّية الإسرائيلية :هيّا لنخرج على الفور، لا يمكن أن أمكث لحظة في حضرة هذا الصّهيوني.

نادية قيطة

* من مواليد 1980/04/20 بقسنطينة.
* متخرجة من جامعة قسنطينة، قسم اللغة العربية وآدابها.
* عضو سابق في جمعية النادي الأدبي الجامعية.
* نشرت مجموعة من القصص في بعض الجرائد الوطنية.
* لديها تحت الطبع : "الفاتح من ذاكرتي".
* حاصلة على الجائزة الأولى في القصة القصيرة لمهرجان زليخة السعودي، 2003.
* حاصلة على الجائزة الثانية للإبداع عن ملتقى الشيخ موسى الأحمدي نويوات، 2005.



ترجيعات في الدرجة : 90° تـ...

كل مسافة الدنيا وأنا وحدي. . .ودار عمر. . .

ظل ألماسي مسجون في بطاقة معايدة، لعله ضاع. . . لكنه حتما ما يزال بين أشيائي.

مسقط الحزن يا دار عمر هو أنت. وكل المساحات دونك. . . رسوم ذابلة كاسمنا المشترك اعتباطا، ودهشة، وبكاء.

أنا عمر. . . ذاك الذي يضيق بعضه بالمنأى (الاسم الاحتياطي للمنفى)، أحيانا نرغم على المغادرة، وعلى ترككم. . .

. . . وكان ذلك أشبه بالسعي إلى الشاطئ، لا ابتعادا عن غرق محتمل مثلما تتوهم الأنفاس ولكن للاقتراب منكم. . .

أنتم. . . لقد أحببتكم جميعا. . . وانطفأتم.

ثم تبللت النار بعدكم بالمطر المكتظ رجفة، ورقصات بدائية.

في طفولتي. . . (؟) كنت افتح الصباح بتلقائية رذاذ الليمون، وأغلقه بأمنية تشرئب نحو الضوء.

حملتُ مرة بأخ. . . وفي أول فرصة لليأس، اختلستُ موانسة عاجلة مع دمية من قماش(نسيتُ لمن كانت).

خرجتُ من تفاصيل خيبة إلى أخرى، وتنازلتُ كثيرا عن كفي لأنها تمسكت بما يقبض عليّ ولا أقبض عليه، صدقتُ الغربة يوم

توهمت حدودا شاقة ويوم أسلمتني إلى هنا (أو لعلها هزائمي من فعلت بي ذلك... ؟)

أنت باردة... تولوز.

ابناك دار عمر...؟

أيناها علب الكبريت الطيبة...؟ تلك التي تعيش زمنا لا يكفي إلا للأسف.

وأقول : أنا أسف.

أسف من اجل دنيا ما أحبتني... ونكست باكرا راياتي وأشرعتي.

أسف من اجل امرأة كحلم ازرق...يلح على الذاكرة... ولست اعرف سواه.

أسف من اجل النهايات التي تهمل... دوما... ما يكون برفقتي.

و...

أسف من اجل وطن لن تجده إلا يترتيب قطع شتى من الأحلام

أنا أنزلق وحيدا... وأبحث لبطاقة التعريف عن أحرف أكثر، وبنايات أطول... مثلما ابحث

للعمر عن مبررات أصدق.

أنا وحدي. والدنيا مسافة أسوا امتداد من مجرد خطوات.

زوجتي أيضا كانت تحب المشي... أما أنا فلم أرها مرة تفعل ذلك... على الأرجح كانت تحلق.

حتى وهي تموت. . .

وأنت تموت. . . (بعد عمر حزين!) تشعر أن أكبر حلم با لإمكان، وأن النهاية هي كل

ما يفترض أن يعنيك وأنت تبدأ.

ماتت " الرومية " التي تزوجت من أجل إقامة. . . وبيت.

بتلك البساطة المقرفة يمكن لأي منا أن يتجرد من وطن. . . ويلبس إطار ضيقا إلى درجة التخفي.

كانت امرأة بقدر القليل من التوقع. . . لكنني التقيتها وهي تحمل كل ما يلزمني من مفاتيح وأسبرين، وهدايا للحواس المؤقتة.

وكنت أعرف أن الأحلام في بلدي تشبه الزجاج المكسور.

الزجاج. . . أكثر الأشياء براعة في نسخ وجوهنا (أعتقد).

أيا بلدي. . . وجوهنا. . . كم تشبه الأحلام.

تمنيت أن أعمل مخرجا سينمائيا. . . فأنا من يعرف أن الدراما هي نحن تماما. . .

ونحن ممنوعون في وطني من الركض خلف الفرح أو حتى قبله.

كنتُ شابا مخدوش المرايا، حافي الأيام، ومحكوم عليّ بك. . .

انتبهت يوما إلى اسمك الذي يبدأ من حيث ينتهي اسمي. هل حدث حقا أن بدأت بالعودة

إلى داخلك لما انتهيتُ إلى لحظة صغيرة تعرف بأنها " إقلاع طائرة ".

مازلتُ أموت سرا كلما تذكرت :

- عمر... ماتروحش.

كنت سطرا أخيرا يرجوني قراءة جديدة... وكنت قد قررت أن أركن إلى الخربشة الملونة.

مازالت الغصة تهدمني لأرضي التي بعتها. من أجل السينما.

... وتلك الأشياء التي نرتبها في حقائبنا هي الماضي لا أكثر.

وأما الوطن...

وكل ما أحببته يقبع على ضفة وحيدة ليس لها أخرى.

عشرون عاما أيها العمر المستهلك النافذ...

وأظل عاجزا عن البكاء، كي لا أتذكر أننا افترقنا.وكي لا أصدق هذه الوحدة أكثر.

أنا رجل يعمل رئيس... فرقة الطابخين بمطعم مرموق...!رجل يزداد وسامة، وصمتا، وشرخا في زوايا الحنين.

- عمر... ما تروحش.

في العاصمة... أين درست الفنون الدرامية، كانت الحياة رحلة مدرسية. ويوم ودعتها عائدا الى دار عمر... أصابتني العتمة في اللون الزهري.

نسيتُ حرقة أنني لم اعد طالب. لكنني مازلت اذكر الأقفال التي بكيت خلفها... وأنا خالي اليدين من كل شيء... وأتفه شيء...

ولن أنسى، ولن أنسى الغروب الذي رماني بأسرار الصباح، ولن أنسى الرافضين باحوا بكذبة عشرين سنة من الحبر وألوان الطيف.

أيا بلدي. . . كيف كان بوسعنا اقتسام الأمنيات معهم

أو تدري. . . في الموت وحده. . . كلنا نتشابه، ونكون معا.

لو أن أبناء العم الذين قالوا

- هات بيع أرضك، وسافر بثمنها إلى الخارج باش تخدم في السينما.

لو أنهم. . . قالوا : هات كفك كي تصدق أننا هنا.

ونبقى معا. . . (البقاء. . . ؟!).

دار عمر. . . كلك ارضي. . . وأرضي هي اليتيم الشفاف الذي تملص منى في محطتك المهترئة

ورفض المغادرة.

مازلت أموت سرا كلما تذكرت : عمر. . . ماتروحش.

كنت ربما بقيت لو أنك تمسكت بذراعي بدل أن تسقط تلقائيا مع ما تبقى مني.

يا ابنة العم. . . أنا الذي امتطى الطائرة. . . مقطوع الأطراف، مشبوه الذاكرة والحواس بالفجائع.

وبحثت طويلا عن لافتة تمنع الأمساخ من السفر حتى أعود إلى دار عمر لكنني لم أجدها. . . واحن إليك. . . (هذه هي القصة!). قبل أن أسافر. . . كنت أتمنى أن تختفي الخطوات الست التي بين بيتينا.حلمتُ أن تصبح دار عمر مساحة لشخصين.وأما بعدك. . . كل الأغنيات نوع من الحزن النادر الهاطل على صمت الشرفات كل الناس دمى من قماش.

وكل الدنيا مساحة لي وحدي.

مازلت أموت... عمر... ترحـ...؟!

نسيمة بن عبد الله "زهرة الريف"

* من مواليد 1963 بالرواشد " ولاية ميلة "
* أستاذة الأدب العربي.
* تكتب القصة القصيرة، نشرت في اغلب الجرائد الوطنية
* إصداراتها القصصية:

- كلمات تحت الشمس 1999 عن الجاحظية.
- حب في الكف 2004 عن اتحاد الكتاب الجزائريين.



حب في الكف

الليلة أغادر معبدك الورقي، أتخلى عن إقامة الصلوات المهداة كل صباح، أتوقف عن حفظ التراتيل التي أقدمها لك كامرأة فاضلة كل مساء عندما تعود متعبا، وأجثو عند قدميك أقدم قرابين الحب والوفاء، أتكوم أمامك ورقة مطوية يطل وجه باسم قد رمى في الأعماق الغائرة أتعاب يومه حتى لم يبق في جسده أنفاس. تتصاعد أنفاسك، تتسع حدقنا عينيك ترسم ابتسامة الرضا على وجهك وأنت تضع قدميك في الماء أو تقص أظافرك يتلألأ فرح النصر على وجهك تحمل الجريدة، تتمدد على الأريكة تقرأ الأخبار أو لا تقرأها، ترتشف فنجان القهوة تنفث دخان سيجارتك في صدري، وأنا كما الفراشة أحوم حولك أردد على أسماعك أجمل أشعار الحب والعشق التي أحفظها، وأقدم لك ولائم الطاعة. الماء حياة الزهرة والرجل حياة المرأة... فاقبضي على حياتك قبل أن تذبلي لا تدعيها ترميك في متحفها الكبير، متعلقين في إحدى الزوايا قطعة أثرية مهملة لا أحد يتوقف عندها، لا أحد ينظر لوجهها المتآكل وفي غفلة من الحضور تدخلين النسيان. الرجل ذاكرة المرأة فابحثي عن ذاكرتك قبل فوات الأوان، ارسمي على جسده بألوانك خطوط المستقبل، سيجي روحه واصنعي منها الحياة التي خلقت لها... سيدة تتمايلين مزهوة وقد اكتست أغلى التيجان. ارتشفي من آباره واصنعي الورود التي تحبين استنشاقها.

اسبقي الزمن، لا تدعي الأحلام تثقل أيامك لتستفيقي على وهم كبير، وألم أكبر. . . امرأة تعيش على حدود الذاكرة، امرأة لا مستقر لها. صدقت كل ما قيل، وجئت أجمل القوافي، وباقي الورود ركعت في معبدك نظرت في عينيك الغامضتين، رفعت رأسي، طبعت قبلة على جبيني، أدخلتني مملكتك طفت فيها عاما. . . أعواما بحثت عنك وعني، الغبار غطى المكان.

عرفت في الصمت زمنا وعندما كان يجيء صوتي كنت أردد ما خبأته بقايا الذاكرة في، استرجع الصور المفقودة لحظة. . . لحظات، ثم أختفي مني كما السناجب ليالي الشتاء، وعندما أعود أجدني بين ذراعيك يقرصني البرد يلسعني الجليد، أضغط على خلاياي أحس أوردتي تتمزق لتمنحني الدفء الغائب فيك، تنبعث شهقات الروح في صمت مكدود تردده أصداء غرفتي التي يحفظ كل ركن فيها عذاباتي. . . أرقي الطويل وآهاتي المختنقة في جوف الليل الممتد إخطبوطا يلتف حول جسدي المنهك. . . أصرخ، أصرخ. . . ولا أحد يسمعني.

أجفف دموعي التي وحدها تؤنس وحدتي، وأعود إلى ركن من أركان معبدك أشهد لحظات جنونك مستسلمة ليد الأقدار تعبث بي ورقة جاءها الخريف قبل أوانه.

قبل أسبوع جاءتني صديقة طفولتي وصباي وشبابي. . . جاءتني والفرح يغمر وجهها يسبقها إلي، حملت إلي باقة ورد أبيض وأحمر، قالت لي وكل نقطة فيها تشرق ابتسامة :

شكرا لك صديقتي الغالية. . . وصفتك نجحت، أنت معلمة ماهرة وامرأة وفية وصديقة مخلصة. . . شكرا لك صديقتي وصفتك أخرجتني من حدود اليأس، رسمت لي خطوط النور لأسير نحو الحلم الذي كاد ينطفئ في تلك الأغوار البعيدة.

شكرا لك أيتها العزيزة، استعدت الحياة... قبضت على الفرح الذي كان يغيب من فضاءاتي.

أترين الفرح يتلألأ في عيني؟! إن لك فيه نصيبا وجدت توأم الروح بعد طول انتظار، انتظاري لم اندم عليه... إني الآن أحسبني أقبض على سعادة الدنيا واستعبد عمري الضائع

أتذكرين تلك الأحزان التي طوقت أيامي زمنا وجئتني تحملين حياتك، بيديك قلت لي:

لا تصدقي ما يقال، لا تكرري تجربتي، الحب لا يأتي مرتين... فإذا قبضت عليه لا تدعيه يفلت من يديك، وإذا تأخر لقاؤك به لا تيأسي، اشرعي الأبواب والنوافذ وسيلج وجدانك وعندها ستحلقين في عالم الأحلام صانعة الحياة الأجمل المتدفقة عطاء... المزهر دوما... فشكرا صديقتي، مدينة لك بسعادتي، مدينة لك بهذه الحياة التي تتدفق في روحي التقت روحي فلن احزن بعد اليوم، ولك ورود المحبة أقدمها كل صباح.

صديقتي غادرتها الأحزان وحركت أحزاني، أعادتني إلى نفسي الغائبة منذ أن ولجت معبدك الورقي... الليلة سأغادر هذا المعبد، الليلة سأعيد هذا القلب إلى مكانه الطبيعي، سأعيده إلى التربة الأولى يرتشف الهواء يحلق في الأجواء يحتضن الأحلام، يكسر السكوت، يهدهدني، يمزقني يعيدني امرأة تنبض... تخفق... ترتعش... تلتهب... تتوارى كما الأطفال خجلا... حياء... خوفا... تنطلق جرأة... تطير فراشة تحلق عصفورة... تتفتح زهرة.

الليلة سأغادر معبدك الورقي وسأعود المرأة النابضة في... فأبحث عن رائحة أخرى عن عطر آخر... فما عدت أملك أزهارا لعطرك.

فتش عن امرأة بحجم قلبك أو صارع الريح فما عدت امرأتك، ابحث عن الدفء أو اترك قدميك للصقيع، فما عدت دفأك اختر كلمات جديدة أو اعد ما قلت فما عدت أسمعك.

انفث سيجارتك حيث شئت، فما عاد صدري يحتمل دخان سجائرك وما عادت روحي تحتمل الحب المصطنع فيك.

أطوى الورقة، دعكها بأصابعه، رماها فتاتا على الأرض، أخرج نفسا عميقا ثم سحب الغطاء على رأسه.

- الليلة أنام ملء أجفاني.

وهيبة جموعي

إنسان قبل كل شيء، قبل أن أكون امرأة وقبل أن أصير أديبة.

إنسان شغوف بالجمال: لوحة، قصيدة، قصة، وردة، بحر، طفل، ومولعة بالأدب منذ الصغر كعالم مترفع عن حماقات البشر.

جيجل، مسقط الرأس والعالم كله مسقط الروح.

بين الأنا العلمي الذي صقلته دراسة العلوم الدقيقة والتخصص في الكيمياء ثم التجارة الدولية والأنا الأدبي الذي اشتعل منذ القراءات الطفولية لسلسلة "المكتبة الخضراء " و" الناجحون" و"الأبطال" كان السير على درب القلم.

الجوائز بدأت منذ اليفاع في المدرسة كعالم ملك القلب سنينا عددا. ثم جاءت الجوائز الأخرى لعل أهمها : الجائزة الأولى في الرواية سنة 1997 من وزارة الثقافة والاتصال... الجائزة الأولى في القصة سنة 2000 وسنة 2002 من وزارة المجاهدين... الجائزة الأولى في القصة أو جائزة ابن هدوقة سنة 2003.

النشر كان في الصحف والمجلات الوطنية.

ولا زال المشوار طويلا...



أنت لهـــا

"ليس من وراء الحب شيء غير الألم"

(برنارد شو)

أنى له أن يحلم وقد حضرت الذاكرة؟!

أنى له أن يراها ودموع من الماضي تحجبها عن عينيه؟!...

أنى له والزمن الذي خانه حاضر اللحظة بكل جبروته... بكل عنفوانه... بكل القه وبكل دموعه؟!... كانت أمامه... كانت خلفه... كانت حاضرة في عبراته التي مد يده ليحبسها خوفا من أن تفضحه أمام الأخرى التي لامست الجرح وما كانت تدري انه بذلك الغور وما كانت تدري انه هنا... أمامها... قربها... رجل أحب... رجل يحب... رجل فعل حبه لا يعرب!

كان الألم يتكلم من عمق رجولته. وكانت رجولته تحتمي بكبريائه. وكان الكبرياء يحاول خجلا أن يخرس دموعا ضلت طريقها من فرط حيرتها بين رجولته وكبريائه، بين جور ألمه وقوة حبه، بين حضور الماضي وماضي الحاضر، بينه وبين تلك التي تسري في تجاليد ذاكرته. بين الحاضرة تتأمل عذابه بعين الشعر وتستجلي رجولته بعين المرأة، وبين الغائبة التي فضحت سره وهي كل سره... أخرجت مكنونه وهي كل مكنونة... أثارت شعره وهي عصماء قصائده... حاصرت رجولته وهي في صميم رجولته.

كانت الحاضرة في سرها ترتشف عذابه حينا وتغرق في عذابها أحيانا. كانت في حاجة لان ترى إنسانا... منذ مدة... منذ قرن لم تر إنسانا... منذ فترة... منذ زمن وهي تأمل في مشاهدة رجل يبكي حبه القديم، يجدد صدقه القديم، يفضح مشاعره بذلك الإجلال القديم.

وكبرت في سرها الحاضرة وأشفقت تلك الجالسة على مقعد بجواره والطائرة تهدهد أحزانه والغائبة تعصف ذكراها بجبروت نكور ته ذلك الشرقي جدا... ذاك الشرقي فعلا... ذاك الذي عبقت منه رائحة قيس العامري وريح العشاق الذين ولوا... الذين ظلوا... الذين ما ظلوا.

وتململت الطائرة وسط الضباب... غابت عنها السبل... ضاعت منه السبل. وتململ القلب الذي أمامه حاصره شعور مبهم ولفه شيء غير معلن... وانفتح المكان على شيء رمادي...

وانفتح الزمان على عمق رمادي...

فكانت... وكان... وكانا...!

الضباب أمام الطائرة... خلفها... على جنبيها... انه يحاصرها! انه يحاصرهما!

الطائرة تهتز، تعلو، تهبط، من خفتها تكاد تنقلب أو تسقط أو تختفي في سحيق الفضاء.

شيء من الخوف ومن فوضى المشاعر يملأ الحيز الذي يفصلهما... يفصل عذابهما... يلاقيهما تارة على نفس الموجة وتارة تختلط الأمواج فيتفرقان قطعا قددا.

تحاول تتشبث بشيء صلب والطائرة تحاول الهبوط وهي ترفض

الهبوط... ماذا لو عادت الطائرة إلى العاصمة وقد استحال عليها الأمان؟

سيعود إلى مرتع ذاكرته؟!

سيعود إلى أطلال حبه؟!

سيعود إلى الغائبة التي ما غابت عنه هو الرافض بعدها أن يعيش لغيرها... هو المسافر دائما، الغائب أبدا عن أحلام الرجولة الصارخة فيه إلى متى؟... هو الرافض حقا... هو الرافض فعلا أن يكون لطيفا، لريحها، لصوتها المتدفق في حناياه، هو الباحث عن قميصها يرد إليه الروح فيبصر رجلا يضيع من نفسه، رجلا يستغيث دون علمه، رجلا جرعة... جرعة يموت أوواه!... لو تعود الطائرة إلى العاصمة!... لو تعود العاصمة إلى العاصمة!... لو يعود الزمن الذي مضى! لو يعود العهد الذي انقضى! لو تعود تلك التي ارتشف ينابيع الصبابة عندها... أو لم تعد؟!

الماضي كله حضر البارحة بعد قطيعة سنوات تهرب فيها من ديارها، من إطلالها، من عاصمتها.

الماضي كله لحظة، لحظة... نقطة، نقطة عصف به فكأنه ما مضى وكأنه ما قاطع وما رحل وما تحول من بين يديها ليصبح طائرا مهاجرا وقد هجره قلبها. الماضي كله انساب وهو عصفور صغير مقرور تضمه حناياها، تضمها حناياه فيغرقا في جمال اللحظة، في جمال النقطة وسط أحلام الصبا.

ونظرت إليه الحاضرة!...

كانت جالسة بقربه في الطائرة!...

قالت ولم تتكلم: إلى متى البسمة الحزينة في عينيك؟

قال وقد تبسم : يا حبيبي كل شيء بقدر، ما بأيدينا خلقنا تعساء!

قالت : أنت شاعر؟

قال : أنا بقايا شاعر... كل شعري أخذته امرأة غائبة.

تقوقعت الحاضرة في مقعدها... غرقت في أشيائها... تركته للغائبة.

نظر إليها من خلال غلالة الدمع وشفيف الحزن... نظر إليها من قلب الحرائق، من زمن الفجيعة... رأى نصفها... كاد أن يرى كلها... حاول أن يخاطبها، فاستعمل الضمير الغائب...

قال : كانت...

ردت النظرة الحزينة في عينيها : كلنا كنا.

وابتسمت من خلال الدمع والحزن، من ثنايا الفجيعة...

حاول أن يعتذر لحضورها، اخطأ فاعتذر لقلبه عن غيابها...

سكتت عنه وما سكت عنها...

والطائرة لم تجد طريقها...

الطائرة غرقت في ضباب مدينة تقصدها...

أتراها حنت إلى مدينة تركتها أم تراها على موجة قلبه ذاك الذي تكلم حبا... بكى ألما... قال شعرا صهر حديدها ؟!

....

كان إنسانا وكفى...

كانت بجنبه وعنه ساهية...

كانت المسافة بينهما سنين ضوئية...

كانت المسافة بينهما واهية...

كانا من نفس الشرخ ونفس الشعر ولحزنهما نفس القافية...

كانت لحظات للصدق، للانفلات من أقنعة الزيف والسطحية...

تجاوز مركزه المرموق... تجاوزت أنوثتها الضارية...

خرج الطفل القابع في أعماقه لحظة يعترف فاستمعت لاعترافات الطفل كأم حانية.

تبسمت ضاحكة في ركنها القصي لإنسانية...

أرادت أن تحجبها عن عيون الوجع بستائر وردية...

حطت الطائرة وقد وجدت نقطة ضوئها وسط الأنواء والضباب

هبطا من الأجواء العالية...

" هاهي ذي ارض القلوب الحافية! " - لماذا لم يزدها مضيف الطائرة إلى عباراته البالية؟! - انتهت رحلة البوح الجميل...

تأملها وهي تنزل من الطائرة والريح والمطر يتصارعان حولها والصقيع قاس في تلك الناحية... خرج من ذاكرته... انفلت من آهاته... دخل إلى الحاضر... تلمس الطريق إليها...

قال وهي تبتعد تلفها أشعة الغروب الدامية: متى نلتقي؟

قالت: قد التقينا ولكن في نقطة الفراق فأنت لها... أنت لا تستطيع أن تكون لثانية!

في: 22/ 02/ 2001



ياسمينة جغلول

* أديبة وصحافية.
* مؤسسة من المؤسسات للإعلام النسوي في الجزائر.
* حائزة على ليسانس في الادب من جامعة قسنطينة.
* لها نشاطات في الأدب والترجمة والصحافة.
* نشرت العديد من الإبداعات في الصحف الوطنية.
* باكورة إنتاجها:" لن أحيد عنك " ولها عدة إبداعات قصصية وخواطر.

ياسين

هذه المرأة أعلنت العصيان على كلّ ما حولي، وبقيت الساعات الطويلة دون أن يرف لي هدب، أشكل في مخيلتي خطة جديدة، حتى أثبت " لياسين " حسن نيتي.

لم أشعر بأي ندم لما اقترفته في السابق والحاضر، وقد كنت أرغب في إلقاء نظرة وداع... حاولت تخليص يدي من الأساور الذهبية، وتذكرت ياسين يوم أطلق النار من بندقيته على حبل الغسيل... كان يعرض مهارته أمام أهل البيت... وقال للجميع إنني قادر على إصابة الهدف... مهما كان نوعه ثخينا أم رفيعا! حينها شعرت بهم يتنهدون بغضة... لأنهم سجن " ياسين " وبندقيته إلا أنا!

اقتربت منه وشعرت بقلبي يصلي داعيا له بالأمان لاحظت عيون الجيران المختبئين خلف النوافذ كانت تتابع حركاتنا يحملون صمتا متوترا. خيل لي عندها أسمع أصوات استغاثة خلف الواجهة الزجاجية للدكان المقابل، وقد رأيت "ياسين" يومها يحتمي بدهليز بمدخل ذلك الدكان كلما كان مهددا بالموت. دكان لبيع الكتب القديمة التي أراها ثابوتة في كل كوابيسي الليلية!

أغمض عيني من روع ما أرى... وأعود بمخيلتي الى داخل الدهليز علب السردين الفارغة الصدئة مرمية في كل الجهات وكنت

أخشى أن تكون نهايتي أيضا في هذا المكان الموحش أحسست لحظتها أنها فرصتي الوحيدة للنجاة... وفي الردهة الخارجية كنت أرى الدم يتفجر من الثقوب الكبيرة الموجودة في الحائط! بل كنت أرى دما مزيد من الدم.

وظللت أحدق مذهولة للمشهد الخلفي جثث كثيرة ورائحة كريهة تنبعث من كل مكان، وظلت نظراتي مستمرة على المشاهد، لم أرها من قبل، امرأة برأسين ورجل يعض نفسه، وجنائز كثيرة لموتى الجولة الأولى... والناس يركضون ويركضون... وتزداد الثقوب في الحائط مليئة بالدم، مزيدا من الدم، وتتحول كل العيون من حولي إلى تلك الثقوب، وينعقد لساني، وكنت أردد نفس الكلمات في غيبوبتي المتوجعة وصار قدوم "ياسين" يسبب لي آلاما لي آلاما في مفاصلي وكلما لمس وجهي بكفيه أحسست أنه يجري لي عملية تخدير... فتلتهب بشرتي... وكخرقة بالية مزقتها مخالب حادة... كانت نفسي تعي وعيا غامضا، وصرت خرساء لأكثر من سنة.

العتمة بدأت تخيم والبرد شرس يتسلل إلى نخاع عظامي والهواء يتصاعد بجوفي وصرخات وجوع مرير بأمعائي وتستقر ذاكرتي عنده من وراء القضبان، ويداه تلوحان لي مثل جناحين لطائر بدأ يكتشف متعة الطيران، كان ما يدور حولي متقن جد الاعوجاج، دقيق حد البلاهة... وكل ما في جسمي ثائر مهترىء! أخذت معي "ألبوم" الصور وتسللت من باب الحديقة وما كانت أعينهم الالكترونية لتراني، وقد تنكرت في ملاءة والدتي... فلا مفر إذن من أن أقاتل معه يومها قال لي : لقد كنت من الصغار لذلك دخلت السجن، يجب أن تعي أن الكبار لا يدخلون السجن. لذلك قررت أن أكون كبيرا.

مرهقة أنا وضجرة طول الطريق المؤدي إلى السجن كنت أرى

جسده على كل الأرصفة مرمي بضربات الأذى وثقل ما يحمل على ظهره، وكان جائعا وكل من حوله يصرخ بالجوع... إلى الطعام، إلى الشمس، إلى الشمس. أسمع جوعه الممزوج بالأنين أنظر إلى ساعتي إنها العتمة وقد بدأت تعم وتخيم... وكنت أعرف سلفا إنني لن أنام الليلة، ولن أبقى صاحية حقا، بل سأكون فريسة كوابيسي. وأظل أتأمل هديته لي، وقد غمرني رعب بلا حدود...أموت فيه مرات ومرات وأعود فأحيا من رقادي مئات المرات.

عدت من سجن "ياسين" ولم أسمع مواء القطط كالعادة، فهل أخرسها الرعب مثلما أخرسني؟ وفي دقائق الهدنة تلك تسللت إلى فراشي... وكان الهاتف يرن، ويرن حتى صار مؤنسا ولم أصدق ما سمعت فيه من أخبار وحتى إن حدثت هذه المعجزة الموعودة.

"العفو لكل المساجين السياسيين" هل سيكون ياسين منهم؟

ورغم بؤسي وجوعي وعدم تصديقي لما أسمع فإني لم أتمالك نفسي من الضحك والبكاء معا. ورسمت لنفسي وله صندوق قمامة أرمي فيه حزننا وألمنا المكدس، وعذابنا المستوطن فينا لسنوات خلت. وزحفت معه عبر صور السجن والحكم بالمؤبد لنعانق صورا أخرى ارتسمت بذاكرتي وظل السؤال يعيد نفسه علي: هل سيكون ياسين بينهم؟ وعند أبواب السجن يحملني عبث الصوت الغامض المنبعث من الدهليز، كالقدر وارتجافه الرحيل والوداع تسري في عروقه وبلوعة وجهه وأدعيته وصراخه الذي لا ينقطع، وسفره الكثير، ترتعد نبرات صوتي... ولا أستطيع أن أخبره بما سمعت ومن شارع لشارع أجد بصمات ياسين وأحلامه وبصمات جميع أصدقائه، وصوته الذي يحذرني دائما ورائحة البخور، وغيمة الخوف التي تكاد تغمرني، وكالمدمنة على جرعة المخدر، أرقب بذعر القادم من

الشوارع الطويلة الفارغة إلا من تلك الأضواء الباهتة، وتلوح لي من بعيد أشباح دامية تتسابق، تركض بسرعة ومدن سحيقة منسية.وهربت لأول مرة من لفة الشارع وعبثا أحاول أن أسمع صوته العميق الدفين عبر رواق الدهليز... ويتدفق الدم برأسي ولا أحس إلا بحرارته وتوهجه، وانتهت أسطورة الغروب في اليوم الخامس من الشهر العاشر.

وكان اليوم يوم مولدي، وأهبط مسرعة، فيصرخ بي أين أجرة "الطاكسي" وكانت عيناه مرعبة فأعطيته ما لدي من مال، وانغرس كعب حذائي بثقوب الرصيف، فحملني وعاد بي إلى البيت وكنت أخاله مات حقا.

أسترق النظر إليه... كانت كلماته ناضجة حادة ونسيت ما كنت عازمة على قوله له...! وفوجئت به يقول لي فلنبدأ! وكنت أشعر بضيق كبير في صدري وبحاجة ملحة للبكاء، وما كنت أدري ماذا أبدأ؟

تجاهل عدم فهمي وناولني القلم والأوراق وفهمت عندها أنها لائحة جديدة، وتقارير أخرى، ويفيض الندى بحلقي وأبدأ بكتابة ما يمليه علي " ياسين " وعلى الرغم مما أرى وأسمع منه فقد كنت أشم رائحة الدم... والثقوب النازفة بالدم، وأصابعي ترتجف وصوتي يبح ومواء القطط يتعالى بالخارج...

ياسمينة صالح

* من مواليد 1969 بالجزائر العاصمة.
* كاتبة صحفية.
* نالت جائزة مالك حداد" للرواية.
* صدرت لها عدة أعمال منها:

- بحر الصمت (رواية) عام 2001.
- الوطن الكلام (نصوص) عام 2002.
- أحزان امرأة من برج الميزان (رواية) عام 2003.

قليل من الشمس يكفي...

طال الوقت وأنت تقف أمام المرآة، مغمض العينين... لا تجرؤ على فتحهما... لم تنظر إلى وجهك في المرآة منذ دهر... منذ اكتشفت أنك مشوه الملامح، بعدما اكتشف الناس هذه الحقيقة قبلك، وأنت المجنون أيضا... هكذا تقول نظرات والدك كما التقت بنظراتك، لكنك لم تشعر قط أن من واجبك التغير لتغيير الآراء حولك... لم يكن الأمر يعنيك تماما، كأن البشاعة والجنون صفتان تساعدانك على التحرك دونما القيود التي تحدد حركة " العقلاء" حولك... كنت مقتنعا بذلك، بحيث كانت الخيوط التي تشدك إلى البيت - والحي والناس، والعالم تتقطع تدريجيا، ولم يكن يعنيك ذلك أيضا، غير أنك آمنت منذ البدء بوجود قوة غامضة تشدك وتجبرك على الخضوع... أكانت أمك؟ كنت تحبها حبا جما... أمك التي كانت تئن فوق سريرها، بينما أبوك يلعن ويسب كنت أنت أكثر من معتوه مشوه وأبله لم يع أحد أن لك عالمك وأحلامك الخاصة ككل الناس، ولم يضايقك عدم اكتراثهم، بل على العكس كنت حرا من العقد التي تتحكم في حياتهم... سمح لك ذلك امتلاك العديد من الأسرار ومن الأشياء... العلبة الخشبية الصغيرة أول ما ملكت يداك... أخفيتها عن الجميع، وكنت حريصا على تغيير مكانها يوميا، ولكن... اللعنة وعالمك خطان متوازيان... اكتشف أبوك العلبة فتحها وسرعان ما صرخ فزعا... لحظتها شعرت بالحزن وأنت ترى

الصراصير - التي تعبت في جمعها وإخفائها، وهي تهرب في كل اتجاه، دون أن تقوى على شيء... يومها، رأيت في عيني أبيك التهمة / الحكم، ولم يكن يعنيك ذلك... كنت تعرف من الأول انك لا تشبه إخوانك الكادحين في حرث الأرض، المنتظرين سقوط الغيث... إخوانك الذين اذا عادوا في المساء خائبين لعنوا الأرض ووجهك النحس... كنت تهرب منهم جميعا، وتركض صوب شجرتك المفضلة / العالية، تتسلقها حتى القمة، وتراقب الدنيا... كنت ترى بوضوح وتفهم من الأعلى ما تعجز عن فهمه من الأسفل... واليوم؟ مغمض العينين أنت... مجرد نظرة، نظرة واحدة... واحدة فقط، ثم بعد ذلك تفكر في الكلام الذي قاله إخوانك ليلة أمس : والد السي موسى خطب جميلة بنت حليمة صانعة الفخار... " جميلة " ؟ دق قلبك بعنف... لا... لا... لا يمكن هذا... " جميلة " جزء منك أنت فقط... طفلا كنت تسرق الحليب لأجلها، وعندما لا تجد الحليب، كنت تحلب البقرة الوحيدة التي يملكها والدك... لأجلها لم تشعر أبدا أن عليك تبرير تصرفك الذي سماه الناس" سرقة "، حتى عندما اكتشفك أبوك في حالة تلبس، وهجم عليك... ضربك، وكنت تصرخ بأعلى صوتك مستنجدا بأمك، بأحضانها الدافئة رغم المرض والموت... وحدها أمك فهمت أنك لم تسرق، مثلما فهمت من قبل أنك لست مجنونا... في عينيها رأيت كلاما كثيرا، وكنت تريد لو تنطق به، وتقوله ملء فمها كنت تريدها لو تنهض من سريرها لتدافع عنك، وعن " جميلة "... وفجأة اكتشفت الحقيقة المطلقة، فهمت أن القوة الغامضة التي تشدك وتجبرك على الخضوع هي : أمك... حاولت الثورة على نفسك... على القوة التي تشبه أمك، وكان عليك التحرك قبل أن تفقد صوابك وتجن، فقررت التخلص من الضعف والمرض،

والخوف... أشعلت النار في سريرها... رأيت اللهيب يلتهم كل شيء وكنت سعيدا بينما النار تقترب منك... تقترب... تقترب تقتر...ب، و....عيناك مغمضتان، لا تقدر على فتحهما... لا تقدر على شيء وقد أنهكك التردد... أن تفتح عينيك بعد سنوات من إغلاقهما... أن تنظر إلى وجهك، أما يزال كما كان بتلك الدرجة من البشاعة و... لم تكن " جميلة " تخافك... كانت تأتيك فرحة... تحدثك عن الأشكال التي تصنعها أمها بالطين... كنت تصغي إليها بقلب يعمره الحب والحنان... سألتها ذات مرة : " هل أنت بشع " ؟؟ لم ترد... إنما دنت منك، وقبلت جبهتك، ثم ابتعدت راكضة... فتحت عينيك أخيرا، وبدلا من النظر إلى المرآة نظرت إلى الباب... كنت تفكر في شيء تشعر خطورته داخلك. خرجت من البيت، وكانت السماء تمطر، بينما الساعة تشير إلى الصفر...

المحتويات



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
بمناسبة الذكرى الخمسين لعيد الاستقلال





انطولوجيا القصة القصيرة النسوية في الجزائر